محمـد أنيس (*)
ودوره في تعقيـل دراسـة التـاريخ
بالجـامعة المصرية
١٩٥٠ ـ ١٩٨٦

الأستاذ الدكتور عاصم الدسوقى

فى مطلع هذا العـام طلبت منى مجلة « العربى » التى تصـدر بالكويت اجراء حوار مع محمد أنيس ، جريا على خطة المجلة فى اجراء حوار بين جيلين مختلفين فى كافة فروع المعرفة • غير أن هذا الحوار لم يتم لأسباب خارجة عن ارادتنـا ، اذ كان موجودا بدولة الامارات العربية فى رحلة من رحلات الاغتراب ، وحضر الى القاهرة فى اجازة خاطفـة ، كانت أقصر من أن تساعـد على اجراء مثل هـذا الحوار ، خاصـة وأنه كان فى عجلة من أمره • ثم سـافر على أمل ان أجازة الصيف تتسع لأكثر من حوار • وما كنا ندرى أن فى الصيف ستطوى صفحة الحياة ، ونلقاه مشيعين الى المثوى الأخير •

كان فى تصـورى أن أحاوره فى فكرة التـاريخ ومنهج البحث فيـه ، واسهامه فى تنمية الوعى بالتـاريخ وتعقيل دراسته بالجامعة، فضلا عن رؤيتـه التـاريخية للمشكلات العـامة • وعلى هذا سيكون حديثى عن زوايا ذلك الحوار الذى لم يتم •

(*) ولد محمد أنيس فى ١٩٢١/٨/٢١ وحصل على ليسانس التاريخ من جامعة فؤاد عام ١٩٤٣ وكان الأول على دفعته ، ثم عاد من بعثته بعد حصوله على الدكتوراه من لندن عام ١٩٥٠ •

كان يعلم أن الوصول للحقيقة التاريخية لايتم الا بالاستناد الى الوثائق بالمعنى المصطلح عليه بين المؤرخين ، والمتمثلة فى الأوراق والمذكرات الشخصية والمراسلات الرسمية • وان استخراج المعلومات الجزئية من هذه الوثائق وربطها معا فى اطار احدى الفرضيات يصل به فى النهاية الى الحقيقة التاريخية بشأن المسألة التى يعالجها ، لأن الوثيقة فى حد ذاتها لا تصنع الحقيقة التاريخية ، وانما يصنعها عقل المؤرخ الواعى •

ومن هنا كانت كتاباته منذ فترة مبكرة • ففى عام ١٩٦٢ نشر مجموعة رسائل لمصطفى كامل خلال الفترة من يونية ١٨٩٥ وحتى فبراير ١٨٩٦ تحت عنوان : « صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل » ليعالج فترة دقيقة من اليقظة الوطنية تحت الاحتلال البريطانى برعاية الخديو عباس حلمى • وفى العام التالى مباشرة (١٩٦٣) ينشر مجموعة المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى (السكرتير العام للجنة المركزية للوفد تحت عنوان : « دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ » ، ليلقى الأضواء على الدور الحقيقى والمهم لعبد الرحمن فهمى فى تحريك قوى الثورة وجذب العمال الى قيادة الوفد خلال الثورة ، وليكشف بعض النقاط الغامضة فى الحركة الوطنية مثل : خروج اسماعيل صدقى ومحمود أبو النصر من الوفد ، ومقاطعة لجنة ملنر وكيف أنها نبتت من عبد الرحمن فهمى ، وحقيقة دور الأمير عمر طوسون فى الحركة الوطنية ، ودور عبد الرحمن فهمى فى صياغة الوحدة الوطنية خلال الثورة باتخاذه الكنيسة المرقسية مركزا من مراكز الثورة ، وغير ذلك من النقاط الحاسمة فى التأريخ لثورة ١٩١٩ •

وفى مطلع عام ١٩٦٧ ، وفى مناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ المشهورة ، كتب سلسلة من المقالات بجريدة

الأهرام فى يناير [1] ، ليحقق مسئولية الوفد فى هذا الحادث ، خاصة وأن طريقـــة استدعاء مصطفى النحاس لتشكيل الوزارة ، تركت ظلالا من الشك على وطنيـــة الوفد أمام القوى السياسية المختلفة ، كما تركته الباحثين فى حيرة من أمرهم ، موزعين بين ولاءات مختلفـــة • وعلى هـــذا ففى تحقيقه لهـــذه النقطة الدرامية فى تاريخ مصر اعتمد أيضا على الوثائق ، حيث لا بديل فى نقطة خلافية كهذه وفى مقدمتهـــا : الوثائق الألمانيـــة والبريطانية والمصرية ومضابط مجلس الأمن لعـــام ١٩٤٧ ، فضـــلا عن يوميات ومذكرات بعض الساســـة والمطلعين على بواطن الأمور ، مثل يوميـــات جورج بلانكين المحرر السياسى لجريدة الديلى ميل ، والكونت شيانو وزير خارجية ايطاليـــا ١٩٣٩ — ١٩٤٣ ، ليرفع فى النهـــاية عن مصطفى النحاس اتهـــام العمالة لبريطانيـــا ، وليقول ان الحـــادث يجب أن يفهم فى اطـــار ظروف الصراع الدولى فى الحرب العـــالمية الثانية حول قضية الديموقراطية ، وحاجة بريطانيا الى حكومة مصرية تستند الى أكبر دعم شعبى ، ولم يكن غير الوفـــد بقادر على التمتع بهذا الدعم • ومن ناحيـــة الوفـــد ، فقـــد رأى أن استمرار المبادىء الدستورية المدافع عنها بشدة ، لا يتحقق الا بهزيمة دول المحور ونصرة المبـــادىء الديموقراطية التى يدافع عنها الحلفـــاء ضد الفاشية ، ومن هنـــا كان قبوله للحكم بصرف النظر عن الصـــيغة التى تم بهـــا •

ورغم ميل محمد أنيس المعروف للوفد كقوة سياسية شـــعبية ، الأمر الذى جعل البعض يفسر رأيه فى ٤ فبراية بالانتماء الحزبى ، الا انه كدارس محقق لم يتردد فى ابداء الرأى الموضـــوعى فى الوفـــد وسياسته بشكل عام • فقال : ان الوفد أكثر وطنية فى المعارضة ، وهو وان كان مكافحا من أجل الحد من سلطة الملك الا أن ثوريته لم تمتد الى

---

(١) نشرها فى كتاب بعنوان : ٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى ، بيروت ١٩٧٢ ، والطبعة الثانية بالقاهرة ١٩٨٢ •

حد بالمطالبة بالنظام الجمهورى ، اذ كان يعتبر الملكية أمرا مسلما به منذ تكوينه . كما أنه وصف القمصان الزرقاء التى شكلها الوفد بأنها تنظيما لا يقل قبحا عن قمصان مصر الفتاة الخضراء . وهو الذى قال أيضا فى نفس هذه الدراسة أن عجز الوفد عن قيادة الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية كان يكمن فى الأسلوب التقليدى فى الكفاح الوطنى ورفضه للمضمون الاجتماعى للثورة مما جعله متخلفا وراء الجماهير .

وفى عام ١٩٦٩ يقترب من نقطة أخرى غامضة فى تاريخ مصر المعاصرة ألا وهى حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ . وينتهز فرصة عثوره على وثائق جديدة ، ليعطى تفسيرا للحادث وليحدد الأطراف المسئولة عنه . وهذه الوثائق عبارة عن مجموعة تقارير مراسل الاذاعة البريطانية فى مصر خلال المدة من ١٩٥١/١٢/٢١ حتى ١٩٥٢/٢/١٩ المودعة بمصلحة الرقابة المصرية ، وتقارير مصلحة العمل عن عمال المعسكرات البريطانية ، وتقارير وزارة الداخلية . ويصل من كل ذلك الى حصر مسئولية الحريق فى المخابرات البريطانية والقلم السياسى بوزارة الداخلية الذى كان يعمل لحساب القصر ، نافيا الشبهة عن أحمد حسين وحزب مصر الاشتراكى (٢) .

وعندما نشر فى عام ١٩٦٠ بالاشتراك مع محمد فؤاد شكرى والسيد رجب حراز كتابا يضم نصوص ووثائق مختارة فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ليكون مقررا على طلاب الجامعة ، اختار الوثائق التى تنمى وعى الطالب بقضايا الوطن والعروبة منذ اعلان الحماية البريطانية على مصر فى عام ١٩١٤ وحتى اتفاقية تمويل السد العالى فى ١٩٥٨ مرورا بقانون تحديد الملكية الزراعية فى ١٩٥٢ ومؤتمر

---

(٢) نشرها فى كتاب بعنوان : حريق القاهرة ٢٦ يناير على ضوء وثائق تنشر لأول مرة ، بيروت ١٩٧٢ ، والطبعة الثانية بالقاهرة ١٩٨٢ .

باندونج ١٩٥٥ ، وتأميم قناة السويس ١٩٥٦ وقيام الجمهورية العربية المتحدة .. الخ . أقول هذا لأن الهدف من تدريس النصوص والوثائق بالجامعة هو مجرد تدريب الطالب على تحليل نص واستخراج المادة التاريخية لبناء البحث ، وبالتالى فكل الوثائق تتساوى فى القيمة عند التدريس ، ولكن اختيار موضوع الوثيقة هو الذى يفرق بين أستاذ وآخر . وأعتقد أن القيمة الوطنية والعربية لدى أنيس كانت وراء اختيار وتدريس تلك الوثائق .

والحق أن هذا الاهتمام بكتابة التاريخ من خلال الوثائق كان وراء حملته المشهورة فى الصحف للاحتفاظ بوثائق الدولة وبأوراق ومذكرات السياسيين وذلك خلال عام ١٩٦٤ ، وقبوله الاشراف على مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر التابع للهيئة العامة للكتاب فى عام ١٩٦٧ . وهناك بذل جهدا مضنيا فى تأسيس المركز وتحديد هويته فى جمع المعلومات والوثائق وتنظيمها لتكون تحت يد الباحثين . وخلال وجوده بالمركز نشر فى أبريل ١٩٧٣ أوراق حسن نشأت باشا وكيل وزارة الأوقاف ورجل القصر فى عهد الملك فؤاد تحت عنوان : « صفحات مجهولة من التاريخ المصرى أو سنوات الصراع العنيف بين فؤاد وعباس حول العرش » ، كاشفا الدور الذى لعبه فؤاد وحسن نشأت بالاعتماد على بعض عناصر الحزب الوطنى فى الخارج ، فى ضرب محاولات عباس العودة للعرش اعتمادا على شعبيته بين المصريين .

***

وفى باب نقد المصادر وجه عناية خاصة لعبد الرحمن الجبرتى باعتباره مؤرخ الفترة الانتقالية بين عصر الولاة العثمانيين وعصر الحملة الفرنسية وتولى محمد على حكم مصر، وهى الفترة التى يعتبرها أستاذنا بداية مصر الحديثة . فكتب عن الجبرتى كمؤرخ ثلاثة أعمال هى : الجبرتى بين مظهر التقديس وعجائب الآثار (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد ١٨ ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٦ ، ومدرسة

التاريخ المصرى فى العصر العثمانى (معهد الدراسات العربية العالى ١٩٦٢ ، والجبرتى ومكانته فى مدرسة التـــاريخ المصرى فى العصر العثمانى (مؤتمر الجمعية التاريخية عن الجبرتى عام ١٩٧٤) •

وتدور هذه المقالات حول أهم مصـــادر تاريخ مصر العثمانيـــة المعاصرة العربيـــة منها وغير العربية ، وأسباب تدهور علم التـــاريخ فى العصر العثمانى ، وميزة الجبرتى عن غيره ، وكيف كان يؤلف كتبه • وهو فى هـــذا الاستعراض يعلم الدارس كيف يقرأ الجبرتى وعصره وعصره فى اطار نقـــد المصـــدر ، محذرا الباحث من الوقوع أســـير المصـــدر المشهور تابعا اياه مغمض العينين • فيقول ان الجبرتى فى « مظهر التقـــديس » لا يلتزم تماما بموضوعية المؤرخ ، فهو لاينظر الى الحوادث نظرة مجردة من العاطفة الدينية أو الوطنية ، اذ كان يرى كل ماهو فرنسى كريهـــا ، ويغفل بذلك عن بعض الايجابيات • على حين أنه فى « عجائب الآثار » ينظر الى الأحداث بعين الناقد الموضـــوعى فليس كل ماهو غير اسلامى سيئا وليس كل حكم اسلامى طيبا •

***

أما دور محمد أنيس فى تنمية المنهج العلمى فى دراسة التاريخ بالجامعة فيتضح فى مجموعة محاضراته للطـــلاب التى نشر بعضها فى كتب على فترات لاحقـــة ، سواء فى تاريخ أوربا أو فى تاريخ العرب أو فى تاريخ مصر •

والحق أن تيـــار الواقعيـــة الذى فجرته ثورة يوليو ١٩٥٢ كان مسئولا عن هذه النظرة التى اكتسبها مؤرخنـــا الراحل • فكما حـــدث فى مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والفن والأدب ،حين انطلقت الأفكار من عقال التصور المثـــالى للأشياء لتضعها فى الاطار الواقعى، وللتوارى جانبـــا مذاهب العلم للعلم والفن للفن لتنتصر مذاهب العلم للحيـــاة والفن للحيـــاة ، حدث نفس الشىء فى دراسة التاريخ حيث

فتح البـــاب لتناول موضوعات فى البحث لم تكن محل اهتمام باحث التـــاريخ قبل ١٩٥٢ أو لم يكن باستطاعته ذلك نظرا للمناخ العام •• من ذلك موضـــوعات التـــاريخ الاقتصـــادى والاجتماعى والبحث عن الطبقـــات وعلاقات الانتـــاج ، وتفسير الحركة السياسية فى ضـــوء الظروف الاقتصادية ، وأكثر من هـــذا تفســـير تاريخ مصر تفســـيرا اشتراكيا باعلان ميثـــاق العمل الوطنى ١٩٦٢ كنظرية للعمل الثـــورى اعتمدت الاشتراكية منهجـــا ، مما تطلب تنـــاول التاريخ والاقتصـــاد والاجتماع بالمنهج العلمى •

وكان محمد أنيس واعيا لهـــذا التيـــار الواقعى الجديد وفاهمـــا لطبيعـــة دراسة التاريخ قبل ١٩٥٢ حيث لاحظ أن الحركة النشطة فى دراسة التـــاريخ التى شـــهدتها مصر فى أواخر العشرينـــات قام بها مؤرخون أجانب برعاية القصر ، وقصد بهـــا الدفاع عن سياسة أسرة محمد على [٣] • كما كان واعيا الى أن ظهور المدرســـة الوطنيـــة فى دراسة التاريخ منذ مطلع الثلاثينيات بعودة شفيق غربال من لندن لم يصحبه اخضاع الدراسة التاريخية لنظرية معينة فى التفسير وان كانت تعلى من شـــأن دور الفرد والصفوة المختارة فى الحركة التاريخية • ومون هنـــا فعندما أتيحت له فرصة الاشراف العلمى على الرســـائل الجامعية ، عمل على توجيهها لدراســـة قضـــايا التـــاريخ الاجتماعى والاقتصادى والحركة الوطنيـــة فى مصر وفى العالم العربى بالمنهج العلمى •

على كل حال •• فى تناوله للتاريخ الأوربى ، استخدم التفسير الاقتصادى لانتقـــال أوربا من فترة العصور الوسطى الى الحديثـــة اعتمادا على طبقـــة التجار (البرجوازية) التى أنشأت المدينة ، ودور

---

(٣) أنظر مقالتـــه عن « الجبرتى ومكانته فى مدرسة التاريخ المصرى، ندوة الجمعية التاريخية ١٩٧٤ ، ص ٩٨ » .

هذه الطبقة فى اقامة الدولة الحديثة بالقضاء على الاقطاعيات ثم الانطلاق خارج القارة من أجل توسيع مجال التجارة ، وومن هنا الاصطدام بمسلمى الأندلس وبدء حركة الكشوف [٤] .

وعندما نشر مجموعة محاضراته عن تاريخ أوربا بين الحربين العالميتين فى عام ١٩٧٨ ، نراه يفرد ثلث الكتاب عن نشأة الاتحاد السوفيتى ومظاهر قوته (ص ١٠٠ — ١٥٢) ، وكيفية بناء الدولة الجديدة بالصيغة الاشتراكية بعد القضاء على المشروعات الصناعية الخاصة وعلى طبقة الكولاك ، مستعرضا دساتير الحكومة فى أعوام ١٩١٨ ، ١٩٢٣ ، ١٩٣٦ .. الخ ، يقول هذا فى وقت كان الكثيرون يراجعون أفكارهم ومحاضراتهم لتتمشى مع التوجه الجديد للدولة نحو الغرب الرأسمالى .

وفيما يتعلق بتاريخ العرب الحديث ، فقد اهتم فى كتابه (الدولة العثمانية والمشرق العربى ١٥١٤ — ١٩١٤) بفترة الحكم العثمانى المباشر ، ثم خضوع المنطقة للاستعمار الغربى ، ثم قيام الحركة القومية التحررية . وكان مقتنعا — بعكس غيره — بمسئولية الحكم العثمانى عن تخلف العالم العربى ، مما دعاه الى البحث فى أصول الدولة وخصائصها وصفات الهيئة الحاكمة فيها بما يفيد مسئولية كل ذلك عن التخلف . فهى دولة قامت على خليط من الأجناس والعقائد المختلفة ، يحكمها عنصر التحفظ الجامد كظاهرة من ظواهر الجماعات البدائية ، وعنصر النظام الدينى الأجتماعى الذى تجمد بمرور الزمن ، مما جعلها فى النهاية تقاوم كل الحركات التقدمية والاستقلالية .

---

(٤) أنظر كتاب : النهضات الأوربية فى أواخر العصور الوسطى بالاشتراك مع سعيد عاشور ، أوربا فى العصور الحديثة من النهضة الايطالية حتى الثورة الفرنسية بالاشتراك مع محمد فؤاد شكرى .

أما فيما يتعلق بتـــاريخ مصر الحديث والمعاصر ، وهو الموضوع الأكثر لديه والذى كان يعشق تدريسه ، فيذكر له فضل الريادة كأستاذ بالجامعة لتقديم أول دراسة عن تطور المجتمع المصرى من الاقطاع الى الاشـــتراكية ألقاها أولا عـــلى الدارسين بالمعهد العالى للدراســـات الاشتراكية فى عام ١٩٦٥ (٥) • وفى النـــدوة التى نظمتها الجمعيـــة المصرية للدراسات التاريخية فى أواخر نوفمبر وأوائل ديسمبر ١٩٦٥ تحت عنوان : اعادة كتابة التاريخ القومى سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ، نجده يقول : ان التغير الذى يحـــدث فى المجتمع المصرى الراهن مشيرا الى التحول الاشتراكى ، لا يقتصر على الوقت الحاضر ولبنـــاء المستقبل فقط ولكنه بالضرورة وحتمـــا لابد أن ينسحب على النظرة الى الماضى •• أى كتابة تاريخ مصر بالمنهج العلمى ، لأن ماكتب يكاد يقتصر على تاريخ الدولة فى مصر لا تاريخ الشعب ، وتنقصـــه الخلفية المـــادية التى تعطى الحركة السياسية مفهومها • وعندما قيل فى النـــدوة : اننـــا لا نود الانسياق وراء تعبيرات حديثـــة ومفاهيم خاصة بأوربا ونطبقهـــا بعنف على تاريخ مصر •• قال أنيس ان مصر شهدت اقطاعا وان اختلف فى بعض السمات عن الاقطـــاع الأوربى ، لأن علاقـــة الفـــلاح بالاقطاعى أو بالسيد (اللورد) هى علاقة تبعية ، وهذه تشترك فيهـــا أوربا مع مصر • لقد كان أنيس فى رده هذا مؤمنا فى قرارة نفسه بعـــدم وجود اقطاع فى مصر بالمعنى الاصـــطلاحى الأوربى ، لكنه كان يواجه دعوة مستترة لعدم استخدام المنهج العلمى فى تفسير التاريخ •

وعنـــدما أعاد طبع محاضراته فى تاريخ مصر من الاقطـــاع الى

---

(٥) نشرت على حلقات فى مجلة الكاتب خلال عام ١٩٦٦ ، ثم فى كتاب مستقل بعنوان : التطور السياسى للمجتمع المصرى الحـــديث ١٩٦٨ ، ثم كجزء من كتاب : ثورة ٢٣ يوليو وجذورها التاريخية ، ١٩٦٩ بالاشتراك مع السيد رجب حراز •

الاشتراكية فى عام ١٩٨٥ ، تلفت حوله فوجد أن الزمن قد تغير وأن التجربة الاشتراكية قد وئدت ، وان أحلامه وأحلام جيله من المثقفين فى العدل الاجتماعى قد انهارت ، آثر أن يكون العنوان : تطور المجتمع المصرى من الاقطاع الى ثورة يوليو ١٩٥٢ •

وغنى عن البيان ، أن مثل هذه الدراسات قد ألهمت جيلا جديدا من الباحثين فى كتابة التاريخ بالمنهج العلمى ، وهو ذلك الجيل الذى وقف على رأس الجسر بعد أن حفر تيار الواقعية مجراه فى المجتمع المصرى بكل رسوخ وعمق ، وهذا — فى تقديرى — هو الاسهام الحقيقى الباقى لمؤرخنا الراحل •

* * *

أيها السادة ••

كان محمد أنيس يدرك أن مهمة الأستاذ الجامعى تتجاوز قاعات الدرس الى المشاركة فى القضايا العامة بالقلم والكلمة لتنوير الرأى العام • ومن هنا كتب فى عام ١٩٥٧ وفى مناسبة حضور مصر مؤتمر باندونج١٩٥٥ كتابا بعنوان : المؤتمر الآسيوى الأفريقى ليفسر للجيل أسباب انتهاج مصر لسياسة حياد الايجابى كنتيجة تاريخية للتجارب السياسية ، وانه ليس انحيازا للاتحاد السوفييتى كما فسرته دوائر الغرب • ويكتب فى عام ١٩٥٨ ، بمناسبة الوحدة المصرية السورية ، كتابا بعنوان : دراسة القومية العربية من الناحيتين النظرية والتاريخية ، مؤمنا بأن الوحدة العربية طريقا للتحرر السياسى والعدل الاجتماعى • ويشارك فى ندوة ناجى الثقافية التى كانت تعقد كل اثنين بدار المعلمين بالدقى فى كل قضايا الفكر والثقافة معنخبة متميزة من أعلام المعرفة فى مصر ، الى أن انفرط عقدها فى أعقاب يونية ١٩٦٧ • ويكتب فى الصحف والمجلات عندما تفرض المسائل نفسها وليس من باب الاحتراف • وينزل الى الشارع ليجمع وقائع التاريخ

الحى مع عدد من باحثى مركز وثائق وتاريخ مصر ، فى مدن القنال وغيرها فى أعقاب يونيه ١٩٦٧ ، وأكتوبر ١٩٧٣ ، وتسجيل شهادات الأحياء •

ولكن •• عندما كانت تحاصره الهموم ويشعر بالضيق داخل الوطن كان يرحل ليعود مسرعا أشد قلقا وأكثر حيرة • وهكذا سافر فى أوقات عصيبة الى الجزائر عام ١٩٧٠ والى العراق عام ١٩٧٤ والى اليمن عام ١٩٧٩ ، ثم كانت رحلته الأخيرة الى أبو ظبى بالامارات بالخليج •

سيداتى وسادتى ••

انه لمن المحزن حقا أن يمضى المثقف فى بلدنا مهموما مكتئبا بعد سلسلة من الاحباطات تشيعه نظرات الأسى •

لكن ••

الذى مات نجا ، والذى لا زال ، لا زال يموت •

محمد عبد الله عنان .. والجنة الغاربة

دكتور/ عبادة عبد الرحمن كحيلة
مدرس بكلية الآداب جامعة القاهرة

فى سنة ١٤٩٢ كانت زفرات الملك الصغير (١) علامة فارقة على خريطة الأندلس ، وفى سنة ١٨٩٦ كان ميلاد محمد عبد الله عنان علامة فارقة أخرى على هذه الخريطة .

حول هذا التاريخ — قبيله وبعيده — خرج الى الدنيا جيل عظيم من المصريين ، هم من ندعوهم بجيل الرواد ، وكان عنان أحدهم .

ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عرفة العنانى المعروف بمحمد عبد الله عنان بقرية بشلا من أعمال ميت غمر بمديرية الدقهلية فى السابع من يوليو من عام ١٨٩٦ .

حصل على البكالوريا من المدرسة الخديوية بالقاهرة فى عام ١٩١٤ ، كما حصل على الاجازة من مدرسة الحقوق السلطانية فى عام ١٩١٨ .

---

(١) أبو عبد الله محمد (الحادى عشر) ٨٨٧/١٤٨٢ — ٨٩٧/١٤٩٢ آخر ملوك غرناطة ويدعوه الأسبان بـ Boabdil وبالملك الصغير El Rey Chico وورد فى المصادر القشتالية المعاصرة أنه عند رحيله مفارقا غرناطة بعد تسليمها توقف عند ربوة تطل على المدينة وأجهش بالبكاء وقد أطلق الأسبان على هذه الربوة El ùltimo suspiro Gespmoro أى زفرة المسلم الأخيرة .

عمل محاميا وعمل أيضا بالصحافة والصحافة الأدبية الى أن التحق بالوظيفة الحكومية فى عام ١٩٣٥ ، وظل بها الى أن أحيل الى المعاش فى عام ١٩٥٥ .

تزوج فى عام ١٩٣٠ آنسة نمساوية فاضلة تدعى يوهانا ، أسلمت بعد سبع سنوات وصار اسمها هناء ، وكانت هذه السيدة خير عون لزوجها فى رحلة حياته (٢) .

نشر الأستاذ عنان نحو ثلاثين كتابا فى مجالات مختلفة ، أخصها التاريخ ، وتاريخ الأندلس ، وترجم له كتابان الى اللغة الانجليزية فى بلاد الهند (٣) ، كما حاضر فى بعض المراكز العلمية بالخارج ، مثل مدرسة الدراسات الشرقية بلندن .

حصل الأستاذ عنان على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية فى عام ١٩٧٧ ، وحصل على وسام الجمهورية من الطبقة الأولى فى عام ١٩٧٨ ، ووسام الكفاءة الفكرية من الملك الحسن فى عام ١٩٨١ ، واختير عضوا بمجمع اللغة العربية ونادى القلم الدولى .

توفاه الله فى العشرين من يناير ١٩٨٦ .

حياته فى ظاهرها منبسطة لاتوجد بها نتوءات الا فى أوائلها، ففى سنة ١٩٢١ كان أحد أربعة هم مؤسسو الحزب الاشتراكى المصرى ، سلامة موسى ، محمود حسنى العرابى ، على العنانى ، محمد عبد الله عنان .

---

(٢) معلوماتنا عن حياة الأستاذ عثمان الخاصة مستقاة من حديث لنا مع السيدة الفاضلة حرمه .

(٣) مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام Decisive moments in the history of Islam Lahore 1941 . وترجم أيضا الى الأوردية .
Ibn Khaldun. his life and works, Lahore
ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكرى

عندما اختلف أمر هذا الحزب باختلاف زعمائه حول الموقف من الدولية الثالثة ، وما أعقب ذلك من ضربات وجهت اليه من قبل الحكومة الوطنيـة الأولى ، ترك عنان الحزب الاشـتراكى (٤) ولم يلتحق بأى من الأحزاب المصرية النـاشئة ، وان كان يميـل أحيـانا الى حزب الأحرار الدستوريين ، خصوصا وقد جمعته صـداقة بالدكتور محمد حسين هيكل (ت ١٩٥٦) الذى قدم لبعض كتبه(٥) فداوم على الكتابة فى السياسة والسياسة الأسـبوعية واشـترك مع هيكل والمازنى (٦) (ت ١٩٤٩) فى نشر كتاب (٧) يهـاجم صـدقى باشـا وحكومته فى عام ١٩٣١ .

انصرف عنان انصرافا تاما عن السياسة ، عقب التحاقه بالوظيفة فى عام ١٩٣٥ ، وفى العام التالى عقدت معاهـدة تلتها حرب كبرى ، أسفرت عن هدوء نسبى فى الساحة الوطنية .

(٢)

يمثل الأستاذ عنان جيله على نحو دقيق ، فقـد كان موسوعيا ، له دراسات ثرة فى التـاريخ والأدب والسياسـة والاجتماع ، كما اكتملت لديه أدواته ، فكان يجيـد الانجليزية والفرنسـية والألمانيـة

---

(٤) راجع ماكتبه اليساريون بهذا الشأن ، خصوصا رفعت السعيد : تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ — ١٩٢٥ . ط ٥ . القـاهرة ، دار الثقافة الجديدة ١٩٨٠ ص ١٢٣ — ١٢٥ ، ٢١١ — ٢٩٦ .

(٥) مثل ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى ط ١ . القاهرة لجنـة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٠ .

(٦) ابراهيم عبد القـادر المـازنى كاتب وشـاعر مصرى معروف ١٨٨٩٠ — ١٩٤٩ .

(٧) السياسة المصرية والانقلاب الدستورى .

والأسبانية ، وكان على دراية باللاتينية ، وأخرج أحد كتبه وهو مأساة مايرلنج بالعربية [٨] والانجليزية [٩] .

شارك عنان هذا الجيل فى خصيصة أخرى هامة ، وهى أنه لعب دورا تنويريا ، فهو رائد من رواد الفكر الاشـــتراكى فى مصر ، ولم يقصر همه على الترويج للمدرسة الفابيـــة ، مثلما فعل ســـلامة موسى (ت ١٩٥٨) ، انما عرف بمختلف المدارس الاشتراكية ، حتى بعد أن فارق الحزب الاشتراكى ، وله أكثر من كتاب فى هذا المجال [١٠] .

على أن عنانا كان يفترق عن أبنـــاء جيله ، أو كثرة أبنـــاء جيله بنزوعه الى الرحلة ، ومفتاح شخصـــيته — اذا نحن اســـتعرنا تعبير العقـــاد (ت ١٩٦٤) — هـــو أنه رحالة ، وقـــد داوم الرحلة ، حتى أعوام قليلة من نهـــاية رحلته الكبرى — رحلة حيـــاته — وســـفراته يصعب علينـــا احصاؤها ، وليست الأندلس ســـوى جزيرة ، كان هو أول الواصلين اليهـــا .

ومزية الرحالة عن غيره من المســـافرين ، أنه يلاحظ مالا يلاحظه هؤلاء ، وتستوقفه أشياء لاتستوقفهم ، وتستبد به رغبة حميمة نحو اقتحام المجهول ، وتقصيه الى أبعد أطرافه . وقد يكون هذا المجهول مخطوطة عربية أو غير عربية فى خزانة كتب بعيدة عن متناول الناس ، أو واقعة تاريخية ، يلفها سياج سميك من الغموض ، أو مذهبا اجتماعيا جديدا لم يكن ليحفل به أحد [١١] ، أو جزيرة نائية فى بحر الظلمات،

---

(٨) دار المعـــارف ١٩٤٨ .

(9) The Trajedy of meyerling 1945.

(١٠) من أهمها المـــذاهب الاجتماعية الحديثـــة ط ٥ القـــاهرة دار الشروق ١٩٧٣ .

(١١) ترجم الأستاذ عنـــان أطروحة طه حسين لدرجـــة الدكتوراه باســـم « فلســـفة ابن خلدون الاجتماعيـــة ، تحليل ونقـــد » ونشرها فى عام ١٩٢٥ .

معلومات النـــاس عنها سيما فى شرقنـــا العربى ، لاتزيد عن حفنـــة من أشعار ، وحفنة أخرى من أشجان ، من حيث كونها جنة غاربة ٠

وضح هذا النزوع فى كتابات عنان الأولى ٠

يقول فى مقـــدمة كتابه تاريخ الجمعيـــات السرية والحـــركات الهـــدامة [١٢] ٠

« ولم أقصـــد بكتابة هذه الفصـــول أن أثير طلعة القارىء بما تضمنت من حقـــائق وبيـــانات مدهشـــة ، ولكنى أردت ــ كما أردت باخراج كتابى قضـــايا التـــاريخ الكبرى ــ أن أقـــدم الى الآداب العربية صنفا محدثا من المباحث التاريخية ، يقف منه شبابنا المفكر على ناحية من نواحى التـــاريخ الاجتماعى والتفـــكير البشرى ، لم يعن به حتى اليوم أحد من كتاب العربية » ٠

تتعدد موضوعات الكتاب من شيعة اسماعيلية ودروز وفرســـان المعبد والألبيين والماسونية الى العدمية والفوضوية والماركسية ٠

على أن هذه الرغبة فى اقتحام المجهول ، كان يرافقها فى الوقت نفسه ثقافة قانونيـــة ، بل وممارسة فى مجال القانون امتدت الى عام ١٩٣٥ ، يسرت لمؤرخنـــا خصيصة أخرى هامة ، وهى التحقق وتقصى الأدلة والمقـــارنة ، قبل أن يصدر حكما ما ، وهى صـــفة لازمة لرجل القـــانون ، مثلما هى لازمة للمؤرخ ٠

عندما نراجع كتبه ، نجد بعضها يجمع بين كونه تحليلا لقضـــايا هامة ، وبين كونه تحليلا لأحداث هامة ، مثل كتـــابة ديوان التحقيق وكتابه تاريخ المؤامرات السياسية ٠

---

(١٢) القاهرة ، دار الهـــلال ١٩٢٦ ص ٥ ٠

(١٣) كاتب ومؤرخ مصرى معروف ، ١٨٩٧ ــ ١٩٨١ ٠

والكتاب الأخير عرض شائق لبعض هـذه المؤامرات ، ينـاقشها المؤلف فى جوانبها التاريخية والقانونية ، ويخرج بأن المؤامرة ظاهرة تنمو طرديا مع تقييد الحريات .

(٣)

نشر الأستاذ عنان عدة من الكتب ، كان يضع خلالها قدما فى الأدب وقدما أخرى فى التاريخ ، شأنه فى هذا شأن الأستاذ على أدهم [١٣] (ت ١٩٨١) فى صوره التاريخية والأستاذ حسين مؤنس فى كتبه وكتابه .

وفى عام ١٩٤٤ أصـدر الأسـتاذ عنـان « المآسى والصـور والغوامض » وهو مجموع من الصور التاريخية الشائقة ، تحرى المؤلف معها أن تكون الشخصيات جميعها حقيقية والأحداث موثقـة ، رغمـا عما نصادفه فيها من غرابة لا تتوافر الا فى الفن القصصى ، وأسـلوب المؤلف هنـا دفاق جميل . ومن ألطف مافيه الكتاب عرضـه لحيـاة لوكريسيا بورجيا [١٤] ، فبدت لنـا هذه الحسناء مختلفة عمـا نعرفه عنها ، وعرضه لحيـاة القيصرة اليزابت هابسبورج [١٥] وهـو نواة رائعته مأساة مايرلنج .

والمأساة تحكى قصـة حب انتهت بموت الأمير رودلف ولى عهد أبيه القيصر فرانس يوسيف ١٨٤٨-١٩١٦ ومارى فتشيرا Vetsera والقصة موثقة بمراجع عديدة ، وقد سافر المؤلف الى موقع الأحداث مرتين وزار قبر الأمير ، كما زار قبر حبيبته .

فى أسلوب شاعرى جميل يقول المؤلف [١٦] .

---

(١٤) ص ٩ — ٤١ .
(١٥) ص ٢٠٧ — ٢١٧ .
(١٦) مأساة مايرلنج : ص ٦٤ .

« ولقد جبنـــا هذه الأرجاء غير مـــرة أيام الخريف المشرقـــة ، ونعمنا باستجلاء هذه الطـبيعـــة الساحرة ، وزرنا قصر مايرلنج ، أو بعبـــارة أخرى البنـــاء الذى أقيم فوق موقع قصر الصيد القـــديم ، فى منحدر نضر من الوادى ، يخفيـــه عن الأنظار البعيدة ، ووقفنـــا خاشعين أمام الـــكنيسة التى أقيمت فوق المكان ، الذى وقعت فيـــه المأساة ، واستعرضنا مع الراهبة التى جاءت لاستقبالنا تلك الذكريات المؤثرة التى مازالت تغمر هاته الأنحاء » .

الى جانب هـــذه الصور التاريخيـــة ، فان لمؤرخنا مجموعة من التراجم ، ضمنها بعض كتبه ، مثل تراجم اسلامية شرقية وأندلسية، أو اختص الترجمـــة الواحـــدة بمؤلف مستقل مثل ابن خلدون وابن الخطيب والحاكم بأمر الله .

ويلاحظ على عنان فى تراجمه أنه كان يهتم بشخصيات غامضة أو مختلف فى أمرها ، أوليست لدينـــا معرفة واسعة عنها ، مثل الحسن الوزان وهوليو الأفريقى Leo Africanus (١٧) وهارون الرشيد(١٨) الذى يعرض عنه صـــورة صحيحة بعيـــدة عن الصورة المعروفة عند العامة ، وست الملك (١٩) التى ينصفها ويبين أثرهـــا فى حفظ البيت الذى تنتمى اليه ، وهو يقارن بين سيرة بهاء الدين قراقوش (٢٠) فى التاريخ وبين ســـيرته فى القصص الشعبى ويوضح لمـــاذا تبـــاينت السيرتان ، وهو فى هـــذا الابان يستريب فى نسبة كتاب الفاشوش الى ابن مماتى .

ومن تراجمـــه المتعـــة ترجمتـــه للســـان الـــدين بن الخطيب (ت ٧٧٦/١٣٧٤) ولا نعلم أحداً سبقه الى الكتابة عن هذا العلامة ،

---

(١٧) ص ٣٥٤ — ٣٧٢ .
(١٨) ص ١٠ — ٣٠ .
(١٩) ٣١ — ٣٧ .
(٢٠) ٨٠ — ٨٤ .

وهو يتعرض لحياته وتراثه الفكرى ككاتب وشاعر ومؤرخ وجغرافى، ويأتى بجمل من تراجمه ووسائله وقصائده ، بل ويثبت مخطوطـات قصيرة لم يسبق نشرها .

ورغما عن حب عنان لابن الخطيب واعجابه به لدرجة أن جعلـه رصيفا لابن خلدون (ت ٨٠٨/١٤٠٦) بل ويبزه أحيانا (٢١) ، فانه فى تحليله لشخصيته وهو تحليل متزن ، يوضح بعض صفاته ومنها الملق ونكران الصنيعة وشغفه بجمع المال وغروره ونزوعه الى الاستبداد والحقد ، لكنه يقرر أنه مات مظلوما، فقد نسب اليه خصومه المنافسون له تجديفا فى حق الله تعالى وفى حق نبيه الكريم (٢٢) .

يستطرد المؤرخ فيتحدث عن مصرع ابن زمرك (ت ٧٩٧/١٣٩٥) تلميذ ابن الخطيب وربيبـه وخصيمه الذى صـار أكبر الساعين فى نكبته ، كما يشير الى اعادة الاعتبار الى ابن الخطيب فى وطنه غرناطة Granada بعد خمسين عاما لمصرعه (٢٣) .

(٤)

هذا وقد اختص المؤرخ مصر بعدة من كتبه .

فى كتابه عن الحـاكم بأمـر الله (٣٨٦/٩٩٦ — ٤١١/١٠٢١) يحاول أن يستجلى الغموض الذى أحاط بشخصه ، ويـذهب الى أنه كان يتتبع الدعوة الى تأليهـه بعين الرضـا (٢٤) ، وان كان يرى فى

---

(٢١) لسان الدين بن الخطيب . القاهرة ١٩٦٨ ص ٢٠٣ .

(٢٢) المرجع نفسه ص ١٦٩ — ١٧٣ .

(٢٣) المرجع نفسه ص ١٧٦ — ١٧٨ .

(٢٤) ط ٣ . القاهرة ، الخانجى ، ١٩٨٣ ص ٢٠٥ وما بعـدها ، ص ٣٠٤ .

تصرفاته التى قد تبدو شاذة ايجابيات ، تهدف الى تحقيق غايات لاريب فى حكمتها وسموها [٢٥] .

وفى كتابه عن الخطط المصرية ، يتتبع هذه الخطط وأصحابها منذ ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧/٨٧١) حتى على مبارك (ت ١٣١١/١٨٩٣) الى جانب بحوث فى تاريخ مصر حتى نهاية العصر العثمانى ، يتصل معظمها بجوانب غامضة أو خلافية . ويتضح من الكتاب اعتزازه بهذا التاريخ ، ويأسف لأن بعض مصادره مازال مخطوطا ، وهو يعد الخطط ابتكارا مصريا خالصا ، ويعد ابن عبد الحكم منشئها الأول [٢٦] .

وفى كتابه عن المؤرخين المصريين ، يتناول ستة عشر مؤرخا ، ابتداء بعبد الرحمن بن عبد الحكم وانتهاء بعبد الرحمن الجبرتى (١٢٤٠ / ١٨٢٥) ، وقد اهتم بتراث هؤلاء المؤرخين ومنهجهم فى البحث أكثر من اهتمامه بحياتهم نفسها .

ومن أطرف مافى الكتاب مقارنته بين منهج السخاوى (ت ٩٠٢/ ١٤٤٩٦) فى تحليله لشخصياته وتصويره البارع لها ونقده اللاذع وزهوه ، بالناقد الفرنسى والمؤرخ سانت بيف Sainte Beuve (ت ١٨٦٩) [٢٧] .

* * *

(٥)

اذا انتقلنا الى منهج عنان التاريخى ، نلاحظ عليه حيدته وموضوعيته التى تعود الى فترة باكرة ، ففى عرضه لفكر الشيعة

---

(٢٥) المرجع نفسه ، ص ١٧٣ .
(٢٦) ط ٢ ، القاهرة ، الخانجى ١٩٦٩ ص ٣ ــ ٥ .
(٢٧) ط ١ . القاهرة ، الخانجى ١٩٦٩ ص ١٣٧ ــ ١٣٨ .

الاسماعيلية ، يراجع المصادر السنية الخصيمة بقدر من التحفظ (٢٨) ورغما عن اختلافه مع الماركسيين ، فانه يشيد بالثورة الاشتراكية فى روسيا ، وما حققته من انجازات ، وسط ظروف طبيعية قاسية وحملات معادية ضدها وحصار (٢٩) . وهو فى عرضه لقضية دريفوس Dreyfus ينوه بما حاق بهذا الضابط اليهودى من عنت ، ويسهب فى ذكر تفاصيل القضية (٣٠) ، التى استثمرت فيما بعد لصالح الحركة الصهيونية .

أما ديوان التحقيق ، وما أسفر عنه من ظلم فادح للمسلمين والمسلمين المنتصرين ، فانه لا يصدر حكمه على هذا الديوان بداءة ، انما يترك الوثائق والوثائق النصرانية وحدها تتكلم يقول (٣١) ولما كان الرواية المجردة لهذه المأساة تثير من تلقاء نفسها كثيرا من الأسى والشجن ، ففى وسع القارىء أن يقدر أثناء تلاوتها ، ما آنست فى كتابتها من بواعث الانفعال والتأثير ، غير أنى اجتنبت التعليق ماستطعت ، وتركت القول لمؤرخى الغرب أنفسهم ، معتقدا أن الوثائق تغنى عن كل تعليق » .

المؤرخ الى جانب ذلك يعنى بمصادر بحثه ، وتعقبيها فى مظانها ، ولا يدخر وسعا فى اقتنائها . وجملة ماكتبه عن المؤرخ المصرى محمد ابن أبى السرور البكرى (٣٢) (ت ١٠٩٠/١٦٥٠) هو من خلال كتبه التى مازالت مخطوطة . وهو أول من استفاد من السفر الخامس

---

(٢٨) تاريخ الجمعيات السرية ص ٥٦ حاشية ١ .

(٢٩) المرجع نفسه ص ٢٠٩ .

(٣٠) ديوان التحقيق ص ٥٠٤ ــ ٥٣٧ .

(٣١) المرجع نفسه ص. م.

(٣٢) راجع فى هذا الشأن الفصل الخاص بهذا المؤرخ فى « مؤرخو مصر الاسلامية » .

لمقتبس ابن حيان (ت ٤٦٩/١٠٧٦) فور العثور عليه بالخزانة الملكية فى الرباط [٣٣] . ومن أجل دراسة مفردات تراث ابن الخطيب ، قام برحلة خاصة الى أسبانيا وانجلترا والمغرب والجزائر ، كان من آثارها أن عثر فى مكتبة الجزائر الوطنية ، على مقامة وحيده له ، لم تكن معروفة من قبل [٣٤] وعثر فى مكتبة رواق المغاربة بالأزهر ، على أوراق متناثرة من مخطوط الاحاطة ، وعلى هوامشها تأشيرات للمقرى (ت ١٠٤١/١٦٣١ صاحب النفح [٣٥] ، على أن عنانا فى كتبه التاريخية البحتة ، ومنها موسوعتنا الأندلسية – لم يعن على نحو واضح بالتحليل الاجتماعى فى دراسة التاريخ ، وقد يكون ذلك غريبا على مؤرخنا ، لأنه كان على دراية بهذا المنهج ، بحكم ممارسته للعمل السياسى فى باكر شبابه وليس لدينا غير تفسير وحيد ، هو أن هذا المنهج حديث ، ولم يتنبه اليه مؤرخونا ، الا منذ أربعين سنة ، ثم ان أدواته لم تستكمل بعد ، خصوصا فيما يختص بتاريخنا الوسيط ، ولم تتضح معالمه ، وان حاول البعض أن يتعسف مع النصوص ، ليجعلها تنسجم مع أفكاره المسبقة .

ولعنان فكرة هامة ، أدار حولها كتابه مواقف حساسة فى تاريخ الاسلام ، وتتضح فى موسوعته الأندلسية ، وهى فكرة الصراع بين الشرق والغرب ، أو بين الاسلام والنصرانية ، وهو يعتقد أن هذه الفكرة ويدعوها بالصليبية ، ظلت حية عبر العصور ، بما فيها عصرنا الحديث ، وهى تشتد وتضطرم كلما بدت فورة اسلامية جديدة [٣٦] .

ونسافر مع المؤرخ الى الأندلس .

* * *

---

(٣٣) تراجم اسلامية شرقية واندلسية ط ٢ . القاهرة ، الخانجى، ١٩٧ ص ٢٧٨ .
(٣٤) لسان الدين بن الخطيب ص ٥ .
(٣٥) تراجم اسلامية ص ٣٧٧ .
(٣٦) مواقف حاسمة ط ٤ . القاهرة ، الخانجى ١٩٦٢ ص ٣–٦ .

(٦)

نبـــه من جيل عنان اثنان من الفضلاء اقتحما بالأندلس أســـوار الجامعة ، همــا الأستاذ أحمد ضيف (ت ١٩٤٥) والأستاذ عبدالحميد العبادى (ت ١٩٥٧) اختص أولهما بالأدب ، واختص الآخر بالتاريخ ومع ما كان للفـــاضل الآخر من أياد ، حدثنـــا عنها بعض معاصريه، فقـــد برز كمحاضر ، الا أن كتابه المجمل (٣٧) ، وصل الينـــا سماعا عنه ، وبه هنـــات ليس هنا مجالها ، وربما كان العبادى الكبير يدخر جهده لاعداد عباديين آخرين (٣٨) كان لهما اسهامها الواضـــح بالثغر الاسكندرى ، واختص أحدهما الأندلس باهتمامه •

على أن الريادة للأندلس داخل الجامعة تخطو خطوات أوسع مع أستاذين جليلين ، أحدهما وان كان مقلا مجيـــدا فى انتـــاجه ــ وهو الأستاذ عبد العزيز الأهوانى (ت ١٩٨٠) فان له تلامذة على اتســـاع العالم العربى ومريدين ، والآخر وان كان مكثرا مجيدا فى انتـــاجه ــ وهو الأستاذ حسين مؤنس ــ فلا له تلامذه ولا مريدون •

أين مكان الأستاذ عنان من الريادة للأندلس •

ان مكان الأستاذ عنان فى تاريخ الأندلس ، هو مكان عبدالرحمن الرافعى (ت ١٩٦٦) فى تاريخ مصر الحديث (٣٩) •

---

(٣٧) ط ١ . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ .

(٣٨) الأستاذ مصطفى عبد الحميد العبادى أستاذ التاريخ اليونانى ــ الرومانى بجامعة الاسكندرية والأستاذ أحمد مختار العبـــادى أســـتاذ التاريخ الاسلامى ــ الأندلس على نحو خاص ــ بجامعة الاسكندرية .

(٣٩) راجع مقالتنـــا : عبد الرحمن الرافعى مؤرخ الحركة القوميـــة « مجلة الفكر المعاصر عدد ٢٣ يناير ١٩٦٧ » .

في سنة ١٩٢٤ أصدر محمد عبد الله عنان كتابا بعنوان « تاريخ العرب فى أسبانيا أو تاريخ الأندلس » [٤٠] ، على أنه يتضـح من المقدمة أن تأليفه يعود الى خمس سنوات سـابقة ، عقيب دراسـته القانونية ، وهو مايتضح من المقدمة .

يقول [٤١] : ووافق استعدادى لتنظيمهـا واعدادها للنشر أياما تكونت فيها وحدة مصر الوطنية ، وجاشت بالقلوب آمال كبيرة » .

والكتاب يتناول تاريخ العرب فى أسبانيا حتى نهاية دولـة بنى حمود الادارسة فى منتصف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر، وفى الصفحات الأخيرة منه يأتى بطرف من النظم السياسية والادارية (يدعوها الاجتماعية) والعلمية والثقافية ، وينتهى بخاتمـة ، وقـد حرص بين حين وآخر على أن يؤرخ للممالك النصرانية ، المعـاصرة لملكة الاسـلام ، كما كان يوثق أخبـاره فى أحيان كثيرة ، ويقارن بين الروايات بعضها وبعض ، وبخاصة الروايات النصرانية ، ويأتى بحواش شارحه لما يرد فى المتن .

تمضى سنوات يصدر المؤرخ خلالها مجموعة من الكتب ، يعبق بعضها بريح الأندلس ، وترجم كتاب اشباخ J. Aschbach عن تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموجـدين [٤٢] ونشره فى عام ١٩٤٠ ، وأضاف اليه طائفـة من الهوامش والتحقيقـات والشروح وفهرسـا للاعـلام .

---

(٤٠) القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩٢٤ .

(٤١) يشير ضمنا الى الثورة المصرية ١٩١٩ .

وقد سبق هذا الكتاب كتاب آخر ترجمة عنان عن الانجليزية وأصدره وهو بعد طالب بمدرسة الحقوق بعنوان تاريخ أوربا الحديث ، القـاهرة مطبعة السعادة ١٩١٥ ووصف نفسه على الغلاف بأنى حقوقى وجعـل اهداءه الى الأمة المصرية .

(42) Geschte Spaniens Zu Zeit der Herrschaft der Almoraviden und Almohaden. Frankfurt am main 1833.

على أنه ابتداء من هـذا العـام تفرغ عنان على نحو أسـاس لموسوعته العظيمـة « دولة الاسـلام فى الأنـدلس » التى بدأ فى اخراجها فى عام ١٩٤٢ ، وجاءت فى سبعة مجلدات تضم أربعة آلاف صـفحة .

* * *

(٧)

دولة الاسـلام فى الأندلس هى موسوعة عنان وعمل حياته ، أرخ خلالها لفترة من تاريخ الاسـلام تمتد نحو ألف عام ، منذ قبيل الفتح ، حتى الطرد النهائى للمسلمين فى مطالع القرن السابع عشر .

حدد عنان المنهج الذى اتبعه فى هذه الموسوعة بقوله : (٤٣)

« هذا وقـد راعيت فى سـائر فصـول هذه القصة الأندلسية المشجية أن أسلك سبيل التوسط المعتدل بعيـدا عن الايجـاز المخل ، بعيدا فى الوقت نفسه عن الأسباب والتفاصيل الكثيرة ، الا ما دعت اليه المنـاسبات الهامة أو المواقع الحاسمة ، حريصـا خلال ذلك كله على أن أبرز الحوادث والشخصيات والصور فى اطـارها النقدى ، الذى تدعمه الوثائق والنصوص والقرائن بعيدا كل البعد عن التـأثر بالعاطفـة أو الأهواء أو الاتجاهات القومية أو الدينية من أى نوع ، وانى لأرجو أن أكون قد وفقت فى ذلك ى تأدية رسالة الحق والصدق والاعتدال فى كتابة هـذه الصـفحات المشرقة المؤسية معا من تاريخ الأمة الأندلسية » .

ولمـا كان المؤرخ يكتب عن فترة طويلة حافـلة ومصطخبة ، فانه كان يقسم كل عصر الى عصور أصغر تبعا لأصحاب السيطرة ، ويتناوله

---

(٤٣) ع ١ ق١ ط٤ . القاهرة ، الخانجى ، ١٩٦٩ ص١١ .

الأحداث المتصلة بعصر الأمير أو الخليفة أو الملك ، وهى فى مجملها أحداث سياسية ، من ثورات فى الداخل وحروب فى الخارج • ثم يأتى بتحليل لشخصية هذا الأمير ، ويثنى بالحديث عن الجوانب غير السياسية ، مثل الادارة والمال والنظام الحربى والحركة العمرانية من مساجد وقصور وغيرها، وينتهى بالأحوال الاجتماعية والثقافية وجملة من نبه فى هذا الابان ، ولا يهمل الحديث عن الممالك النصرانية فى شبه الجزيرة ، وصلات هذه الممالك بالأندلس •

على أن المؤرخ عدل فى هذه الخطة ، فيما يختص بعصر الطوائف ، بسبب تعدد السيادات ، بتعدد الدول والدويلات وتداخل تواريخها ، بما يجعل عملية السرد مملة ومتكررة وقد عالج المشكلة بأن مهد لظهور الطوائف ، ثم قسم دولها الى مجموعات عربية وبربرية وصقلبية ، وكان يتتبع ممالكها مملكة مملكة منذ بدايتها حتى نهايتها على أيدى المرابطين، ثم يتناول معركة الزلاقة Sagrajas والفتح المرابطى، ويتحدث عن الممالك النصرانية خلال القرن الحادى عشر ، وينتهى بخواص عصر الطوائف السياسية والاجتماعية والحضارية ويأتى بوثائق وملحقات •

أما كتابه الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال ، فالى جانب كونه كتابا فى الآثار ، فمن الممكن أيضا أن يدخل فى أدب الرحلات ، وأسلوب المؤلف الممتع يجعله أشبه بسياحة تاريخية ،تذكرنا بالأستاذ حسين فوزى فى سندبادياته ، ولا يصطدم القارىء معها بمصطلحات أثرية جامدة ، انما هى تتسلل برفق الى وجدانه •

والمؤلف لا يكتفى بالحديث عن الآثار الأندلسية ، أى الآثار التى تعود الى فترة السيادة العربية ، انما يتطرق أيضا الى الآثار المدجنية أى الآثار التى أقامها المدجنون المسلمون للسادة الجدد ، فضلا عن اشاراته الحديثة الهامة ، ويتتبع الآثار مدينة مدينة ، ويأتى بطرف

من تاريخها الاسلامى ، بل الرومانى والقوطى انوجد ، وما ورد بشأن الأثر فى المصادر الأدبية النصرانية •

وجرى المؤرخ على أن يضم الى موسوعته خرائط توضيحية بل رسوما تخطيطية للمعارك الكبيرة ، مثل الزلاقة والارك Alarcos والعقاب Las Navas De Tolosa ومصورات لبعض أبطال الموسوعة وآثارها ، وفى نهاية كل مجلد يأتى بكشافات للأعلام والجماعات والأماكن ، وفهارس للكتب والأشعار والرسائل ، الى جانب وثائق هامة ، بعضها مازال مخطوط •

* * *

(٨)

وبطبيعة الحال فقد كان على المؤرخ أن يراجع مصادر ، تبدو أحيانا متباينة ، وقد عالج المشكلة بأنه كان يناقش الروايات المختلفة عن الحادثة الواحدة ، ويأخذ فى المتن بما يراه صحيحا منها ، ولا يهمل مايراه أقل وثاقة ، فيورده بالمتن أو يضيفه الى الحواشى ، أما الأخبار الغريبة التى يصعب تصديقها ، وان كان فى غرابتها ما يؤيد الحادثة ، فانه يجعلها فى الحواشى •

اذا شئنا التفصيل نجد المؤرخ لاينحاز الى الرواية العربية ، من حيث أنها عربية ، وكثيرا ما ينتقدها بل ويرفضها ، حتى وان كانت الرواية النصرانية تجاريها ، فرغما عن اتفاق الروايتين فى المبالغة من عدد القتلى النصارى فى معركة أقليش Uclés ٥٠١/١١٠٨ ، الا انه بعد مناقشة طويلة يصل الى تقدير أقل [٤٤] ، وهو ينفى لقاء مهدى الموحدين بالامام الغزالى (ت ٥٠٥/١١١٢) هذا اللقاء الذى

---

(٤٤) دولة الاسلام فى الأندلس ع ٣ ق ١ ط ١ ١٩٦٤ ص ٦٥ •

يستند اليه هؤلاء فى شرعية قيـامهم على المرابطين ، ولا يأبه باتفاق المصادر المعاصرة وشبه المعاصرة على ذلك (٤٥) .

وكثيرا ما كان المؤرخ يضطر الى الاعتماد على الرواية النصرانية على نحو أساسى ، لأن الرواية العربيـة ضـنينه فى أحـداث مثل بلاط الشهداء Tours-Poitiers (٤٦) وغزوات المسلمين فى غالة Gallia (٤٧) والمستوطنـة الاسـلامية فى فراكسـينيتوم Fraxinetum (٤٨) ويفسر اقتضـاب الرواية العربيـة لمعركة البـلاط ٧٣٢/١١٤ ببلاغة الحـادثة وروعتها ، ومثل ذلك فعله بالنسبة للقرن الأخير من تاريخ الأندلس وما تلاه .

على أن المؤرخ فى تصويره لفتنة الشهداء بقرطبـة ، لا يترك الرواية النصرانية طليقـة ، انما هو يحلل الدوافع الى هذه الفتنة ، ويفنـد دعاوى سـيمونيت F. J. Simonet (٤٩) وغـيره من المتعصبين (٥٠) .

ومن أن المنصور العـامرى (٩٧٨/٣٦٨ ـ ١٠٠٢/٣٩٢) لم يصادف هزيمة واحدة فى حمـلاته المتعددة ضد نصارى الشمال ، فان المؤرخ لايستنكف عن الاتيـان بالرواية النصرانية التى تدعى هزيمته

---

(٤٥) المرجع نفسه ع٣ ق١ ص ١٦١ .

(٤٦) المرجع نفسه ع١ ق١ الفصل السادس ص ٩٢ ـ ١١١ .

(٤٧) المرجع نفسه ع١ ق١ الفصل الخامس ص ٧٧ ـ ٩١ .

(٤٨) المرجع نفسه ع١ ق٢ الفصل الثالث ٤٦٤ ـ ٤٧٥ .

(٤٩) أنظر ما ورد بهذا الشأن فى كتابه
Historia de los Mozárades de Espana Madrid 1897
الفصول من الثالث عشر الى الحادى والعشرين .

(٥٠) دولة الاسلام فى الأندلس ع١ ق١ ص٢٦٧ وما بعدها .

أو عدم ظفره فى آخر معـــاركه سنة ٣٩١/١٠٠١ • وقد ذهب بعض المؤرخين المحدثين الى تصـــديق هذه الرواية ، لكن عنانا يفندها ، لأن الملوك النصارى الذين نسب اليهم اشـــتراكهم فى المعركة كانوا قـــد ماتو جميعـــا قبل هـــذه المعركة بسنوات ، ثم ان الرواية الاســـلامية لا تذكر هـــذه الهزيمـــة المـــدعاة للمسلمين ، فى حين ذكرت هزائم أخرى لهم (٥١) •

الى جانب ذلك ، فقد كان لثقافة المؤرخ الواسعة ، أثرها الوافر فى موسوعته ، فأفاد بمناهج علم النفس فى تحليله لشخصية المهـــدى ابن تومرت (ت ٥٢٤/١١٣٠) ، ويستخرج من كونه حصورا لا يأتى النساء ، مايفسر قسوته وظمأه الى سفك الدماء (٥٢) •

فى هـــذا الابان توصل عنان الى بعض الحقـــائق التى كانت محجوبة قبلا ، أو الى تدعيم لها فى حال سبق كشفها ، واذا كان ليفى بروفنسال هو أول من توصل — من خلال نص فى البيـــان المغرب — الى حقيقـــة زائدة Zaida أو ســـيدة Ceida حظيـــة الفونسو السادس ملك ليون León (١٠٦٥ — ١١٠٩) وأكد أنها لم تكن ابنه المعتمد بن عيـــاد « وانما كانت كنته ،فان عنانا يعثر على نص آخـــر فى المعيـــار المغرب يؤكد هذه الحقيقة » (٥٣) •

اعتمد المؤرخ اعتمادا فائقا على المصـــادر الأصلية ، وبخاصـــة المجموعة المعروفة بأسبانيا المقدسة España Sagrada ، وتضـــم حوليات هامة مثل حولية ايسيدور الباجى Isidorus Pacensus

---

(٥١) المرجع نفسه ع١ ق٢ ص ٥٦٣ — ٥٦٦ •

(٥٢) المرجع نفسه ع٣ ق١ ص ١٩٢ •

(٥٣) راجع مناقشة الأستاذ عنان لهذه القضـــية فى المرجع نفســـه ع٢ ص ٣٤٥ — ٣٤٨ •

وحولية روردريك الطليطلى Rudericus Toletanus وحوليـــة الفونسو العـــالم El Sabío ، كما كان له ولع خاص بالوثـــائق المعاصرة مثل الوثائق العربيـــة والمستعربيـــة والمدجنيـــة والقشتاليـــة ، وغيرهـــا من الوثائق المبثوثة فى دور المحفوظـــات العـــامة بمجريط Madrid وشنت منكش Simancas وبرشـــلونة Barcelona وبلنســـية Valencia وغرناطة وبنبلونة Pamplona وسرقطـــة Zaragoza وخزائن الكتب فى الاسكوريال Escurial والفاتيكان والمعهد المصرى للدراسات الاســـلامية والقرويين والرباط وغيرهـــا •

أما عن المصادر العربية ، فقد كان يتعقبها مخطوطة ومنشورة ، وربما كان عنان هو أول من نوه من المحدثين بالمؤرخ الكبير أبى مروان ابن حيان ومقتبسه ، وقـــد تعقب أسفاره فى بقـــاع شتى ، وانتفع بقسم من السفر الثانى كان فى حوزة ليفى بروفنسال وضـــاع بعد ، وما يرد عند عنـــان بخصوص هـــذا القسم هو مصدرنا الوحيد حتى الآن • ومن نقوله الهـــامة عند كتـــاب الحكم (١٨٠/٧٩٦ ــ ٢٠٦/٨٢٢) الى الكور بخصوص ثورة الربض [٥٤] ، وكذا كتاب عبدالرحمن الأوســـط (٢٠٦/٨٢٢ ــ ٢٣٨/٨٥٢) الى ملك الروم مع الشـــاعر الغزال (ت ٢٥٠/٨٦٤) وتفاصيل السفارة [٥٥] •

ومن المؤرخين المحـــدثين عاود مؤرخنـــا دوزى R. Dozy وليفى بروفنسال ومننديث بيدال R. Menedez Pidal وسيمونيت وبيـــيرا J. Ribera وجونثالث بالنشيا A. González Palencia وكوديـــره F. Codera وغيرهم بل انه يعاود كوندى J. A. Conde

---

(٥٤) المرجع نفسه ع١ ق١ ص ١٠٣ ــ ١٠٤ •

(٥٥) المرجع نفسه ع١ ق١ ص ١٦١ ــ ١٦٣ •

الذى حظى بنقد لاذع من لاحقيه (٥٦) ويقرر رمزية هـذا المؤرخ فى كونه أول جهد غربى يعتمد على مصادر عربية أبدى خلالها قدرا كبيرا من الحماسة للعرب والاشـادة بهم ، ويصدر فى بعض المواطن أحكاما قاسية على أمته ومواطنيه ، وبخاصة سياستهم بعد سقوط غرناطة(٥٧).

الى جانب هذه المصادر ، فقد توافر لمؤرخنـا مصدر آخر ، وهو رحلاته العديدة الى مسرح الأحداث ، وهو يتأمل الصخرة المنيعة فى كوفادونجـا Coca Donga هـذه الصخرة التى تـكسر عندها المـد الاسلامى الأول (٥٨)، ويزور شنت ياقب Santigo de Compo stela ويتنفس الجـو المشبع بالجـلال والوقـار (٥٩) ، ويتملى أطـلال الزهراء (٦٠) ويتحسر على البقيـة المشوهـة من قصر الجعفـرية فى سرقسطة (٦١) ، ويترجم على المعتمد فى مثواه بأغمات (٦٢) ويحج الى مكة المهـدى فى تينملل (٦٣) ، ويعيش الهزيمة المروعة فى العقاب ، ويعثر على سهام خلفهـا أبناء قومه وراءهم (٦٤) أما مملكة غرناطـة القديمة فقد كتب يقول : (٦٥)

---

(٥٦) راجع ماكتبه دوزى عن كوندى فى مقدمة كتابه
Spanish Islam, A History of the Moslems in Spain. Trans. by F. G. Stokes. London, Cass 1972 p. XXXV.

(٥٧) دولة الاسلام فى الأندلس ع ٤ ص ٥٠٦ ، وانظر أيضا مواقفه حاسية ص ٣٣٢ .

(٥٨) دولة الاسلام فى الأندلس ع١ ق١ ص ٢١١ .

(٥٩) المرجع نفسه ع١ ق١ ص ٢٢١ .

(٦٠) المرجع نفسه ع١ ق٢ ص ٤٢٢ .

(٦١) المرجع نفسه ع٢ ص ٢٨٣ .

(٦٢) المرجع نفسه ع٢ ص ٣٦٣ ــ ٣٦٤ .

(٦٣) المرجع نفسه ع٣ ق١ ص ٤ .

(٦٤) المرجع نفسه ع٣ ق٢ ص ٣٠١ ــ ٣٠٢ .

(٦٥) المرجع نفسه ع ٤ القاهرة ط ٣ ، الخانجى ١٩٦٦ ص٨ .

« ولقد كان لهذا التجوال المستفيض فى مواطن الأحداث ، وهذه المشاهدات العديدة للديار والربوع أعمق الأثر فى نفسى وفى ذهنى وفى تكييف قلمى ، حتى لقد كنت أشعر حين تدوين الحوادث وأمام مخيلتى تلك الأماكن والمشاهد ، أننى كأنما قد عشت فى تلك الأيام وفى تلك الربوع ، وبين أولئك الناس أبطال المأساة ، الذين أتتبع سيرهم ومصائرهم » •

* * *

(٩)

اذا نحن تتبعنا المؤرخ فى موسوعته ، نجده يتعاطف مع الأندلسيين ، بل ينحاز اليهم ففى تحليله لشخصية عبدالرحمن الداخل (١٣٨/٧٥٥ — ١٧٢/٧٨٨) يصفه بالميكافيلية ، الا أنه يتلمس الذرائع له [٦٦] ، بل ويتلمسها للمنصور بن أبى عامر لدى قتله ولده ، ويقرر أن هذا الولد لم يكن ليتورع عن قتل أبيه فى حال نجاح مسعاه [٦٧]، ويقول : [٦٨] لعل الاسلام فى شبه الجزيرة الأسبانية ، لم يظفر قط بمجاهد فى بطولة المنصور وتفانيه فى الذود عن دينه واعلاء كلمته ، ولعل الأندلس لم تر قط مثل المنصور ، زعيما أخلص فى خدمتها وكرس جهوده ومواهبه فى بناء قوتها وعظمتها وسحق عدوها وتحقيق أمنها ورخائها » •

عندما يقع الصدام بين الأندلسيين المرابطين ، يوالى الأندلسيين، ويقسو على يوسف بن تاشفين (٤٦٢/١٠٦٩ — ٥٠٠/١١٠٦)

---

(٦٦) المرجع نفسه ع١ م ١ ص ١٩٤ .

(٦٧) المرجع نفسه ع١ م ٢ ص ٤٥٠ ، ٥٥٠ — ٥٥١ .

(٦٨) المرجع نفسه ع١ م ٢ ص ٥٦٩ .

لقسوته عليهم ، ورغما عمـا قيل من اتصال المعتمد (٤٦١/١٠٦٩ — ٤٨٤/١٠٩١) بالنصارى فانه يدافع عنه ، وينوه بدعوته الى الوحـدة بين المسلمين بعـد سقوط طليطلة ، وينوه أيضا ببسالته فى الزلاقة، ويشير الى أن بواعث اقتحام المرابطين لشبه الجزيرة لم تكن دينيـة فقط ، وانما كانت دنيويه قبل كل شىء ، ويتساءل عن ضرورة أن يبطش المرابطون بأمراء الأندلس ، هذه البطشة ، ويعامل المعتمد وأسرته هذه المعاملة ، وكان يكفى فى حال عقابه أن ينتزع من ملكه ويعتقل (٦٩) .

هذا كله فى عبـارة أدبية راقية ، تذكرنا بويلز وماكولى وجبون، بحيث يمكن أن نتعـامل مع الموسوعة الأندلسية ، على أنها رواية أو دراما روائية ، عقدتها الصراع الدائم والدائب بين أسبانيا النصرانية وبين أسـبانيا الاسـلامية ، ذلك الصراع الـذى يـدعوه الأسبان بالاسترداد ولحظة التنوير هى النهـاية الحزينـة ، بطرد العرب من أسبانيا لكن عنانا يدنى من قساوة هـذه النهاية بما شنه الأندلسيون المطرودون من حرب مضادة مع الأخوين عروج وخير الدين المعـروف بذى اللحية الحمراء Barbarosa (٧٠) كما يدنى من حدة هـذه النهاية أيضا بما خلفـه المسلمون وراءهم من آثار باقيـة فى أسبانيا والبرتغال ، تعطى الاحساس بتواصل تاريخهم عبر الزمان .

* * *

(١٠)

فى عمل عملاق محلق ومحدق يكون من الطبيعى أن تقع هنات ،

---

(٦٩) المرجع نفسه ع ٢ ص ٣٦٥ ، وانظر أيضـا تراجم اسـلامية ص ٢٢٣ و ٢٢٤ .

(٧٠) راجع ماورد بشـأن جهـاد الأندلسيين والأخوين بربـاروسا المرجع نفسه ع ٤ الفصل الأول من الكتاب الرابع ٣٧٨ — ٣٩٢ .

لاتنتقص بحال من روعته ، فالمؤرخ يصـــدق رواية ابن خلدون [٧١] عن عزم موسى بن نصير أن يلحق ببلاد الشام عن طريق القسطنطينية[٧٢] وهذا فرض بعيد ، لاتدعمه ديناميات الفتح الاســلامى ، وهو يجعل منصب القومس Comes لادارة شـئون أهل الذمة من نصــارى ويهود [٧٣] ، والصحيح النصــارى فقط لأن اليهود كــان لهم رئيسهم المستقل ويدعى النــاجد [٧٤] ، أما يوســف الفهرى آخر ولاة الأندلس فلن يكون ابنا لعبد الرحمن بن حبيب الفهرى المتغلب على افريقية ــ كما يذهب عنان [٧٥] ــ والصحيح أنهما ينتميان الى الدوحــة نفسها التى تصلهما بعقبة بن نافع .

على أن أكبر هذه الهنات هى تركيز المؤرخ على التطور السياسى وحده ، الأمر الذى حفزه فى موسوعته الثرة الى أن يمضى بتــاريخه للأندلس فى عصرى المرابطين والموحدين ، فيؤرخ أيضا للمغرب المعاصر لهذه الرحلة ، من حيث أن القطرين كانا يخضعان على الاجمال لسيطرة سياسة واحدة ، وكان أحرى به أن يقصر جهــده على الأندلس فحسبه هذا الاحساس الجارف بالتطور السياسى أدى بالمؤرخ الى أن لايعطى الاهتمام الكافى للتطور الاقتصادى ــ الاجتماعى ، وهو فى تحليــله للفتنــة التى عمت أقطار الأندلس فى أواخــر عصر الامارة ، وبلغت أوجهــا على يدى عمر بن حفصون (ت ٣٠٥/٩١٨) [٧٦] لا يستفيد

---

(٧١) كتاب العبر بولاق . جـ ع ص ١١٧ .

(٧٢) دولة الاسلام فى الأندلس ع١ ق١ ص ٥٣ ــ ٥٤ .

(٧٣) دولة الاسلام فى الأندلس ع/م ١ ص ٢٥١ ، ع ٤ ص٦٧ .

(٧٤) راجع أطروحتنــا لدرجــة الدكتوراه المعــاصرون فى الأندلس

(٧٥) دولة الاسلام فى الأندلس ع١ م ١ ص ١٢٨ ــ ١٢٩ .

(٧٦) المرجع نفسه ع١ م ١ ص٢٨٨ وما بعدها .

من نص ابن الخطيب [٧٧] الخاص بأســبابها مع أنه يأتى به كما يغفل ما ورد متنــاثرا فى الحوليات [٧٨] من مجاعات تكررت فى عهد الأمير محمد (٢٣٨/٨٥٢ ــ ٢٧٣/٨٨٦) ولم يحسن السياسة ازاءها ،فضلا عن اشتعال العصبية عند العرب [٧٩] ــ سيما الشامية القيسية ــ وتبدو الفتنة وكأنها طموح أفراد يتطلعون الى السلطة فحسب .

أما عن سقوط الخلافة الأموية ، ويخصه بفصلين [٨٠] فى عصره الأول ، فهو سرد متصل لوقائع ماجرى منذ مقتل عبد الرحمن شنجول سنة ٣٩٩/١٠٠٩ حتى نهاية دولة بنى حمود ولا نعرف ماهى الأسباب الكامنة وراء السقوط ، على أنه يعاود هذا الموضــوع فى بداية عصر الطوائف [٨١] ، ويحــدده فى صراع العصــبيات من عربية وصقلبية وبربرية .

وفى حديث المؤرخ عن خواص عصر الطوائف ، يشير الى رسالة هامة للكاتب المعــاصر ابن حزم (ت ٤٥٦/١٠٦٤) [٨٢] ينتقد فيهــا

---

(٧٧) أعمال الاعلام تحقيق ليفى بروفنســال . بيروت دار المــكشوف ١٩٥٦ ص ٣٥ ــ ٣٦ .

(٧٨) ابن القوطيه تاريخ افتتــاح الأندلس تحقيق ابراهيم الأبيارى القاهرة ١٩٨٢ ص ١٠٠ .

ابن حيــان : المقتبس . س ٢ ، تحقيــق محمود مكى . بيروت دار الكتاب العربى ١٩٧٣ ص ٣٤٣ .

(٧٩) ابن حيــان : المصــدر نفسه س ٣ . نشر انتونيا ، باريس ١٩٣٧ ، ص ٣ ، ٦٦ .

(٨٠) دولة الاسلام فى الأندلس ع١ م٢ ص ٦٤٢ ــ ٦٧٧ .

(٨١) المرجع نفسه ع ٢ ص ١١ ــ ١٢ .

(٨٢) رسالة التلخيص (فى الرد على ابن الثغريله اليهودى ورسائل أخرى) تحقيق احسان عباس. القاهرة ١٩٦ ص ١٧٣ــ١٧٤! وما بعدها.

حكام عصره [٨٣] ، هذه الرسالة مهمة ، ويمكن أن تستخرج منها معلومات مفيدة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لهذا العصر ، لكن المؤلف يكتفى بأن يستخرج مايشى بالمغارم الفادحة التى فرضها ملوك الطوائف على شعبهم .

كان من الأوفق للمؤرخ أيضا أن يبدأ موسوعته باحاطة جغرافية لشبه الجزيرة الأندلسية وهو ما أهم ابن الخطيب [٨٤] فى تأريخه لغرناطه ، وهذه ضرورة لابد منها للتعرف على الأرض التى استحرت بها هذه الملحمة الأندلسية .

على أن لمؤرخنا عذره الواضح فى التركيز على التطورالسياسى، بسبب فقد العديد من المصادر بعد طرد العرب ، ثم ان التاريخ الأندلسى له طبيعة سياسية ، ومعظمه حروب وقعت بين المسلمين بعضهم ضد بعض أو بين المسلمين وبين نصارى الشمال ، الأمر الذى دفع الأسبان أنفسهم الى أن يلخصوا تاريخهم الوسيط كله فى أنه تاريخ حركة الاسترداد La Reconquista ، وهى ما يعبر عنها فى بعض الأحيان بمعركة القرون الثمانى La Batalla de Ocho Siglos هذه الطبيعة السياسية لتاريخ الأندلس ، جعلت المصادر حتى فى حال توافرها تغفل الجوانب الاجتماعية أو تشير اليها من بعيد .

* * *

(٨٣) دولة الاسلام فى الأندلس ٢٤ ص ٤٢١ — ٤٢٢ .

(٨٤) الاحاطة فى أخبار غرناطة . تحقيق محمد عبد الله عنان . القاهرة الخانجى ١٩٧٣ ﺣ ١ . القسم الأول ص ٩١ — ١٤٣ .

(١١)

لم يقف المؤرخ عند حد الترجمة أو التأليف بل اجتاز الى مجال التحقيق ، وهـو نشـاط بدأه فى مطلع السـبعينات ، وبعد أن أنجز موسوعته فى طبعـاتها المتعددة ، فأخرج كتابين هامين للسان الدين ابن الخطيب ، همـا الاحاطة فى أخبار غرناطة وريحانة الكتاب ونجعة المنتـاب [٨٥] ، والكتابان يقعان على التخوم بين التاريخ والأدب ، وان كانت مساحة الأدب أوفر فى الريحانة . والكتاب الأول ــ كمـا يتضح من اسمه يختص بمدينـة غرناطة واحوازها من جغرافية وخطط وأخبـار ومن نبـه من أهلها وتاريخ الأسرة النصرية الحاكمـة ، أما الريحانة فتضم نبـذا من قدمات كتب ابن الخطيب ورسـائله ونماذج من كتاباته الرسمية ، وبخاصة الصادرة عن سلاطين المغرب والأندلس ومخاطباته لهم ولغيرهم ومجموعا من رسائله وكتبه الصغيرة .

ويلاحظ على عنان فىتحقيقه للريحانة أنه يقف فى معظم الأحوال عند حد المقـابلة بين المخطوطات المختلفة بما يفيـد تصحيح النص ، ونادرا مايخرج الأشعار أو النصوص أو يعلق على حادثة أو يشير الى موضع مدينـه ، وفهارسه تقف عند فهرسين أحدهمـا للبلاد والآخر للأعـلام .

توفر المؤرخ أيضا فى سنى حياته الأخيرة على فهرسة القسـم التاريخى من الخزانة الملكية بالرباط ، وقـد صدر هذا القسم فى عام ١٩٨٠ ، ويتضح جهده فى التعريف بالمخطوط ووصفه وذكر مؤلفـه ، كما يعرف بمحتواه ، ويشير الى نظائره فى المـكتبات الأخرى ، مع

---

(٨٥) القاهرة ط ١ ، الخانجى ١٩٨٠ .

الاحالة الى معـــاجم الفهـــارس العالميـــة ، مثل بروكلمان وسزكين والاسكوريال والمتحف البريطانى وغيرها •

تنتهى الرحلة فى العشرين من يناير ١٩٨٦ •• ونتساءل : هـــل مصـــادفة ينتهى محمد عبد الله عنـــان من تأريخه لثغر عربى ضـــاع وقت يضيع ثغر عربى آخر ؟؟

نتساءل أيضا أين محمد عبد الله عنان من تقدير الدولة ؟؟

فى هذا الزمان الردىء يصير من الـــلائق أن يحظى من هم دون عنان بتقـــدير الدولة ، ويصير من اللائق أيضا أن يحظى هو بتقديرنا، وهذه جائزة وأية جائزة •

السياسة الخارجية
للملك « آشور ـ ناصر ـ بال » الثانى
بين عامى ٨٨٣ ـ ٨٨٠ ق٠م

دكتور/ عبد القادر خليل عبد النعيم
مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب
جامعة المنيا

تولى الملك « آشور ـ ناصر ـ بال » الثانى الحكم فى «آشور» فى عام٨٨٣ ق٠م [1] فى أعقاب وفاة والده « توكلتى نينورتا » الثانى الذى كان قد حكم فى الفترة من ٨٩٠ حتى ٨٨٤ ق٠م٠

وكانت دولة « آشــور » فى بداية القــرن التاسع ق٠م تشكل مساحة كبيرة من الأرض على هيئــة مثلث يمتد بين نهر دجلة والزابين (الزاب الأكبر والزاب الأصغر) ، وبين مرتفعات الجبــال الواقعة فى الشمال والشمال الشرقى ، وكان معظمها يتشكل منتلال ونجاد وأراض متموجة [2] بالاضافة الى الأراضى الخصبة التى كانت حول «اربيل» و « كركوك » ، وعلى ضفتى نهر دجلة ٠

---

(١) هنــاك بعض المراجع العلمية التى تحــدد تاريخ ولايتــه بعام ٨٨٤ ق٠م ولكن أغلب هــذه المراجع تحدد ولايته بعام ٨٨٣ ق٠م وأخــذ الباحث بالتاريخ الأخير ٠

(٢) باقر (طه) مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة (القسم الأول) تاريخ العراق القديم ــ الطبعة الثانية ــ بغداد ١٩٥٥ ص١٦٣٠ ٠

واشترك فى اسم « آشور » كل من أرضها وعاصمتها ومعبودها الأكبر وسكانها الأوائل مع تحويره فى التشكيل والنطق بين كل حالة وأخرى [٣] .

أظهرت الحفائر فى أطلال مدينة « آشور » على أن الانسان هناك اختار المنطقة لسكناه لمناعتها الطبيعية ، وانها تشرف على ماحولها فهى تتمتع بموقع اقتصادى الى جانب المناعة العسكرية [٤] .

وقد لعب نهر دجلة دورا هاما فى انتشار التجارة بين «آشور» والقوى الاقتصادية والسياسية المجاورة لها، كما انتشرت بعض المراكز التجارية التى كانت بمثابة همزة الوصل بين « آشور » والمناطق الحضارية فى الشرق والغرب .

وكثيرا ماقام صراع بين سكان المناطق الصحراوية ودولة «آشور» بهدف استيطان الأراضى الخصبة الا أن دولة « آشور » كانت تقف أمام هذه المحاولات بالمرصاد [٥] .

ويبدو أن هذه الاحتكاكات كانت تمثل أولى مراحل العداء بين الأشوريين وجيرانهم البدو فى الشرق والغرب .

ويذكر « المستد » أن هذه الدولة ــ المكونة من عدة ممالك صغيرة هى « اسانا » و « ناميت عشتار » و « كالخ » و «نينوى» و « كالزى » و « كوتموهى » ــ قد استطاعت فى عهد الملك « آشور ــ ناصر ــ بال » الثانى أن تصنع العجائب .

---

(٣) صالح (عبد العزيز) الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، جـ ١ القاهرة ١٩٧٣ ص ٤٩٤ .

(٤) سفر (فؤاد) «آشور» الطبعةالأولى بغداد ، ١٩٦٠ ص٣ــ٤ .

(5) Smith, Sidney, Early History of Assyria To 1000 B. C. London, 1928 pp. 1 — 3.

اذ أنه قد استهل حكمه بتجديد شامل فى النظم العسكرية فنجده قد كون جيشا جديدا ومتطورا شكل فيه سلاح المشاة من الجنود الآشوريين بينما اعتمد سلاح العربات — الى حد كبير — على فرسان من الحلفاء وعن طريق هذين السلاحين انبثق فن حصار المدن والذى تطلب تزويد الجيش بآلات حربية تشبه الدبابة فى الجيوش الحديثة [٦] •

وذكر « طارق مظلوم » ان هذه الآلات الحربية قد بدأ استخدامها فى عهد « آشور — ناصر — بال » الثانى ولم تظهر على الجدران قبل عهده [٧] كما ذكر أن تصميم هذه الآلات اعتمد أساسا على معول لهدم الأسوار وهو أشبه مايكون بالمدفع ومثبت فى هيكل مغطى بمواد مختلفة وقد وضع هيكلها بأكمله فوق عجلات تراوح عددها فى القرن التاسع ق•م بين أربع أوست عجلات ولكن بعد ذلك اقتصر عددها على أربع عجلات فقط • ومن عهد هذا الملك لدينا مثالان من أدوات الحصار الآشورية [٨] •

وما ذكره « طارق مظلوم » عن بدء ظهور أدوات الحصار الآشورية فى عهد الملك « آشور — ناصر — بال » الثانى انما يعبر عن أن أعداء الدولة الآشورية قد ابتكروا أنواعا من الحصون والأسوار تطلب أمر تحطيمها صنع مثل هذه الآلات لنقب أسوار المدن وجدران الحصون وربما أخفق من سبقه من الملوك فى احكام الحصار حول مدن الأعداء • الأمر الذى كان يطيل أمد الاستيلاء عليها ، وكان

---

(6) Olmstead, A. T. History of Assyr'ya, New York, London, 1923 p. 81.

(٧) أنظر اللوحة الخاصة بهذه الآلة العسكرية فى نهاية الدراسة •

(8) Madhloum ; T. Assyrian Siege — Engines. in Sumer, A Journal of Archaelogy and History in Iraq, vol. XXI, 1965 p. 9 f.

لصنع هـــذه الآلات فى عهد « آشور ــ ناصر ــ بال » الثانى ماجعله يحقق انتصــارات سريعـــة وأن يوجـــه ضربات مؤثرة الى معسكرات أعـــدائه •

ومن ناحية أخرى فان أمر وجودها فى عهده يعبر عن مرحلةهامة فى السياسة الخارجية للدولة الآشورية اذ يبـــدو أنها قد أعدت نفسها لحروب طويلة طاحنـــة بينها وبين جيرانهـــا ســـيما أنها فى العصر الآشورى الحديث كانت تملك من الرجال ، ومن المال ماتحتاج اليه •

لقد ضـــاق الآشوريون بحدودهم الضيقة الى أن لاحت الفرصة أمامهم فى العصر الآشورى الحديث اذ ضـــغط عليها الآراميون ضغطا شديدا وشكلوا عليها خطرا كبيرا وكان لابد من الاصطدام بهم لازاحتهم عن حدودها وقـــد تطلب ذلك جهودا جبارة من ملوك العصر الآشورى الحديث اذ أننـــا نلاحظ أنه منذ بداية عهد « آشور دان » (٩٣٢ ــ ٩١٢) ق•م أن الآشوريين ثارت عزائمهم فى عهده واتجهت جيوشهم ضـــد الآراميين شرقا وغربا ، ثم تابعت طريقهـــا فى عهـــد ولده « أدد نيرارى » الثانى الذى حكم من (٩١١ ــ ٨٩٠) ق•م ، وقد وصفت النصوص الآشورية الآراميين فى ذلك الوقت « بأنهم أهـــل برارى » [٩] •

وبعهـــد « أدد نيرارى » الثانى بدأ عصر جـــديد طويل عـــرف اصطلاحا باسم العصر الآشورى الحديث ، أو عصر الاتساع الآشورى الـــكبير وقد استمر نحو ثلاثة قرون من ٩١١ الى ٩١٢ ق•م وشـــهد مرحلتين عظيمتين من مراحل القوة والازدهـــار والتوسع توســـطتهما فترة ركود •

---

(٩) صالح (عبد العزيز) الشرق الأدنى القديم ، جا مصر والعراق ١٩٧٣ ص ٥٠٨ •
A. Dupent — Sommer, Les Aruméens, Paris, 1949, p. 18, 81.

المرحلة الأولى بدأها « أدد نيرارى » الثانى ولم يتجه فيها الى فتوح بعيدة وانما أراد تثبيت حدود دولتـــه ، واسترجاع الاشراف الفعلى على تخومها الغربية حول نهرى الفرات والخابور (١٠) .

وكانت سياسة « توكلتى نينورتا » الثـــانى وحكم من (٨٩٠ — ٨٨٤) ق٠م والذى تميزت حولياته بتفاصيلها اليومية تماثل ســياسة سلفه فى ارهابه للآراميين فكان من ضيحاياهم فى عهده قبيـــلة بيت « زمانى » التى اتخذت « أميدى » عاصـــمة لها وهى « ديار بكر » الحاليـــة (١١) .

ومنذ ذلك الحين اتجهت سياسة « آشور » الى توطيد سلطانها على حدودها الغربية ، واخضاع القبائل الجبلية فى الشمال الشرقى، ومحاولة السيطرة الكاملة على الطرق التجارية والحربية التى تتجــه غربا الى الشام حيث المجد ووفرة المنتجات وحيث المخارج البحرية ، وشمالا بغرب جبـــال طوروس وآسيا الصغرى مع محاولة اضـــعاف الفروع الآرامية الغربية فى شرق سوريا وفى أواسطها وامتد نفوذها الى موانيها البحرية (١٢) .

وتميز من القـــائمين على تنفيذ هذه السياسة فى « آشـــور » ملكها « آشور — ناصر — بال » الثانى الذىحكم من (٨٨٣ — ٨٥٩) ق٠م وهو يعد أعظم شخصية ضـــارية وضارية فى المرحلة الأولى من عصر « آشور » الحديث (١٣) .

وهذا هو موضوع بحثنا فى تتبع حروب هـــذا الملك وما وصلت الامبراطورية الآشورية اليه فى عهده من رقى وازدهار وسوف يقصر

---

(١٠) صالح (عبد العزيز) المرجع السابق ، ص ٥٠٨ .
(١١) المرجع السابق .
(١٢) صالح (عبد العزيز) المرجع السابق، ١٩٧٣ ص٥٠٨—٥٠٩ .
(١٣) المرجع نفسه .

الباحث حديثه فى هذا المقال عن حروبه فى الفترة من ٨٨٣ الى عام ٨٨٠ ق٠م ٠

لقد شغل هذا الملك حكمه بعدد من الحملات الحربية وذلك لتوطيد السلطان الذى ورثه عن أبيه ٠ وتعتبر حملاته خلال الفترة التى سيتناولها الباحث من الحملات الهامة فى تاريخ الدولة الآشورية ٠ هذا وقد عثر على أخبار حملاته مدونة على ألواح فى معبد الاله « نينورتا » فى مدينة « كالخ » وقد فقد جانب كبير منها ولكن لحسن الحظ أن مابقى يكفى ليلقى ضوءا على الجهود التى بذلها (١٤)٠

وقد رأى « آشور — ناصر — بال » الثانى أن من واجبه اكمال المسيرة التى بدأها والده « توكلتى نينورتا » الثانى الذى بدأت فى عهده الفتوحات الخارجية ٠ وقد كان ابنه بحق خير من حمل لواء الجهاد والدفاع عن « آشور » خلال فترة حكمه وقد كان هدفه يتمثل فى استكمال الفتوحات الخارجية ، والقيام بضم المقاطعات القبلية المتاخمة للحدود الآشورية من ناحية الشرق والغرب والشمال ٠

وتعبر حوليات هذا الملك — التى أشرنا اليها آنفا — عن قسوة وشراسة بالغة أثناء قيامه بمهاجمة الأعداء ٠ ومن دراسة الحملات التى قام بها والحروب التى خاضها نستشف من خلالها عظمة الأعمال العسكرية التى قام بها وكلها أعمال أرست جذور السيادة الآشورية لمدة تربو على قرنين من الزمان ٠

ففى الجهة الشرقية نجد الملك « آشور — ناصر — بال » الثانى كان عليه تنفيذ خطتين :

أولا — ممارسة السيادة المركزية على المقاطعات المقامة فعلا ٠

(14) Luckenbill, D. D. Ancient Records of Assyrya and Babylonia, vol. I, Chicago 1926, p. 141.

ثانيا — أن تعترف القبائل المتاخمة للحدود الآشورية بسيادته عليها [١٥] .

ومن أجل تنفيذ هدفه نجده بعد اعتلائه العرش مباشرة اتجه عبر التلال الواقعة شرق نهر دجلة مصطحبا معه أعدادا صغيرة من القوات العسكرية اذ أن القتال فى هذه المرحلة كان لايتطلب أعدادا كبيرة بسبب وعورة الطبيعة التى أوجدت صعابا جمة للتحركات العسكرية فيها . ونجد أن الجيش الآشورى قد نظم فى وحدات عسكرية وفقا لطبيعة أسلحته . اذ أنه قد توصل — كما أسلفنا — لمعرفة سلاح أقرب مايكون الى الدبابات، وقد ذكر عنها «سميث» أنه لم يتوصل الى معرفتها أى شعب آخر من شعوب المنطقة [١٦] .

ولعلنا نضيف الى ذلك أنه لم تظهر مناظرها على الجدران الآشورية قبل عهد « آشور — ناصر — بال » الثانى ولكن من ناحية معرفة شعوب المنطقة لها من عدمه فقد نختلف مع ماذهب اليه « سميث » فى وجهة نظره السابقة اذ توجد وثائق من « مارى » و « بوغاز كوى » توضح أنها كانت مستخدمة منذ القرن الثامن عشر ق.م [١٧] .

وقد استهل الملك حولياته بتمجيد الآلهة التى ساندته وآزرته فى حومة الوغى ، وأيدته — على حد المعتقد الآشورى — بنصر من عندها فيقول موجها حديثه الى الاله : « نينورتا » حيث ذكر عنه

---

(15) Smith, M. A. Sidney : Sidney : The Foundation of the Assyrian Empire, in C.A.H. vol. III, London, 1965 p. 12.

(16) Smth, Sidney : The Foundation of the Assyrian Empire, 12.

(17) Madhloum, Tariq : op cit., p. 9 Note No. 1. See also, Olmstead, AT. History of Assyria, New York — London, 1923 p. 81.

أنه « القوى ، المتين ، سيد الآلهـة ، الشجاع ، العمـلاق ، الحق ، المقدام فى حومة الوغى ، ••• أنا « آشور ـ ناصر ـ بال » ، الملك القوى ،ملك الكون ، الذى لانظير له ، ملك أركان العـالم الأربعـة ، شمس النـاس جميعـا ، محبوب انليل ونينورتا •• عابد الآلهـة العظيمة ••• » (١٨) •

ثم يأتى بعد تمجيد الآلهة فقرة تتضمن قيام الملك بتوجيه جيوشه ناحيـة الشرق أولا بينما أننـا سوف نجد أن أخطر الجبهـات كانت فى الغرب ضـد العناصر الآرامية • وربما قصد الملك اخضاع الشرق أولا لسببين :

أولا ـ أن تكون الحدود الشرقية أضعف وقد أراد بذلك تحقيق انتصارات سريعة فيها •

ثانيا ـ ربما يكون قـد أراد أن يسيطر على الشرق لتأمين ظهره ويتفرغ لمواجهـة الآراميين فى الغرب ، ومن هنـا تـكون الأهميـة الاستراتيجية لغزو الشرق أولا •

وذكر الملك عن هذه الحملة ، ان قـواته عبرت جبـالا شـديدة الانحدار ، وسلكت مسالك وعرة ، لم يسـبق اعـدادها لمرور القوات والعربات وأطلقت الحوليـات على هذه المنطقة الواقعة شرق «آشور» مباشرة اسم أرض « توم » Tumme وكانت تقع فى قلب الجبل ويطلق على قلعتها اسم « جوب » Gubbe وقـد فـر مدافعوها الى جبل شـديد الانحدار وكانت قمتـه أشـبه ماتكون بسن خنجر حـديدى ولعظم ارتفـاعها كانت الطيور لاتستطيع الارتفاع اليها أو حتى بلوغ منتصفها (١٩) وأقام الفـارون تحصيناتهم عند قمته الا أن جنود الملك

---

(18) Luckenbill, D. D. op. cit., p. 141 pass. 440.

(١٩) يبدو أن هـذا التشبيه مبالغ فيه الا أنه فى ذات الوقت لايخلو من حقيقة أن الجبل كان شديد الارتفاع .

تمكنوا من الوصـــول اليهم خلال ثلاثة أيام وصـــعد الملك على قدميه ودمر معسكرهم وشتت شملهم وصـــبغ الجبل بـــدمائهم • وللأسف لايوجد من بين ماتبقى من حوليات مايحدد موقع هذه المنطقة بالضبط سوى ذكر النص أنها كانت الى شرق « آشور »[٢٠] •

وقد استولى الملك خلال هذه الحملة على جميع المـــدن الحصينة الواقعة فى نطاق أرض « توم » ويذكر الملك عبارة هامة وهى أن هذه المناطق لم يسبقه اليها أحد من أجداده ، وأن جنوده كانوا يمشطون الجبل وقلوبهم مفعمة بالشجاعة ، وقد استطاع قتل ٢٠٠ من مقاتليهم بالسيف وأنه دمر المدن وخربها وبالنار أحرقها[٢١] •

ثم تتجه جيوشه بعد ذلك الى شمال « آشور » الى منطقـــــة « كيرورى » Kirruri وهى منطقة كانت تابعة للسيادة الآشورية وكان عليها امداد الملك بالخيل والبغال والماشية والضأن وأوانى البرنز والخمر وأثنـــاء تواجد الملك فى « كيرورى » نجـــد أن « جيلزان » Gilzan الواقعة شمال « آشـــور » وكذلك « هوبوشكيا » الواقعة الى الشمال الغربى من « آشـــور » قامتـــا باحضـــار الخيل والذهب والفضة والقصـــدير والنحاس والأوانى النحاســية الى الملك وهـــذه الأشياء تمثل الجزية المفروضـــة عليهما[٢٢] ويبـــدو أن قيـــام هاتين المنطقتين بدفع الجزية للملك بدون قتال أنهما لم تظهرا العداء فى هذه الأثناء للملك الآشورى[٢٣] •

ثم تذكر النصوص قيـــام « آشـــور ــ ناصر ــ بال » الثـــانى

---

(20) Olmstead, op. cit.. p. 84.

(21) Luckenbill, D.D op. cit. vol. I p. 141 pass 440

(٢٢) عن « كيرورى » و « جيلزان » و «هوبوشكيا» أنظر الخريطة فى نهـــاية المقال •

(23) Olmstead, op. cit., p. 85.

بعبور ممر يطلق عليه اسم ممر « هولون » متجها الى أرض « كيرهى » Kirhi وتقع الى الغرب من «هوبوشكيا» فى شمال غرب «آشور» وفى هـذه المنطقة واجه الملك مقاومة حقيقية الا أنه تمكن من احتلال مدينـة « نيشتون » عاصمة منطقـة « كيرهى » وفر سكانها الى قمة جبل مرتفع يواجـه مدينتهم ، ولشدة ارتفاع الجبل شبهه الملك بأنه مثل سحابة فى السماء الا أن جنود الملك تمكنوا من تسلقـه وتعقبوا الفارين • ويذكر الملك كذلك أن أحدا ممن سبقوه لم يطأ هذه الجهات ثم بعد ذلك يتنـاول النص كيف أن الملك أعدم ٢٦٠ (٢٤) من مقاتليهم وتم قطع رءوسهم واستخدمت جثثهم كلبنات فى بنـاء الأعمـدة ، واستولى على ممتلكاتهم أما عن « بوبو » بن « بويا » حاكم مدينة « نيشتون » فقـد أخذ الى مدينة « اربلا » Arbela (٢٥) الواقعـة شرق نينوى وهناك سلخ جلده حيـا ونشر على جدران المدينـة ، ثم أقام الملك تمثالا لنفسه وسجل انتصاراته عليه (٢٦) •

ويذكر « سميث » : ان حاكم « نيشتون » هـذا قـد قـاوم مقاومة مستميتة فكان جزاؤه أن سلخ حيـا ، وكما يبـدو لنـا من الحوليات أن هـذا يعد أول سلخ لحاكم وهو على قيد الحياة • وتجدر الاشارة الى أن سياسة العنف هذه التى سلكها الملك مع أعـدائه كانت لهـا نتـائج ايجابيـة نحو سيطرته على أماكن فتـوحاته لفترات طـويلة (٢٧) •

يلاحظ أن العمليـات العسـكرية « لآشـور ــ ناصر ــ بال » الثانى قد بدأت فى الشرق ثم اتجهت شمالا حيث قضى على عصـيان

---

(24) Luckinbell, op. cit., p. 143 pass 441

(٢٥) وهى اربيل الحاليـة .

(26) Luckenbill, op. cit., p. 143 pass 441

(27) Smith, S. The Foundation of The Assyrian Empire, p. 12.

منطقـــة « كيرهى » وتابع عمليـــاته فى الشمال حيث اســـتولى على المـــدن الواقعـــــة جنوب جبـــل « نيبور » الواقع الى الجنـــوب من « هوبوشكيا » وأعمل فى سكانها الذبح ودمـــر مدنهم أما الذين غروا منهم حضروا وقبلوا أقدامه وفرضت الجزية عليهم (٢٨) •

ثم اتجه بعد ذلك جنوبا الى منطقـــة هامة وهى « كوتموهى » جنوب جبل « نيبور » وقامت بدفع الجزية التى تضمنت أوانى نحاسية وماشية وأغناما ونبيذا •

تشير نصوص الحوليـــات بعـــد ذلك الى أن الملك « آشـــور ـــ ناصر ـــ بال » الثانى كان يرغب من وراء حروبه السالفـــة الذكر فى الشرق والشمال الى عزل منطقة « كاشيارى » Kashiari الجبلية الا أن هـــذه الخطة لم يقـــدر لها الاستمرار اذ أن الآراميين القاطنين على نهر الخابور الأسفل قـــد أعلنوا العصيان على « آشور » ومادمنا سوف نتحدث عن الآراميين فتجدر الاشارة الى الدويلات التى أقاموها عند نهر الخابور الأسفل وعلى أخصب منطقة فى هذا الجزء •

فقد كانت « ديكانى » Dikanni ـــ احدى هذه الدويلات ـــ تقع على الضفة الغربيـــة لنهر الخابور بينما الى الجنوب منهـــا وعلى ضفة الخابور الشرقية قامت دويلة « حالوب » Halupe وكانت تعتبر أهم دويلة فى هذه المنطقة الواقعة الى الغرب من « آشور » ولا تبعد كثيرا عن نقطة التقاء نهر الخابور بنهر الفرات •

وعلى هذا الجانب الغربى ـــ أيام ضعف « آشـــور » ـــ قامت مملكة آراميـــة كبيرة لها وزنهـــا ، واعتبرت الـــوريث الفعلى لدولة

---

(28) Luckenbill, DD. Ancient Records of Assyria and Babylonia. p. 143 pass 442.

« ميتانى » اذ أنهــا امتدت من انحنــاءة الفرات شمالا حتى البــالخ جنوبا وهى دويلة « أدينى » [٢٩] .

وفى الشمال الغربى من « آشور » قامت دويلة بيت « زمانى » التى أخضعها « آشور ــ ناصر ــ بال » الثانى [٣٠] .

هذا عن الممالك الآرامية التى قدر « لآشور » أن تصطدم بهــا نعود الآن لمواصلة حديثنا عن الثورة التى قامت ضد أمير « حالوب » المــدعو « حاماتاى » الذى أظهر مودته « لآشــور » فى عهــد الملك « توتكلتى نينورتا » الثــانى وهذه الثورة هى التى أوقفت خطة الملك لعزل منطقــة كشيارى الوعرة حيث يذكر لنــا فى حولياته أنه بينما كان فى « كوتموهى » وردت اليه أنبــاء عن مصرع « حاماتاى » [٣١] حاكم « حالوب » وأن الذى نفذ ذلك هو المدعو « أهيا بابا » اللقيط (يذكر عنه النص « أنه ليس ابنا لأحد ») ربما يقصد بذلك أنه مجهول النسب [٣٢] وقد حرضت دويلة « أدينى » لهذه المؤامرة المدن الواقعة على نهر الخابور لكى تنضم الى الآراميين [٣٣] .

لقد كانت الثورة فى مدينة «سورو» Suru التابعة «لحالوب» وعلى اثر أنبــاء الثورة يقول « آشور ــ ناصر ــ بال » الثانى : انه تقدم جنوبا بمحازاة نهر الخابور ومعه عرباته الحربيــــة ويذكر لنــا أسماء بعض المدن التى حصل منهــا على الجزية أثنــاء تقــدمه مثل حصوله على جزية مدينــة « قطنــة » وكانت عبــارة عن فضة وذهب

---

(29) Olmstead, History of Assyria, pp. 85 — 86.

(٣٠) أنظر موقع « دويلة » زمانى على الخريطة المرفقة بالبحث .

(31) Luckenbill, D.D. op. cit, p. 144 pass 443

(32) Luckenbill, D.D. op. cit, p. 443

(33) Smith, S. op cit, p. 12.

وقصدير وأوانى نحاسية وبعض الملابس الصوفية والكتانية ثم اقترب من مدينـــة « سورو » وقـــد تملك الرعب أهلها وعلى اثر ذلك تقـــدم اليه رؤساء المـــدينة ووجهاؤها من أجل أن يمنحهم نسيم الحيـــاة . وقبلوا أقدام الملك قائلين (٣٤) :

« ... ان كانت تلك مشيئتك فاذبحنا أو ان شئت فدعنا أحياء . افعل بنـــا مايتوق اليه قلبك ... وبشجاعة قلبى وبحد سيفى عصفت بالمدينة فأمسكوا بكافة العصاة وسلموهم الى » (٣٥) .

وبعد أن دخل المـــدينة سلب كل مافيها من فضة وذهب ، وسبى نساء « أهيا بابا » اللقيط وجميع الثائرين .

ثم يتحدث النص عن وسائل التعـــذيب التى اتبعها « آشور — ناصر — بال » الثانى ضد أعدائه فذكر أن الملك أقام عليهم من قبـــله حاكما يدعى « ازى — ايلو » وأقام عمودا أمام المدينـــة وسلخ جلود جميع الرؤساء الذين دبروا الثورة ، وتم تغطيـــة العمود بجلودهم ، كما وضع أجساد بعضهم (كلبنات) داخل العمود ، ووضـــع آخرين فوق الخوازين التى ثبتت فى أعلى العمود ، وآخـــرين وضـــعوا على خوازيق نصبت حوله ، وسلخ العـــديد منهم ونشرت جلودهم على الأســـوار .

وقام الملك باصـــطحاب « أهيـــا بابا » الى « نينوى » وقـــام بسلخه ونشر جلده على أســـوارها . وكما يذكر الملك أنه فرض نفوذه على أرض « لاك » Laqe كمـــا تســـلم جـــزية « حايانى » حاكم « هنـــدانى » Hindani الواقعـــة جنـــوب أرض « لاك » ثم قام

---

(34) Olmstad. op. cit, p. 87.

(٣٥) رو (جورج) العراق القديم ترجمةوتعليق حسين علوان‌حسين ومراجعة د. فاضل عبد الواحد على — بغداد ١٩٨٤ ص ٣٨٩ .

الملك بعمل تمثـــال لنفسه سجل عليه أخبـــار شـــجاعته وانتصــاراته وأقامه فى منتصف قصر « أهيـــا يابا » كما أقام لوحات عنـــد بوابة المدينة تروى أخبار انتصاراته (٣٦) •

على ضوء ما تقـــدم وما رأينـــاه من انتصارات على يد « آشور — ناصر — بال » الثانى نجد أن ضراوة المقاومة من جانب الأعداء هو مادفعه الى التنكيل بهم وان العـــامل الاقتصادى قد لعب دورا هاما كذلك فى هذه الفتوحات حيث عاد على الآشوريين بالخير الوفير فتوفر لديهم المال والعتـــاد لمواصلة هذه الحروب الباهظة التكاليف • كمـــا تجدر الاشارة الى أن كل ماسبق من حروب انما تم فى العـــام الأول من حكمه •

أما فى عامه الثـــانى نجده قـــد اتجـــه شمال غرب « آشـــور للقضاء على من ثاروا ضده فى « هلزى — لوهـــا » Hulzi — Luha ومنطقة تلال « كشيارى » وتجدر الاشـــارة الى أن الملك « شلمنصر الأول » (١٢٦٦ — ١٢٤٣) ق•م كان قد أسكن بعض الآشوريين فى « هلزى — لوها » وبرغم أنهم من أصـــل آشـــورى الا أن حاكمهم « هولاى » حمل لواء العصـــيان ، بل وذهب أبعـــد من ذلك وهاجم احـــدى المـــدن التـــابعة « الآشـــور » وهى مدينة « دامداموســـا » Damdamusa بغرض الاستيلاء عليها واستعان الملك بآلهتـــه وقام بقيـــادة جيوشه وعرباته حتى وصل الى منطقة « ايزالا » Isalla وتسلم جزيتها وكانت عبارة عن قطعـــان من الماشية والنبيـــذ وتذكر الحوليات أنه عصـــف بمدينـــة « دامداموســـا » وألقى القبض على « هولاى » وسلخ جلده ونشره على جـــدران « دامداموسا » وأعمل السيف فى أتباعه وذبح منهم ٦٠٠ وتم أسر ٣٠٠٠ وأحرقهم ولم يدع أحدا منهم على قيد الحياة •

---

(36) Luckenbill, op. cit, pp. 144 — 145 pass. 443.

ثم عصف الملك بمدينـــة « تيل » Tille واستولى على ماشية سكانها وقام بتعـــذيبهم فقطع أيادى بعضهم وجـــدع أنوف البعض الآخر ، وسلم آذان فريقا آخر كما سمل أعين البعض ، وأقام بعضهم كلبنات فى أحد الأعمـــدة وعلق جمـــاجم بعضهم فى فروع الأشجار حول المدينة ، وجعل المدينة أثرا بعد عين (٣٧) .

ويبدو أن مدينة « توشهان » Tushhan الواقعـــة الى الشمال من منطقـــة « كاشيارى » قـــد تعاطفت مع « هولاى » فدارت عليها الدوائر حيث يذكر النص أن الملك دمر سورها القـــديم وأتى به حتى أساساته ، وأقام غيره على قوة ومتـــانة ، وبنى داخل أسوارها قصرا خاصا به ، وأقام لنفسه تمثالا نقش عليه أعمـــاله المجيدة كما أحضر الملك فقراء من الآشوريين ــ الذين هاجروا بسبب الفاقة ــ وأسكنهم فى « توشهان » (٣٨) .

ويذكر « أولمستد » أنه جعل « توشهان » ــ الكرخ حاليا ــ مقرا لعملياته الحربية ضد شعوب الشمال فى حملاته المقبلة .

وأثنـــاء اقامة الملك فى « توشهان » قام باســـتقبال الوفود من جميع أرض « نايرى » ومن الآراميين . وبعد عودة الملك من حروبه المظفرة هذه تلقى الجزية والولاء من « هانيجالبات » Hanigalbat الواقعة فى شمال غرب « آشور » وتقع الى شمالها امارة «نصيبينا» وهى احدى المقاطعات الحيثية القديمة .

وفى عام ٨٨١ ق.م تقريبـــا ثار مواطنوا « زاموا » فى شرق « آشور » وفكر المتآمرون فى غزو « آشور » ذاتها فشن الملك على

---

(37) Luckenubill,pp . 146 — 147 pass. 445.

(38) CF. Olmstead, op. cit., pp. 87 — 88.

الثوار أربع حمـــلات قصـــيرة كانت كفيلة باعادتهم الى صـــوابهم ، وطارد الملك الفارين داخل المرتفعات •

وفى عام ٨٨٠ ق•م ترددت المقـــاطعات الشرقية فى دفع الجزية للملك فى فترة انشغاله باعادة تنظيم مقاطعـــة « زاموا » وكان ذلك أمرا مشجعا لمدينـــة « اتليلا » للتمرد على الملك ولـــكنه أعادها الى سيادته • ويبـــدو أن المنطقـــة كان بها لفيف من الصناع المهرة الأمر الذى شجع الملك على أن يرسل عددا منهم الى مدينتـــه وعاصـــمته الجميلة « كالخ » (٣٩) •

وتجدر الاشـــارة الى أن الملك نجح فى الاســـتيلاء على جبـــل « كينيبا » Kinepa الذى يبلغ ارتفـــاع قمته ٢٠٠٠ قـــدم • الأمر الذى أشعر الملك بسرور عظيم اذ ذكر أنه أول من وصل اليه ، وكان الآشوريون يعتقـــدون أنه الجبل الذى هبطت عليه ســـفينة « نوح » عليه السلام بعد الطوفان •

هذا ويبدو أن الملك قد اتخذ من «أركادى» Arkadi مقرا للقيام بعدة هجمات عسكرية فى جميع الأراضى المجاورة وأطلق عليها اســـما جـــديدا وهو « توكلتى — آشور — أسبات » ومعنـــاه (استوليت عليها بقوة الاله آشور) واذا نظرنا الى الخريطة المرفقة نجد أنهـــا تقع الى شمال « زاموا » والى الجنوب الغربى من « كينيبا » فى شرق « آشـــور » (٤٠) •

---

(39) Smith, Sidney . op. cit, pp. 12 — 13.

(40) Olmstead, op. cit, pp. 88 — 89 .

« زاموا » عبارة عن مقاطعـــة فى جبال زاجروس فى شرق ايران •
راجع :

Beek, Martin A. Atlas of Mesopetamia, Trans. by Rowley, H.H. Neelson, p. 161.

نتائج الدراسة :

يلاحظ الباحث أن الملك « آشور — ناصر — بال » الثانى قد سار فى عملياته العسكرية مبتدءا من الشرق متجها بعد ذلك الى شمال شرق « آشور » عند منطقة « كيروری » ، ثم نجده يتجه بعد ذلك الى « كيرهى » وتعبر النصوص أنه كان يقاتل فى مناطق شديدة الوعورة • الأمر الذى يعطينا انطباعا عن شجاعته واقدامه فى بناء الامبراطورية الآشورية فى النصف الأول من القرن التاسع ق•م ، ثم نجده يتجه الى كوتموهى « جنوب جبل نيبور » ، الأمر الذى يعطينا انطباعا أنه كان يقصد من وراء خطته هذه الى عزل منطقة «كاشيارى» الجبلية •

ثم ينتقل بعملياته بعد ذلك الى الحدود الغربية « لآشور » مصطدما بالعناصر الآرامية وقد حقق نجاحا كبيرا فى ضرب تجمعات الآراميين فى الغرب •

من ذلك نرى أن « آشور — ناصر — بال » الثانى كان يسير فى حروبه وفق خطة معينة ، ولا سيما أننا سوف نرى توجهه فى حروبه المقبلة غربا حتى يغمس أسلحته فى بحر أمورو وهو البحر المتوسط المواجه لسواحل لبنان •

نلاحظ كذلك أن الملك الآشورى استعان واسترضى الآلهة من أجل تحقيق النصر على الأعداء ، وفى ذلك تتشابه العقيدة العراقية القديمة مع الديانة المصرية القديمة حيث كان الملوك يرجعون انتصاراتهم فى ميادين القتال الى تأييد الاله «آمون» اله الامبراطور•

أمر أخير ينبغى أن نشير اليه وهو وسائل التعذيب التى لجأ اليها هذا الملك فى عقاب أعدائه وقد انفرد الآشوريون بهذه الوسائل

ولم نر شبيها لها على الآثار المصرية القديمة فنجد فى آشور التعذيب بصلم الأذن وجـدع الأنوف وسمل الأعين ، ووضع الأعـداء فـوق الخوازيق ــ وهى وسائل عنيفة ــ ربما كان الدافع اليها شدة مقاومة الأعداء فرغب الملك فى أن يحقق أكبر قـدر من الارهاب فى نفوس أعدائه حتى يضمن عدم قيامهم بثورات خلال عهده •

يلاحظ البـاحث كذلك أن الملك خلال حروبه السابقة قـد تجنب الحرب جنوبا مع يابل ربما ليجعل عملياته مؤثرة فى وسط الفرات وفى الشمال والغرب • هذا واننـا نجد « آشور » بلا شك قـد حققت ثراءا كبيرا من وراء الاستيلاء على منتجات المدن المقهورة وقيـامها ــ الى جانب ذلك ــ بتحصيل الجزية الأمر الذى مكنها بدون شك من مواصلة عملياتها الحربية بنجاح •

وبعد هل استقامت الأمور « لآشور ــ ناصر ــ بال » الثـانى بعد هذا العناء ؟ فهذا موضوع دراسة مستقبلية انشاء الله •

ملحق الوثائق :

اللوحة رقم (١) تمثل منظرا للملك « آشـــور ـــ ناصر ـ بال » الثـــانى •

اللوحة رقم (٢) منظر يمثل الملك وهو يهـــاجم الأعـــداء بعرباته الربيــــــة •

اللوحة رقم (٣) تمثل أدوات الحصار الآشورية التى استخدمت فى عهد « آشور ـــ ناصر ـ بال » الثانى فى العراق القديم •

الخـــرائط :

(١) خريطة للشرق الأدنى القديم موضحا عليها المدن القديمةالتى دخلتها جيوش الملك « آشور ـــ ناصر ـ بال » الثانى •

الملك « آشور — ناصر — بال » الثانى

عن : بارو (أندريه) بلاد آشور ، ترجمة وتعليق دكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتى — الجمهورية العراقية ، سلسلة الكتب المترجمة ١٩٨٠ ص ٣٣ .

منظر من مدينة « كالخ » (نمرود) « آشور ــ ناصر ــ بال » الثانى يقود سلاح العربات فى ميدان القتال .

عن : بارو (أندريه) المرجع السابق ، منظر رقم ١٨ ص ٣٠ .

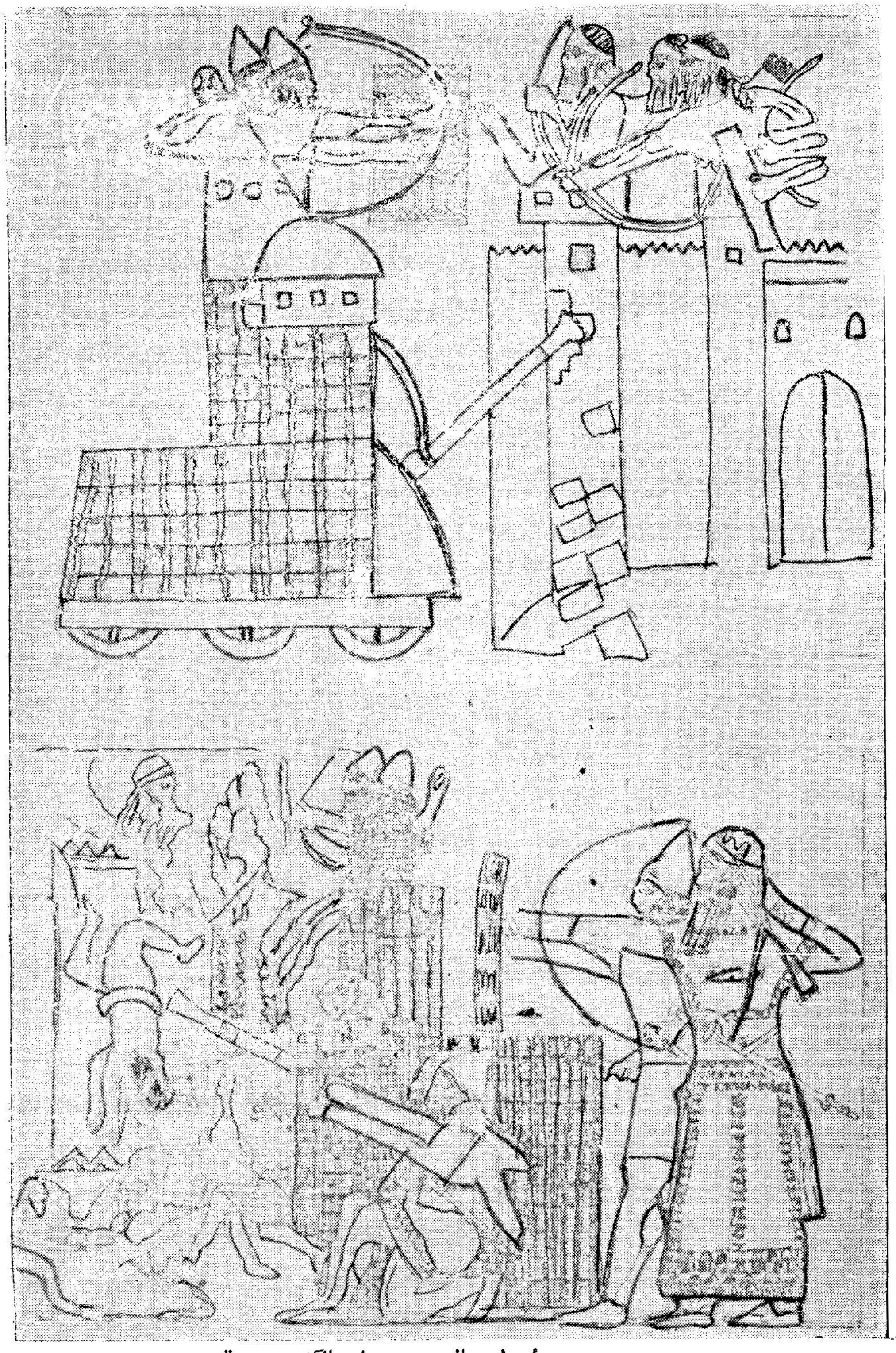

أدوات الحصـــار الآشــورية

عن : Madhloum, Tariq : Assyrian Siege - Engines, Sumer vol. XXI, A Journal of Archaeology and History in Iraq . 1965 Pl. I , A and B.

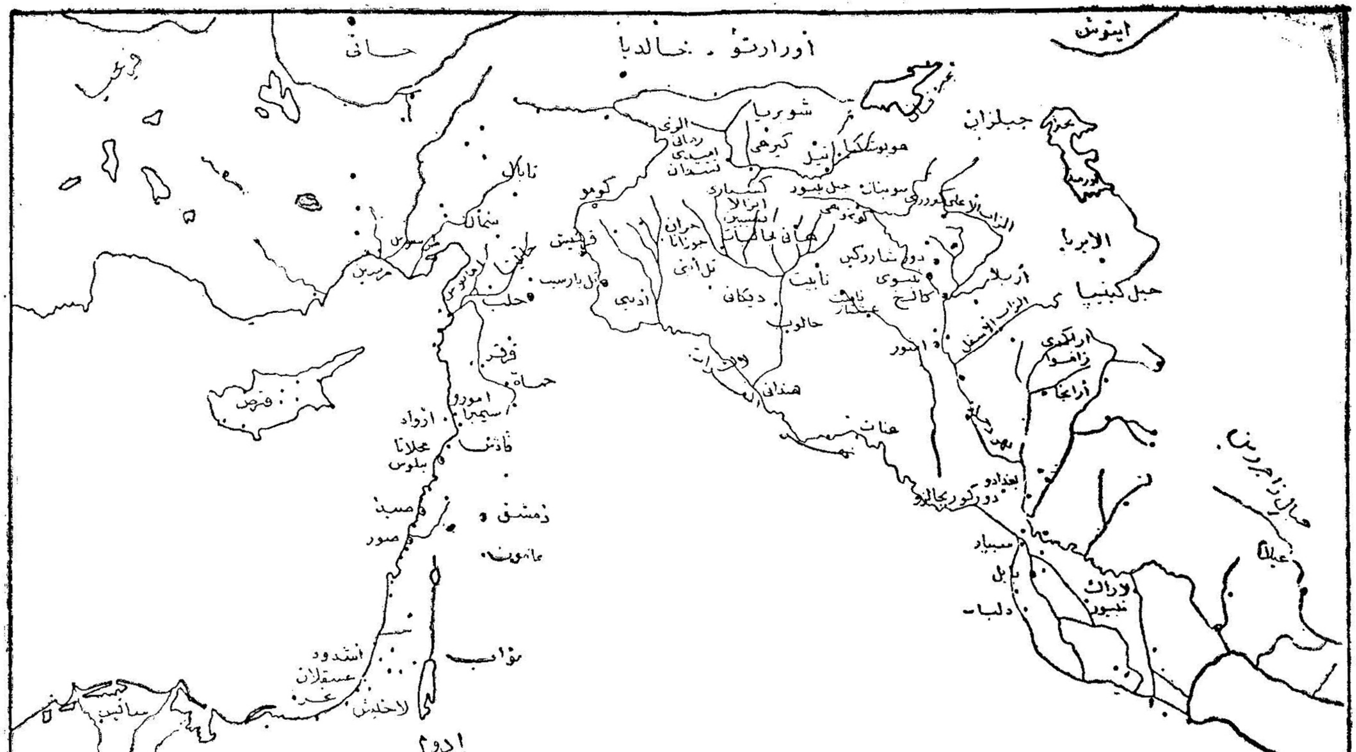

الشرق الأدنى بين عامي ١٠٠٠ : ٦٠٠ ق.م
عن
Olmstead, A.T. History of Assyria, London, 1923.

المتغيرات الاجتماعية في المجتمع المصرى
خلال الحرب العالمية الثانية

دراسة تم عرضها فى الموسم الثقافى
للجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٨٥/٨٤

دكتور محمــد صــابر عرب
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
بجامعة الأزهر

لعل من الدراسات التى ما تزال فى حاجة الى مزيد من اهتمـــام الباحثين والمؤرخين ــ هى دراسة التاريخ الاقتصادى والاجتمـــاعى للمجتمع المصرى ، وعلى ما أعتقد فان المجتمع المصرى لم يشهد طوال فترة التاريخ الحديث طفرة مفاجئة فى شتى مناحى الحيـــاة كالتى شهدتها فترة الحرب العالمية الثانية •

لقد شاءت الظروف أن تندلع الحرب العالمية الثانية ومصر مكبلة بمعاهدة ١٩٣٦ ، تلك المعاهدة التى ألزمت مصر باعلان الأحكام العرفية ، حيث أتيحت الفرصة لبريطانيا لكى تطلق يدها ليس فى الشئون السياسية فقط ، بل فى الشئون الاقتصادية أيضا واخضـــاع اقتصاد مصر لخدمة الجيوش المتحالفة ، واذا كانت الحكومة المصرية قد أعلنت الأحــكام العرفية منذ بداية الحرب وبدا هذا واضحا فى العديد من القرارات الاستثنائية الا أن ما ترتب على تلك الاجراءات من ردود فعل داخـــل المجتمع المصرى يعد بعدا اجتماعيا واضحا ، حيث عاشت الجماهير فى حالة أشبه بالمأساة وانتشر الهمس بين أوساط المصريين البسطاء بأن أركان الحرب البريطانية قـــد اقترحت على الحكومة المصرية ارســـال

جيش من المتطوعين لخوض غمار الحرب على الجبهة الأوربية ، كما تردد فى ريف مصر بأن الدواب والمواشى سوف تصادر ، وأن مديرى المديريات المصريين سوف يستبدلون بضباط انجليز [1] .

وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية قد حاولت فى العديد من المناسبات أن تكذب هذه الدعايات الا أنها لم تستطع بأى حال أن تقلل من حجم الكراهية الشديدة التى يكنها المصريون للاحتلال ولم تتمكن الحكومات المصرية المتعاقبة خلال فترة الحرب من أن تبدد من حالات القلق النفسى الذى سيطر على كل فئات الشعب ولا شك أن حالة الحرب وسيطرة الدول المحاربة على البحار قد جعلت مصر فى عزلة اقتصادية عن العالم ولم تتمكن من تصريف حاصلاتها الزراعية وخصوصا القطن الا الى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لدرجة أن انخفض سعر قنطار القطن الى ٢٠ ريال بينما كان يباع فى الأسواق الأجنبية الأخرى بخمسة وثلاثين ريالا [2] .

وبالرغم من أن الحكومة البريطانية قد قدرت أهمية الاقتصاد الزراعى المصرى وضرورة توجيهه لسد العجز الواضح فى المواد الغذائية بسبب صعوبة النقل البحرى [3] الا أن السياسة البريطانية قد أرجعت تردى الحالة الزراعية فى مصر الى دعايات المحور التى تحاول اقناع المصريين بأن سبب شقائهم هم البريطانيون والذين ينتهزون فرصة الحرب ويتحكمون فى أسعار القطن طبقا لمصالحهم الخاصة .

---

(١) مارسيل كولومب ، تطور مصر ١٩٢٤ — ١٩٥٠ ترجمة زهير الشايب القاهرة ١٩٧٢ ص ١١٨ ، روز اليوسف ١٢ يولية ١٩٤٤ .

(٢) الوفد المصرى ١٢ اغسطس ١٩٤١ .

(٣) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ١٣٦٢ من لامبسون الى هاليفاكس ٨ نوفمبر ١٩٣٩ .

ويضيف السفير البريطاني في تقريره : « أنه لابد من دحض هذه المقولة العدائية •• ومن باب العدل أن نعترف بأن الحرب قــد جلبت الشقاء على الشعب المصرى ومن الخطر أن نترك المصريين تحت شعور الاحساس بالظلم ، وخصوصا وأن ما يردده رجل الشارع العــادى يتفق بصورة كبيرة مع ما يردده الأعداء [٤] •

وثقة من بريطانيا فى أن مصر لن تتمكن من ايجاد سوق عالمى لتصريف انتاجها بسبب التكتلات الدولية فقد تحكمت فى سوق القطن المصرى بلا أى منافسة وعجزت الحكومة المصرية عن ايجاد سوق بديل لهذا المحصول الذى يعد عمود الاقتصاد للشعب المصرى [٥] •

ومن الطريف أن الصحف البريطانية قد حاولت تبرير فرض هذا السعر المنخفض بحجة أن رفع أسعار القطن لا يفيد سوى حفنة من الباشوات مما أثار قلق هؤلاء الباشوات ، حيث انبرت صحيفة الوفد المصرى قائلة : لمصلحة من يريدون بذر بذور الشقاق بين طبقات المجتمع المصرى واحداث مشكلة اجتماعية من أعقد المشكلات التى أقلقت بال أمم كثيرة » [٦] •

وفى الوقت الذى انخفضت فيه أسعار القطن المصرى انخفاضا ملحوظا فقد ارتفعت أسعار باقى المواد الغذائية الأخرى وأهمها القمح ، ولذا فقد بادر مجلس النواب بتشكيل لجنة شئون القطن والمحاصيل الزراعية وخرجت اللجنة بالعديد من التوصيات التى تعبر عن تــردى

---

(٤) المصدر الســابق •

(٥) مضابط مجلس الشيوخ ــ دور الانعقاد السادس عشر جلسة ٨ سبتمبر ١٩٤١ من كلمة النائب يوسف الجندى ص ٨٢٢ •

(٦) صحيفة الوفد المصرى ١٩٤١/٨/٢٣ •

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، حيث اعتبرت اللجنة فى احــدى توصياتها « أن ربح الزراع يقدر بقيمة التبن فقط » [٧] .

وعلى حد قول أحد الأعضاء تعليقا على هذه الحقيقة الخطيرة : « لقد كانت اللجنة مسرفة جدا فى تقريرها لأن ارتفاع أسعار السماد وفرض الضريبة الجديدة على الأرض الزراعية يحول دون حصول الفلاح حتى على قيمة التبن » [٨] .

ووفقا لتدهور الحياة الاقتصـــادية فى مصر عموما وفى القرية المصرية على وجه الخصوص فلقد تدهورت الأوضاع الاجتماعية للفلاح المصرى وخصوصا عامل اليومية حيث انخفضت أسعار العمال الزراعيين الى حد يصعب على العامل أن يوفر قوت يومه ولذا فقد شهدت القاهرة ومدن القناة حيث توجد معسكرات الجيش البريطانى أكبر عملية هجرة شهدتها مصر خلال النصف الأول من هذا القرن .

ولقد شهد المجتمع المصرى خلال الحرب أسلوبا جديدا من الاستغلال ضاعف من تدهور الأوضاع الاجتماعية وهو أسلوب المضاربة بالأراضى الزراعية ، حيث كان استئجار الأراضى الزراعية ثم اعادة تأجيرها أكثر ربحا بالنسبة لكبار ملاك الأراضى [٩] .

وفى محاولة من حكومة مصطفى النحاس لمواجهة تلك الحـــالة المتردية فقد شكلت لجنة مصرية انجليزية بناء على اقتراح الســفير البريطانى بهدف شراء القمح بسعر ثلاث جنيهات للأردب ثم بيعــه

---

(٧) مضابط مجلس النواب الجلسة ٤٦ ، ١٦ يونية ١٩٤٧ ص١٤ ، ١٥ .

(٨) المصدر السابق من كلمة النائب جلال حسين .

(٩) رفعت السعيد ، تاريخ المنظمات اليسارية ص ٣٤ .

للجمهور بنصف هذا الثمن عن طريق البطاقات التى أعدت لهذا الغرض [١٠] •

الا أن تلك المحاولة لم يقدر لها النجاح سواء بسبب اعتماد جيوش الحلفاء فى أوقات كثيرة على الحاصلات الزراعية المصرية بالاضافة الى قلة المعروض بسبب نقص السماد لعدم امكانية الاستيراد أو بسبب التلاعب فى تلك البطاقات بسبب السياسية الحزبية التى سلكها الوفد •

وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية فى محاولة منها لتبديد حالة القلق التى سيطرت على الشعب المصرى فقد أصدرت بيانا نشرته معظم الصحف المصرية يحمل حملة شديدة على الدعايات المحورية التى يشنها الأعداء من أن وجود القوات المتحالفة هو سبب نقص الغذاء فى مصر وشمل البيان ما يفيد من أنه لا علاقة بين الأزمة الغذائية المتردية فى مصر والقوات المحاربة مؤكدا على أن الحكومة البريطانية قد قامت بتقديم العديد من المواد الغذائية الى الحكومة المصرية [١١] •

وتبدو المغالطات واضحة فى بيان الحكومة البريطانية واذا تغاضينا عن حقيقة مؤكدة وهى أن مصر كانت تصدر فائضا من احتياجاتها الغذائية قبل الحرب يقدر بعشرة ملايين من الجنيهات بخلاف القطن الذى يمثل صلب الاقتصاد المصرى اذا تغاضينا عن كل ذلك وتركنا الأرقام لتنطق بمدلولها ، حيث بلغت الأرصدة الاسترلينية المستحقة الدفع على الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٥ أربعمائة وخمسين مليونا من الجنيهات وهذه الأرصدة جميعها نظير مواد غذائية وقطنية [١٢] • وكانت سببا من أسباب التضخم وهبوط القيمة الشرائية للنقد مما أدى الى الغلاء

---

(١٠) مضابط مجلس النواب الجلسة الثامنة ١٢ يناير ١٩٤٣ ص٢٦٤

(١١) الأهرام ، المصرى ٢١ فبراير ١٩٤٢ •

(١٢) مضابط مجلس النواب دور الانعقاد غير العادى ١٠ أكتوبر ١٩٤٥ ص ٣٤ •

الفاحش فى الأسعار وارتفاع تكاليف المعيشة حيث بلغ هذا الارتفاع مع نهاية الحرب الى ٣٥٠٪ عما كانت عليه قبل الحرب على الرغم من أنها لم تزد فى انجلترا عن ١٣٥ فى المائة وفى الولايات المتحدة عن ١٤٥ فى المائة فى الوقت الذى كانت فيه مصر تنتج حاجاتها من المواد الغذائية والبلاد التى تنتج هذه الحاجات كجنوب افريقيا واستراليا لم تزد تكاليف المعيشة فيها عن ١٢٠ فى المائة [١٣] •

ووفقا لشعار ضرورات الحرب والذى تبنته الحكومات المصرية المتعاقبة خلال الحرب فقد أمكن للعديد من المضاربين وتجار السوق السوداء وسماسرة الحروب من السيطرة على قطاعات كبيرة من الاقتصاد المصرى عن طريق أذونات الاستيراد والتصدير مما لازمه بالضرورة فروق هائلة فى متوسط الدخول نتج عنه تردى واضح فى الحياة الاجتماعية المصرية •

ولقد أدركت حكومة الوفد خطورة الموقف فى القطاع الزراعى ، ولـذا فقد تقدمت بمشروع تجميد الأقساط المتأخرة والمستحقة للبنك الزراعى المصرى والبنك العقارى وبنك الأراضى الى نهاية ديسمبر ١٩٤٢ [١٤] ، ولعل الهدف من هذا القانون كان بسبب تفشى معاملات الربا وعجز الفلاح عن السداد وبالتالى الاقدام على بيع الأراضى لصالح المرابين وأغلبهم من عملاء الباشوات مما هدد بضياع الملكيات الصغيرة [١٥] •

---

(١٣) مجلة روز اليوسف ٢٤ فبراير ١٩٤٥ •

(١٤) مضبطة مجلس النواب الجلسة السابعة ٥ ، ٦ يناير ١٩٤٣ ص ٢٠٤ •

(١٥) مضابط مجلس الشيوخ دور الانعقاد التاسع عشر ص١٦٨ ـ

وبصدد الملكيات الزراعية وتطورها تبدو عدة حقائق غاية فى الخطورة من أهمها :

أولا : أن كبار الملاك (أى الذين يملكون ٥٠ فدانا فأكثر) وعددهم ١٢ر١٨ كانوا يملكون ٢ر٥٠٨ر٢٨٦ فدانا [١٦] •

ثانيا : أن مقدار الأراضى التى يملكها كبار الملاك كانت فى زيادة مستمرة وهذه الزيادة لا يمكن أن تكون الا على حساب صغار الملاك الذين يفقدون أملاكهم • ووفق الاحصاءات الرسمية فلقد كان كبار الملاك يملكون فى سنة ١٩٣٩ ٢ر٤٨١ر٢٥٠ فدانا وفى سنة ١٩٤١ ٢ر٥٠٨ر٢٨٦ فدانا وفى نفس الوقت قل عددهم من ١٢٢٤٩ فى سنة ١٩٣٩ الى ١٢٠١٨ فى سنة ١٩٤١ [١٧] وفى سنة ١٩٤٣ قل عددهم الى ١١ر٢٤٤ وتضمنت المساحة التى يمتلكونها ٣ر١١١ر٤١٥ فدانا •

ثالثا : لقد انخفضت قيمة سعر الفدان من الأراضى الزراعية الى النصف تقريبا عن نظيره قبل سنة ١٩٣٨ [١٨] ولذا فقد شهدت الفترة من سنة ١٩٣٩ وحتى أوائل ١٩٤٤ أكبر تحول فى شكل الملكيات الزراعية وكانت جميع هذه التحولات تتم لصالح كبار الملاك الذين كانوا لا يقطنون القرية وانما كانوا يمارسون دورا اقتصاديا خطيرا عن طريق وكلائهم فى القرية •

ونظرا لأن الظاهرة كانت صارخة بسبب ما ترتب عليها من هزات اجتماعية عنيفة لذا كان لزاما أن يعاد النظر فى الفروق الطبقية

---

(١٦) ملحق بمضبطة مجلس الشيوخ دور الانعقاد التاسع عشر ص ١٦٥ ، ١٦٩ ، (مذكرة تفسيرية للقانون) .

(١٧) المصدر السابق .

(١٨) روز اليوسف ١٦ مارس ١٩٤٥ .

الشاسعة داخل المجتمع المصرى ومن هنا فقد قدم النائب محمد خطاب عضو مجلس الشيوخ بمشروع قانون يحول دون شراء الأراضى للذين زيدت أملاكهم على خمسين فدانا [19] .

واعتقـد أن حـكومة الوفد عقب ٤ فبراير لم تدرك الدلالات الاجتماعية التى تركتها آثار الحـرب حيث زادت الهوة بين الأغنياء والفقراء فما بين عامى ١٩٤٠ — ١٩٤٤ وارتفع عدد أصحاب الملايين فى مصر من ٥٠ الى ٤٠٠ وزادت الودائع فى البنوك من ٤٥ الى ١٢٠ مليون من الجنيهات [20] .

وعلى الرغم من نمو الصناعات المصرية خلال فترة الحرب بمعدل ٥ر٥٪ سنويا وواكب هذا ارتفاع نسبى فى متوسط دخل الأجور الا أن هذا الارتفاع لم يكن يمثل القيمة الفعلية لارتفاع الحاجات المعيشية . ففى الوقت الذى وصل فيه متوسط دخل العامل شهريا الى ٢٩٣ قرشا فقد ارتفع سعر أردب القمح فى السوق السوداء الى سبعة جنيهات ، وفى أحيان كثيرة الى عشرة جنيهات [21] .

وعلى ضوء الاعتبارات العديدة التى اقتضتها ظروف الحرب فقد كان من الطبيعى أن يواكب هذا نموا ملحوظا فى الصناعة وخصـوصا فى الصناعات ذات الطابع الاستهلاكى ، الا أنه من الملاحظ تركز الانتاج الصناعى فى يد قلة من الرأسماليين المصريين بعد أن انعدمت المنافسة

---

(١٩) المصدرين السابقين .

(٢٠) د. عمر عبد العزيز تاريخ العرب الحديث والمعاصر القـاهرة سنة ١٩٨٠ ص ٥١٤ .

(٢١) مضبطة مجلس النواب — الجلسة الثامنة والاربعون ١٤ يوليو ١٩٤٣ ص ٢٣٣٧ .

بينهم وبين أصحاب المصانع الصغيرة وتفسيرا لهذه الظاهرة ، التى تركت بعدا اجتماعيا خطيرا على المجتمع المصرى خلال تلك الفترة فمن الممكن ردها الى ظهور سياسة الاحتكار فى أشكال متعددة ولفئة ارتبطت مصالحها ببعض العناصر وثيقة الصلة بالحكومة بالاضافة الى اعتماد حكومة الوفد بدءا من سنة ١٩٤٢ على بعض العناصر الرأسمالية التى كان من الصعب عليها أن تتجاهل مصالحها الاقتصادية وفى الوقت نفسه فقد ارتبط عدد كبير من الرأسماليين بمصالح الاحتلال الذى سهل لهم الحصول على بعض الامتيازات التى عجز أصحاب المصانع الصغيرة من الحصول عليها •

وفى الوقت الذى شهدت فيه البلاد نموا ملحوظا فى كافة المرافق الاقتصادية فان هذا النمو لم يواكبه تغيرا اجتماعيا بل على العكس فقد تدهورت الأوضاع الاجتماعية لدرجة أن أربعة ملايين شخص من سكان مصر كان يعيش الفرد منهم بايراد يقل عن جنيه واحد فى الشهر ، وفى الوقت نفسه فقد كانت الضرائب غير المباشرة التى يقع عبؤها على الطبقات الفقيرة تمثل ٧٥٪ من الايرادات العامة وأن مرتبات الموظفين تستغرق ٤١٪ من اجمالى مصروفات الدولة [٢٢] •

وتعرضت البلاد لحالة من النهب لصالح البريطانيين وبعض الرأسماليين المصريين وعلى سبيل المثال فان السلطات البريطانية استغلت فرصة ربط الجنيه المصرى بكتلة الاسترلينى ولجأت الى اصدار سندات على الخزانة البريطانية واستخدامها كغطاء مالى لما يصدر من أوراق نقدية مصرية تتسلمها السلطات البريطانية لتشترى بها ما تريد من

---

(٢٢) حافظ عفيفى . على هامش السياسة المصرية ص ١٦٥ .

السوق المصريةوتسدد بها أجور جنود الاحتلال والعاملين فى المعسكرات وقد أدى ذلك بطبيعة الحال الى تزايد شديد فى كمية الصادر من النقد الورقى (٢٣) .

بالاضافة الى أن مصلحة الجمارك قد أعفت السلطات البريطانية فى مصر من ضرائب مستحقه على السلع المستوردة طيلة فترة الحرب بلغت قميتها ٧٩٠ر٧٧٢ر٦١ جنيها مصريا . أما مجموع الضرائب التى تنازلت الحكومة المصرية عن تحصيلها من البضائع المصدرة فبلغت قيمتها ٢٢٩ر١٨٨ر١٠ جنيها مصريا (٢٤) .

ومن الطبيعى أن يواكب كل هذا ارتفاعا ملحوظا فى الأسعار ونقصا أكيدا فى الدخل القومى بدا هذا واضحا فى عدم مقدرة الحكومة على استيعاب الكم الهائل من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن الحرب .

وفى الوقت الذى عجزت فيه قطاعات كبيرة من الشعب المصرى عن فهم مقولة أن بريطانيا تحارب من أجل الديمقراطيات فى العالم — كان المجتمع المصرى يشهد تحولات اجتماعية فى كافة أنماط الحياة المختلفة ، لعل من أهمها انصراف أعداد هائلة من العمال المنتجين فى شتى المؤسسات الصناعية الصغيرة الى مؤسسات أخرى ذات طابع استهلاكى .. وارتباط ذلك بفكرة الانتماء القومى ، تلك الفكرة التى

---

(٢٣) راشد البراوى ، محمد عليش . التطور الاقتصادى فى مصر ص ٢٨٣ .

(٢٤) د/ رفعت السعيد تاريخ المنظمات اليسارية فى مصر ١٩٤٠ — ١٩٥٠ ، ص ٥١ .

كانت تتنامى فى ظل المشروعات القومية الكبيرة .. الا أن الارتفـــاع الباهظ فى تكاليف الحياة قد دفع تلك الجموع العمالية الى البحث عن عمل آخر ، حتى ولو لم يكن فى نفس التخصص طالما أنه يدر عـــائدا مناســبا .

وبينما كل القوى الســياسية المصرية قد انشــغلت بالمزايدات الكلامية فقد كانت الفرصة مهيأة لظهور قوى أخرى احتلت حيزا هاما على مسرح الأحداث المصرية ونعنى قوى اليسار حيث الدعاية السوفيتية وقد حققت قدرا كبيرا من النجاح وغالبا وبدون قصد فقد كان الامريكيون والبريطانيون يقومون بمهمة الدعاية للسوفييت والتأكيد على تطورهم العسكرى ، وتقدمهم الاجتماعى والاقتصادى وعللوا هذه الطفرة فى حياة المجتمع الروس بالثورة الروسية التى تمكنت من استيعاب كل المشاكل الاجتماعية للمواطن الروسى (٢٥) ، وكان من الطبيعى فى مثل هذه الظروف أن تنتشر وبسرعة الأفكار الاشتراكية والماركسية وخصوصا بين الطبقات الاجتماعية التى أدركت حجم التدهور الاقتصـــــادى والسياسى للمجتمع المصرى ، وعلى الرغم من أن الأفكار اليسارية فى مصر لم تكن وليدة الحرب العالمية الثانية ، انما ترجع جذورها الى نهاية العقد الثانى من هذا القرن ، حيث نشأ الحزب الشيوعى المصرى الذى تمكن من ضم مجموعات من العمال الذين أسهموا فى ثورة ١٩١٩ (٢٦) .

الا أن ظروف الحرب وما ترتب عليها من علاقات شــاذة خلقتها

---

(٢٥) وثائق الخارجية الأمريكية وثيقة ٢٤٢ من الخارجية الأمريكية الى كيرك فى القاهرة ١٩٤٣/١٠/١٤ .

(٢٦) د/ رفعت السعيد ، تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر القاهرة ١٩٧٥ ص ١٥٨ .

معاهدة ١٩٣٦ قد ساعد على ايجاد المناخ المناسب الذى ترعرت فيه تلك الأفكار بشكل أقلق كل القوى السياسية التقليدية ، ولعل الاحتلال البريطانى قد تغاضى عن النشاط الشيوعى فى مصر على أمل الاستفادة من تأثيرهم الفكرى والسياسى المناهض للفاشية ، على الرغم من أن شعارهم أنهم ضد الفاشية ولكن ليسوا مع الانجليز [٢٧] .

ومع اقتراب الحرب من نهايتها بدأت نذر البطالة تتجمع من جديد ، لأن وجود القوات المتحالفة فى مصر قد أوجد العديد من فرص العمل حتى وصل عدد العمال المصريين العاملين ضمن القوات المتحالفة الى ٣٠٠ر٠٠٠ ألف سنة ١٩٤٣ [٢٨] .

ونظرا لحاجة القوات المتحالفة الى العمال المصريين فقد كانت تدفع اليهم أجورا سخية نوعا ما وفجأة يتوقف هذا الدخل وتتحول هذه الأعداد الهائلة الى البطالة ، وهكذا اقبلت الموجة الشيوعية لتجد الساحة العمالية مهيأة ، ولذا فقد بدأ المد الشيوعى يعرف طريقه بصورة مكثفة نحو العمال .

ولأول مرة فى تاريخ الانتخابات البرلمانية المصرية سنة ١٩٤٤ شهدت البلاد مرشحين يعلنون أنهم يدخلون المعركة الانتخابية عـلى المبادىء الاشتراكية ويلصقون على الجدران اعلانات يقولون فيها :

انتخبوا المرشح الاشتراكى الذى سيناضل فى سبيل الاشتراكية ، وقد انتشرت هذه الاعلانات فى الاسكندرية بصفة خاصة ، حيث تقدم ثلاثة من العمال تؤيدهم مجموعة كبيرة من سكان دوائرهم [٢٩] .

---

(٢٧) د. رفعت السعيد ، اليسار المصرى ص ٢٧٨ .

(٢٨) د. رؤوف عباس ، الحركة العمالية ص ٢٠١ .

(٢٩) السياسة ، أخبار اليوم ١٩٤٤/١٢/١٠ .

وعلى العموم فان انتشار الاتجاهات اليسارية فى المجتمع المصرى خلال تلك الفترة يعد دليلا أكيدا على وجود هلل هائل فى كل جوانب الحياة المصرية اقتصادية واجتماعية وسياسية •

وان مجمل نشاط هذه التنظيمات لم تبعد الفكر النظرى المنقول عن مؤلفات ــ لينين وماركس وستالين ــ وعلى الرغم من أن عــددا كبيرا من المنضمين الى هذه التنظيمات من المصريين المسـلمين قــد بهرتهم الجوانب الاجتماعية والاقتصادية الا أنهم لم يؤمنوا بالفكــر المادى ، حيث دعوا الى التمسك بتعاليم الاسلام مع اعتناقهم لفكرتى العدل الاجتماعى والاقتصادى (٣٠) •

ونظرا لأن قوات الحلفاء فى مصر لم تكن تخضع للقضاء المصرى فى المواد الجنائية (٣١) • فقد تعددت حوادث الاعتداء من الجنــود الانجليز والأمريكان على الأهالى المصريين وتنوعت حــالات اعتــداء ما بين القتل وهتك العرض الى اقتحــام المنازل والسرقة وشــهدت مناقشات مجلس النواب والشيوخ اعتراضات مدوية بســبب ســلبية الحكومة ازاء هذه التصرفات الغاشمة (٣٢) •

ونظرا لتغلغل الوحدات العسكرية داخل القرى والمــدن المصرية وما يترتب على ذلك من وقوع العديد من المشاكل فقد تقدم أحد أعضاء مجلس النواب بسؤال الى رئيس الحكومة عن مدا امكانية نقل تلك

---

(٣٠) تاريخ المنظمات اليسارية مرجع سبق ذكره ص ٣٥٧ .

(٣١) مضابط مجلس الشـيوخ دور الانعقاد التاســع عشر ص ٣٧ (نوفمبر ١٩٤٣) ، الأهرام ٣ مارس ١٩٤٣ .

(٣٢) مضــابط مجلس النواب الجلسة الســابعة عشر ١٦ مارس ١٩٤٣ ص ٧٤٠ ، جلسة أول يونيو ١٩٤٣ ص ١٨٥١ .

الوحدات بعيدا عن الأحياء السكنية [٣٣] ، وقد تذرعت الحكومة بظروف الحرب وحاجة الحلفاء الى القواعد العسكرية القريبة من التجمعات السكنية بسبب الامداد والتموين وغير ذلك ٠٠ وعلى حد تعبير رئيس الوزراء : ان الشعب المصرى قد ضحى بالكثير وبمزيد من الصبر ستفى الحليفة بكل مطالبنا [٣٤] وعلى ضوء تطور العلاقات المصرية البريطانية حتى نهاية الحرب فقد ثبت عكس هذا الاعتقاد وبدا واضحا أن معاهدة ١٩٣٦ كانت ، ترضية للزعامات المصرية لم يترتب عليها أى نوع من الاستقلال بل استباحت بريطانيا لنفسها كل موارد الحياة المصرية مما ترتب عليه احداث خلل فى الاقتصاد المصرى لازمة بالضرورة عدم تناسب فى الخدمات العامة مما أثار ألوانا عديدة من المتاعب الاجتماعية وعلى حد تعبير وزير المالية فى بيانه أمام مجلس النواب حيث قال : « ان للحرب أثرا أشد وأخطر ، ولعل أخطر الشر فيه أنه يؤدى الى تضخم خلقى حيث يسرى التضخم من مرافق الناس الى أخلاق الناس ومن قيم المال الى قيم الرجال حيث تتضخم المطامع والشكايات ويندفع البعض مخاطرا ، مغامرا ، مقامرا ويبدو ذلك فى التهرب والتهريب واستغلال ضعف الضعفاء وحاجة الفقراء وهكذا ينزلق الضعفاء لا يعنيهم الا أن تتضخم بطونهم ولو جرد الفقير من الطعام [٣٥]

وقد يتصور البعض أن الحرب قد أحدثت تقدما ملحوظا فى شتى المجالات الاقتصادية [٣٦] ، الا أن ما واكب ذلك من تناقضات اجتماعية

---

(٣٣) المصدر السابق ٢٣ ديسمبر ١٩٤٣ ص ٣٥٥ .

(٣٤) نفس المصدر ص ٣٥٨ .

(٣٥) مضابط مجلس النواب الجلسة الخامسة ٢٧ ابريل ٤ مايو ١٩٤٣ من بيان مكرم عبيد ص ١٠٠ .

(٣٦) د. عبد العظيم رمضان الصراع بين الطبقات فى مصر بيروت ١٩٧٨ ص ١٠٧ .

وبلورة ما يسمى بالصراع الطبقى لأول مرة فى مصر يعد أمرا خطيرا وذلك لازدياد حدة الفوارق بين من يملكون ومن لا يملكون الى جانب موجة الغلاء وحدة التضخم ولذا فقد اهتزت المبادىء الأخلاقية .

ويعتقد البعض أن تردى الأوضاع الاجتماعية فى القرى المصرية خصوصا كان بسبب المعتقدات الاستسلامية التى نجح كبار الملاك فى نشرها باسم الدين وبواسطتها استطاع كبار الملاك اخضاع الفلاحين لنفوذهم الاقتصادى والاجتماعى [٣٧] .

وعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من الفلاحين كاد أن يقتلها البؤس والفقر الا أن ذلك كان راجعا الى السياسات الخاطئة للحكومات المصرية خلال فترة الحرب التى أهملت فى برامجها النهوض بحالة الفلاح المصرى والأرتفاع بمستواه الاجتماعى بالاضافة الى أن كل الأحزاب المصرية قد افتقدت الى البرنامج الاجتماعى الذى يستهدف رفع مستوى الفلاح المصرى .

وعلى الرغم من أن بعض الحكومات قد وضعت يدها على أساس المشكلة ، حيث أشارت الحكومة فى أحد تقاريرها الى أهمية التضامن الاجتماعى بين أبناء الوطن على اعتبار أنه لا يمكن أن يتحقق هذا الهدف الا بتحقيق العدالة الاجتماعية برفع مستوى الحياة العامة لطائفة كبيرة من أبناء هذا الوطن تئن تحت أثقال الفقر والمرض والجهل ولابد من تكاتف كافة الجهود بهدف علاج هذه الأدواء الثلاثة [٣٨] .

---

(٣٧) المرجع السابق ص ١٨٠ .

(٣٨) مضابط مجلس النواب الجلسة ٣٢ ٣ مارس سنة ١٩٤٠ ص ١٠٠٧ .

الا أنه لم تبذل أى جهود عملية لتحقيق هـذه الغاية مما يدفعنا الى الاعتقاد بأن هذا الاعلان كان لمجرد المزايدة .

ولم يكن العامل المصرى أحسن حالا من الفلاح .

وعلى الرغم من أن العديد من المؤسسات الصناعية قـد حققت ربحا كبيرا خلال سنوات الحرب وصل فى بعض الحالات الى عشرة أمثال رأس المال المستثمر (٣٩) .

الا أن دخل العامل المصرى قد ارتبط بالارتفاع المستمر بالمواد التموينية الأساسية ومن خلال الجدول التالى يمكن معرفة مستوى الحياة التى يحياها العامل المصرى .

اسـم الشركة	ايرادتها فى عـام ١٩٤٢	متوسط أجر العامل فى اليـوم
شركة السكر	٤ر٢٥٥ر٤٣١	١٧ قرش
شركة الترام	٢ر٦٠١ر١٣٤	١٢ قرش
شركة النور	٦٨ر٩٢٠	٨ قروش
شركة الأسمنت	١ر٩٤٥ر٢٣٨	١٤ قرش
شركة الميـاه	١ر١٢٥ر٦٧١	١٢ قرش
شركة استخراج الفوسفات	٤٣٠ر٠٠٠	١٤ قرش
شركة زيت البترول	٤٥١ر٩١٣	١٠ قروش
شركة أتوبيس القاهرة	٧٠ر٠٧٣	١٢ قرش
شركة البيرة	٧٠٣ر٢٢٥	٨ قروش
شركة جناكليس	٢٨٣ر٤١٤	١٢ قرش (٤٠)

(٣٩) السياسة ، الكتلة ٢٨ فبراير ١٩٤٣ .

(٤٠) مجلة روز اليوسف ١٦ مارس ١٩٤٤ .

ويلاحظ أننا اذا وضعنا فى الاعتبار أجرة العمال الدائمين ومعظمهم يعولون أسرا لا يقل عدد أفراد الواحد منها عن ثلاثة ، كما أغفلنا طبقة العمال الذهورات — الذين صدر من أجلهم الأمر العسكرى الذى حدد خمسة قروش كحد أدنى لأجورهم وكانوا قبل ذلك يتناولون أجرا يوميا يتراوح بين قرشين وأربعة قروش ، على ضوء كل ذلك يتبين مـدى الغبن الذى يقع على عاتق الطبقة العاملة والتى تعتبر عصـب الحياة الاقتصـادية .

وعند فحص طلاب الجامعة وهم من وسط يمثل طبقات الشعب العليا — لم يوجد من بينهم من يصلح للخدمة العسكرية سوى نسبة لا تزيد على السدس أما خمسة الأسداس الأخرى فهم غير صالحين جسمانيا للخدمة العسكرية وأما باقى طبقات الشعب فان الأمراض تفتك بهم — بنسب لا تتفق والحياة الآدمية فقد بلغ عدد المصابين بالرمـد الحبيبى ١٤ر٥٠٠ر٠٠٠ أى بنسبة ١٠٪ من عدد السكان وعدد المصابين بالبلهارسيا ١٢ر٠٠٠ر٠٠٠ أى بنسبة ٧٥٪ من السكان وعدد المصابين بالديدان المعوية الأخرى ٨ر٠٠٠ر٠٠٠ أى بنسبة ٥٪ من السكان (٤٠) .

ومن خلال بحث أعده الدكتور عبد الواحد الوكيل (وهو حجة فى شئون الصحة العامة) حيث قال :

« اذا جمعنا أمراض المصريين لوجدنا جملتها أكثر من خمسـين مليونا أى أنها تكفى لاصابة شعب من خمسين مليون نفس بحيث يصيب كل شخص منهم مرض واحد فاذا وزعناها على المصريين أصاب كل شخص فى المتوسط ثلاثة أمراض فى وقت واحد (٤٢) .

وتناولت احدى الصـحف العلاقة بين تدهور الحياة الاجتماعية

---

(٤١) د. محمد بهى الدين بركات . صـفحات من التاريخ ص ٤٠ دار الهلال سنة ١٩٦١ .

(٤٢) المرجع السابق ص ٤٠ ، ٤١ .

وحالة التسول التى انتشرت فى أنحاء القطر وأرجعت السبب فى انتشار جماعة المتسولين الذين يلجأون الى الاستجداء عن طريق السواعد المشوهة والأرجل المبتورة الى الغلاء المستمر فى وسائل الحياة اليومية وعدم الربط بين هذا الارتفاع والأجور مما أدى الى ترك العمل وتفضيل حياة التسول (٤٣) .

ونظرا لسوء التغذية وظهور ما يشبه المجاعة فى بعض مناطق القطر المصرى فقد انتشرت العديد من الأمراض وخصوصا مرض الملاريا والذى بدا بصورة واضحة فى مناطق الجنوب وخصوصا فى بلاد النوبة وبعض مناطق مديريتى قنا وجرجا بدأت فى أكتوبر ١٩٤٢ ولأن الحكومة كانت تعلم جيدا أن سوء التغذية قد لعب دورا كبيرا فى حدوث المرض فقد أقرت الحكومة مبلغ ٤٣٠٠ جنيه لتوزيع الأغذية على فقراء المناطق الموبوءة بحيث نال كل فقير مريض كيلة من الأذرة العويجة وأقة من زيت بذرة القطن ونصف أقة سكر (٤٤) .

ويبدو أن الحكومة لم تكن فى حالة تمكنها من القضاء على هذا المرض الذى بدأ ينتشر فى معظم مناطق جنوب مصر ولا أدل على ذلك من أن المبالغ التى خصصت لهذا الغرض لم تكن كافية للحد من هذا الوباء اللعين فقد اعتمدت الحكومة مبلغ ١٥٫٠٠٠ جنيه لمقاومة البعوض ، ٣٠٠ جنيه ، ٢٣٣ مليما لوضع خطة واقية لمقاومة الملاريا (٤٥) .

وفى منتصف سنة ١٩٤٣ أصيب بهذا المرض أكثر السكان حتى لم ينج منه أحد فى بعض المناطق وتعذر على وزارة الصحة تحديد عدد المرضى على وجه الدقة وارتفعت نسبة الوفيات ارتفاعا يتباين تبعا للحالة

---

(٤٣) جريدة السياسة ١٩٤٤/٥/٥ .

(٤٤) ملحق رقم ٢ مضبطة مجلس النواب الجلسة السابعة عشر ١٦ مارس ١٩٤٣ ص ٩٣٩ ، المصرى ٢٠ مارس ١٩٤٣ .

(٤٥) المصدر السابق ص ٩٤٠ .

الاقتصادية والاجتماعية من مسكن وملبس وغذاء ووصلت نسبة الوفيات الى ٢٠٪ فى بعض المناطق ، ١٠٪ فى مناطق أخرى [٤٦] .

وعلى الرغم من أن وزارة الصحة قد أصدرت بيانا أرجعت فيه سبب ظهور وباء الملاريا الى سوء التغذية وانتشار الباعوض الا أن الأستاذ الرافعى قد أرجع سبب هذا الوباء الى دخول بعوضة (الجامبيا) من الجنوب بواسطة الطائرات البريطانية حيث يؤكد أنه قد ثبت من الحقائق والبحوث العملية أن تلك البعوضة لم توجد من قبل فى أى مكان من البلاد المصرية أو شمال السودان قبل الحرب ، فلما اشتد القتال سنة ١٩٤٢ كانت منطقة البحر الأبيض المتوسط غير مألوفة فكانت الطائرات البريطانية التى تقصد مواقع الجيش الثامن بشمال افريقيا تسلك طريق غرب افريقيا — الخرطوم — وادى حلفا — القاهرة ، ولم تعن السلطات البريطانية فى السودان بتطهير الطائرات التى تقصد وادى حلفا فمصر ، ومن هنا تسربت بعوضة « الجامبيا » الى النوبة ومنها انتشر بواسطة القطارات ووسائل الاتصال الى المديريات الجنوبية [٤٧] .

وأيا كانت الأسباب التى أدت الى ظهور هذا الوباء الا أن الحكومة المصرية لم تعط لهذا الوضع أهمية تتناسب وخطورة الموقف ويبدو هذا من المبالغ الضئيلة جدا والتى اعتمدت لهذا الغرض ومن هنا فقد استفحل الأمر وتفشى الوباء وتسبب فى وفاة ٢٠ر٤١٦ [٤٨] ولم تتمكن الحكومة من استئصال هذا الوباء الا فى فبراير ١٩٤٥ على عهد وزارة أحمد ماهر .

---

(٤٦) مجلة الصحة العامة اعداد وزارة الصحة المصرية لعام ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ، ص ١١٣ ، السياسة ١٦/١٢/١٩٤٤ .
(٤٧) عبد الرحمن الرافعى — فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص١١٢ .
(٤٨) مجلة الصحة العامة مصدر سبق ذكره ص ١٤ ، الرافعى المرجع السابق ص ١١٣ السياسة ١٦/١٢/١٩٤٤ .

أما مرض التيفوس فقد ارتفعت حالات الاصابة به أيضا ووفق بيان وزير الصحة : لقد زادت الاصابة بمرض التيفوس سنة (١٩٤٢) عن مثلها فى الأعوام السابقة ، وكان أشدها خطورة فى مديريات الوجه البحرى وبعض مناطق الوجه القبلى مما تسبب فى وفاة خمسة أطباء وهم يؤدون واجبهم ، وعندما طلب بعض أعضاء مجلس النواب احصائية بعدد الوفيات التى حدثت بسبب هذا المرض أبدى الوزير عدم امكانية حصر حالات الوفاة فى الوقت الحاضر [٤٩] الا أن بعض الصحف قد نشرت حصرا مبدئيا بعدد الوفيات التى راحت ضحية هذا المرض والذى بلغ على حد قولها ١٢٫٠٠٠ حالة خلال عام ١٩٤٢ فقط [٥٠] .

ولعل أهم الآثار الاجتماعية وأخطرها والتى كانت نتاجا طبيعيا لاختلاط المصريين بالأجانب « الأزياء العامة » وخصوصا لدى السيدات والفتيات فلأول مرة فى تاريخ مصر تخرج الفتاة المصرية شبه متبرجة ووصل الأمر الى حد ظهور المرأة المصرية شبه عارية على الشواطىء وفى الأندية العامة [٥١] ، ولذا فقد تقدم النائب محمد قرنى بك باقتراح يقضى بالزام المرأة المصرية بارتداء الزى الذى يتناسب والسلوك الاجتماعى المصرى [٥٢] .

وعلى الرغم من اعتراض بعض النواب بحجة أن هذا الاقتراح غير جدير بالنظر لتعارضه مع الحرية الشخصية المكفولة فى المادة الرابعة من الدستور علاوة على أنه لا يتمشى مع الروح الاجتماعية الحديثة [٥٣] .

---

(٤٩) مضبطة مجلس النواب ــ الجلسة الثامنة والثلاثون ١٩ أغسطس ١٩٤٢ ، ص ١٤٨٥ .
(٥٠) الأهرام ١٨ نوفمبر ١٩٤٢ .
(٥١) السياسة ١٩٤٣/٣/٢٣ .
(٥٢) مضبطة مجلس النواب ــ الجلسة الثلاثون ١٧ أغسطس ١٩٤٢ ص ١٣٨٠ .
(٥٣) المصدر السابق .

وبعرض هذا الاقتراح على مجلس النواب والشيوخ فقد حظى بالأغلبية ولذا فقد صدر القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٤٢ ويقضى فى مادته الأولى بأن كل سيدة مصرية بلغت من العمر ست عشرة سنة يجب أن يكون لباسها الخارجى فى الطرقات والأماكن العامة والشواطىء ساترا لأعضاء الجسم ما عدا الوجه والكفين بحيث تكون مرسلة الى الكفين واصلة الى الكعبين ، وألا تكون الملابس محددة لأعضاء الجسم .

وقضت المادة الثانية : بأنه لا يجوز لسيدة مصرية بلغت العمر المنصوص عليه بالمادة الأولى أن تشاهد فى الطرق أو الأماكن العامة وهى مخاصره رجلا أو معه على أى حال منافية للآداب ، كما لا يجوز أن تخالط الرجال فى الاستحمام أو ترى على الشواطىء بلباس البحر .

المادة الثالثة : كل سيدة ارتكبت محظورا مما نص عليه فى هذا القانون تعاقب بانذارها أو ولى أمرها واذا تكرر منها نفس الأمر يتم تحذيرها للمرة الثانية فاذا لم ترتدع يحكم عليها بغرامة قدرها عشرون جنيها أو الحبس مدة لا تتجاوز أسبوعا [٥٤] .

ووفق المذكرة الايضاحية التى تقدم بها النائب محمد قرنى والخاصة بهذا القانون فقد بنى اقتراحه على العديد من المبررات التى كانت سببا فى استصدار قانون بهذا الشأن حيث اعتمد النائب فى مذكرته على بعض الحقائق التى ينكرها الاسلام وتتنافى مع طبيعة المرأة المصرية ومن أهمها :

١ — ظهور المرأة المصرية وهى متبرجة متشبهة بالمرأة الأجنبية فى مظهرها .

---

(٥٤) قانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٤٢ ملحق لسنة ١٩٤٢ ملحق بمضبطة مجلس النواب جلسة ١٧ أغسطس ١٩٤٢ ص ١٣٨١ ، الأهرام أول سبتمبر ١٩٤٣ .

٢ ــ ظهور المرأة المصرية وهى برفقة جنود وضباط جيش الاحتلال وهى فى حالة منافية للآداب العامة •

٣ ــ أن كل الشرائع الالهية حتمت بالنص الصريح على النساء أن يدنين عليهن من جلابيبهن وألا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الخ[٥٥] •

ووجه هذا الاقتراح ببعض الانتقادات على اعتبار أن الحياة الاجتماعية قد قطعت شوطا بعيدا فيما يختص بالأزياء ومن العبث الرجوع بالأزياء بعد هذا التقدم الى الوراء [٥٦] •

وكان تناول قضية الأزياء فرصة لبعض النواب لكى يتحدثوا عن الجرائم الأخلاقية التى ترتكب جهارا نهارا بلا رادع أو قانون حيث لا يعاقب القانون الفتاة البالغة ستة عشر عاما اذا ارتكبت فعلا خاصا مع شاب تزيد سنه عن الثمانية عشر عاما [٥٧] •

وعلى الرغم من صدور هذا القانون الا أن المرأة المصرية قد تأثرت كثيرا بسبب الحرب وما نتج عنها من سوء الأوضاع الاقتصادية ، ووفق دراسة أعدتها مجلة « كورونيت » احدى دور الصحف الأوربية حيث أرسلت مراسليها الى القاهرة ليكتب لها عن المرأة المصرية والحرب فكتب يقول : حقا لقد تأثرت حياة البعض من الحرب الى أقصى حد ••• ويا له من تأثر نشأ عنه انقلاب خطير فى حياة بعض المصريات وعلى ضوء تلك الدراسة التى أجرى بسببها العديد من اللقاءات الشخصية مع بعض النسوة اللائى اخترن مهنة البغاء واختار مراسل تلك الصحيفة بعض النماذج الآتية :

---

(٥٥) المذكرة الايضاحية للقانون السابق ملحق مضبطة مجلس النواب ــ المصدر السابق ص ١٤٢٦ •

(٥٦) من كلمة النائب أحمد الحضرى معترضا على الاقتراح (مضبطة مجلس النواب الجلسة الثلاثون) ــ ١٧ اغسطس ١٩٤٢ ص ١٤٠٦ •

(٥٧) المصدر السابق من كلمة النائب عبده البرتغالى •

١ — اللقــاء الأول مــع فتــاة تعمل فى كباريه « الاكسلسيور » فى الاسكندرية واسمها كيكى ويضيف مراسل المجلة أن كيكى هــذه كان اسمها « عائشة » وكانت تعيش فى قرية فى أعماق الريف المصرى وتحدثت معها طويلا وسألتها كيف حدث هذا الانقــلاب فى حياتها وكيف أصبح شكلها هكذا وكيف أصبحت تتكلم الانجليزية ويسؤالها عن كل ذلك أجابت : اسألوا الحرب لأنها هى السبب ؟

٢ — واختار مراسل المجلة امرأة أخرى كانت تعمل خادمة فى احدى البيوتات الراقية ووجدت نفسها بلا مقدمات تقع فريسة للاغراءات الشديدة من جنود وضباط الحلفاء ولم تستطع أن تقاوم الكفيار والشامبانيا .

٣ — أما النموذج الثالث : فقد كان مع فتاة يبدو عليها الجمال الشرقى وبالطبع لم تذكر اسمها الحقيقى حيث اختارت لنفسها اســما جديدا « شوشو » وتؤكد تلك الفتاة أنها تنتمى الى احدى البيوتات الراقية وقد وقعت فى حب أحد الضباط الانجليز الذين يعملون ضمن الوحدات المتمركزة فى القاهرة وبعد أن مكنته من نفســها بعد أن وعــدها بالزواج فقــد تم نقله الى الفرقة الأولى فى الصحراء الغربية حيث لقى حتفه واختارت تلك الفتاة طــريق البغاء سترا لفضيحتها وسط أهلها (٥٨) .

وعلى الرغم من اعتقادنا بأن هذا الأثر السيىء لم يشمل الا عددا محدودا من الفتيات المصريات الا أننا لا يمكن أن نغفل هذا الجــانب لأهميته الخطيرة وارتباطه الأكيد بتردى الأحوال الاجتماعية وخصوصا فى مدينة الاسكندرية التى تعرضت لقصف الألمان واستشهاد المئات من الرجال واختارت بعض النسوة حياة الليل بعد أن فقدت زوجها (٥٩) .

---

(٥٨) دراسة عن المرأة المصرية والحرب وأعدتها مجلة « كورونيت » ونشرتها روز اليوسف ١٢ يولية ١٩٤٤ .

(٥٩) روز اليوسف ١٩ يوليو ١٩٤٤ .

وعلى الجانب الآخر فقد أعطت الحرب للمرأة المصرية بعضا من الحرية وبعضهن قد اشترك فى الحياة العامة وتعرض البعض للاعتقال(٦٠) ويعد اعتقال السيدة / نبوية موسى لأسباب سياسية انقلابا خطيرا فى حياة المرأة المصرية وتعد محاكمة السيدة نبوية موسى أمام المحكمة العسكرية فرصة استغلتها المرأة لكى تطالب بمزيد من الحقوق العامة وفى مقدمة تلك الحقوق حق المرأة فى اقامة حزب نسائى حيث صرحت الأستاذة مفيدة عبد الرحمن بأن فكرة اقامة حزب نسائى قد راودت الكثيرات من النساء المتعلمات وفى مقدمتهن السيدات نعمت راشد ، عطيات الشافعى ، زينب لبيب وبدأت أولى جلسات الهيئة التأسيسية للحزب فى أول فبراير ١٩٤٤ ودار الحديث عما يلزم الحزب من مطبوعات وقانون الحزب وغير ذلك من الاجراءات (٦١) .

الا أن تلك التجربة على ما يبدو لم تحظ بالنجاح حيث فضل بعضهن الاشتراك فى الأحزاب التقليدية حتى لا يتهمن بالتعصب من جانب الرجال (٦٢) . ووصل الأمر الى أن بعض النسوة كفاطمة اليوسف بدأت تحث الفتيات المصريات على الاضراب عن الزواج وخصوصا العاملات منهن بحجة أن المرأة التى قد يضطرها عملها الى التغيب عن منزلها معظم ساعات اليوم لتعود مرضاها كطبيبة أو لتعد قضاياها كمحامية أو لتشرف على مجلتها كصحفية لا يمكن أن توفق بين عملها ومنزلها ثم أضافت قائلة : أطالبكن يا حضرات الزميلات الناشئات الثائرات ، وأنصحكن بعدم الزواج اذا أردتن المجد والعمل ، تزوجن الثورة على آنانية الرجل وغروره (٦٣) .

---

(٦٠) المصدر السابق ٢٦ أكتوبر ١٩٤٤ ، السياسة ٢٥ أكتوبر ١٩٤٤ .

(٦١) المصرى أول مارس ١٩٤٤ ، السياسة ٢٣ فبراير ١٩٤٤ ، روز اليوسف ٢٤ فبراير ١٩٤٤ .

(٦٢) روز اليوسف ٣ مارس ١٩٤٤ .

(٦٣) روز اليوسف ٢٤ فبراير ١٩٤٢ .

ويلاحظ أن قضية المرأة قد شغلت حيزا كبيرا فى ضمير المجتمع المصرى فى تلك الفترة وليس من قبيل المصادفة أن تظهر تلك الدعوات الغربية والجديدة علـى المجتمع المصرى وانما كان للآثار التى تركتها الحرب أكبر الأثر فى تمرد المرأة المصرية وظهور تلك الدعوات التى تعد خروجا صارخا على تقاليد وعادات المجتمع المصرى فى ذلك الوقت ولم تتوقف مطالب المرأة عند هذا الحد بل تبنت احدى المجلات الدعوة الى حق المرأة فى دخـول الأزهر وأجـرت المجلة عـدة لقاءات مع بعض الشخصيات العامة حول حق المرأة فى دخول الأزهر وكلها قد أجمعت على حق الفتاة المصرية فى دخول الأزهر .

وخلاصة القول أن الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) قد تركت آثارها فى كل نواحى الحياة المصرية ، سواء أكانت تلك الآثـار بالايجاب أو بالسلب فانها قد أحدثت ردود فعل عنيفة لأنها حدثت طفرة واحدة سواء فى المجالات الاقتصادية أو الاجتماعية وما نورده من أمثلة هو من باب الاستدلال وليس من باب الحصر .

ويبدو أن حكومة الوفد قد قدرت خطورة الآثار الناتجة عن الحرب فيما يتعلق بانحراف الأخلاقيات ولذا فقد أصدر الحاكم العسـكرى أمرا بالغاء البغاء الا أنه قد استثنى من هذا القرار عواصم المحافظات والمديريات » [(٦٤)] .

ولذا فقد تقـدم أحد أعضاء مجلس النواب بسؤال الى رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام عن عدد بيوت الدعارة التى أغلقت فى جميع أنحاء القطر وما الذى عملته الحكومة لهؤلاء البغايا كى

---

(٦٤) الأهرام ، المصرى ، السياسة ١٣ ابريل سنة ١٩٤٢ (أمـر عسكرى رقم ٢٤٧) .

يصلن الى سبيل الاستقامة ولكى تكون الأسرة المصرية محفوظة فلا يصل اليها شر ؟ (٦٥) .

ولقد أجابت الحكومة بأنه تم اغلاق ٤٠٧ من بيوت العاهرات فى جميع أنحاء البلاد تنفيذا للأمر العسكرى رقم ٢٤٧ الصادر فى ١١ ابريل ١٩٤٢ ، وقد أرسلت وزارة الشئون الاجتماعية الى كل مديرية بكتاب تطلب موافاتها ببعض التفاصيل عما تعتزم المديرية اتخـــاذه من الاجراءات بالنسبة للبغايا اللائى ستغلق بيوتهن ، وقد اقترحت بعض المديريات تخصيص مكان لايواء البغايا تحت اشراف البوليس وتزويدهن بالمال من مجلس المديرية أو المجلس البلدى حتى يتزوجن أو يجدون عمـــلا شريفا (٦٦) ، ولقد اقترحت الحـــكومة بناء على رغبات مديرى المديريات تأليف لجنة من وزارتى الداخلية والصحة للنظر فى الطـــرق التى تسهل للمديريات تنفيذ الأمر العسكرى المذكور والتى تكفل النتيجة المنشودة من الغاء البغاء وحماية الناس مما ينجم عنـــه من آفـــات وشرور (٦٧) .

ويلاحظ أن الحكومة قد حرصت على اصدار القرارات ذات الرغبة الجماهيرية حرصا منها على أن يسترد الوفد بعضا من الأرض التى فقدها عقب ٤ فبراير ، وانطلاقا من هذا المفهوم فقد أصدر الحاكم العسكرى العام قرارا بالغاء المراهنات على سباق الخيل (٦٨) ، ويلاحظ أن حيثيات القرار لم ترجعه الحكومة الى أسباب اسلامية وانما الى منافاته للاخلاق والسلوك العام .

---

(٦٥) مضـــبطة مجلس النواب ــ الجلسة السابعة عشر ــ دور الانعقاد العادى الأول ٢٩ من يونية ١٩٤٢ ص ٦١٧ ، ٦١٨ .

(٦٦) نص خطابى مدير الغربية والفيوم الى وزير الشئون الاجتماعية ملحق بمضبطة النواب الجلسة السابعة عشرة يونية ١٩٤٢ ص ٨٥٠ .

(٦٧) مضبطة مجلس النواب ــ الجلســـة السابعة عشر ٢٩ يونية ١٩٤٢ ص ٦١٨ .

(٦٨) المصدر السابق ص ٦١٧ .

ولما كانت الحركة العمالية قد اهتزت ثقتها فى الوفد بسبب العديد من الأحداث التى لا تتفق وشعبية الوفد فقد حرصت الحكومة على كسب هذا القطاع الجماهيرى الهام ولذا فقد أصدر النحاس باشا قرارا عم على جميع قطاعات الدولة سواء أكانت قطاعات صناعية أو زراعية يقضى بجعل الحد الأدنى لأجر العامل فى اليوم الواحد خمسة قروش (٦٩).

ولما كانت الحكومات التى تعاقبت على الحكم بدأ من سنة ١٩٣٦ قد حرصت على كسب ود العمال لأسباب سياسية وحزبية فقد حرصت حكومة الوفد سنة ١٩٣٦ على اقامة نقابة للعمال ترعى مصالحهم الا أن هذا المشروع قد تعثر اصداره بالرغم من تشكيل لجنة لوضع مذكرة تفصيلية بالمشروع وبدأ من حكومة محمود ١٩٣٨ وحتى حكومة حسين سرى قبيل حادث ٤ فبراير فقد حرصت كل الحكومات على النظر والتفكير فى مشروع تلك النقابة الا أنه لم تكن هناك خطوات جيدة للخروج بهذا المشروع الى حيز الوجود حتى كانت حكومة ٤ فبراير حيث صدرت العديد من التشريعات العمالية كان أبرزها قانون الاعتراف بالنقابات العمالية (٧٠) • ثم أعقب ذلك قانون التأمين الاجبارى ضد حوادث العمل وقانون عقد العمل الفردى وقانون مكافحة الجهل ومحو الأمية بين صفوف الشعب (٧١) •

أما القانون الخاص بالاعتراف بالنقابات فقد نص فى مادته الأولى على تحديد كلمة « عمال » وهم الذين يقومون بتأدية عمل نظير أجر مادى سواء أكان هذا العمل ماديا أو عقليا وسواء أكان صاحب العمل

---

(٦٩) المصرى ، الأهرام ٦ مارس ١٩٤٢ •

(٧٠) نص القانون ملحق بمضبطة مجلس النواب — الجلسة السادسة والعشرون — مجموعة مضابط دور الانعقاد الأول ٣ ، ٤ ، ٥ أغسطس ١٩٤٢ ص ١١٠٢ — ١١٠٥ •

(٧١) الأهرام ، المصرى ١٩٤٢/٩/٦ ، الأهرام ١٩٤٢/١٠/١٣ ، فؤاد سراج الدين ، لماذا الحزب الجديد ص ٥٨ •

شخصا حقيقيا أو معنويا أما فى مادته الثانية فقد حدد الأشخاص الذين لا يندرجون تحت تلك النقابة وهم :

(أ) موظفو الحكومة ومجالس المديريات والمجالس البلدية والمحلية والقروية وعمال الجيش والبوليس .

(ب) عمال الزراعة .

(جـ) الوكلاء المفوضون الذين يمثلون أصحاب العمال .

(د) الممرضون وعمال المستشفيات على أن لهؤلاء الموظفين والمستخدمين والعمال أن ينشئوا لهم جمعيات ترعى مصالحهم المشتركة (٧٢) .

وهكذا ثم التمييز بين العمال الذين لهم حق تأليف النقابات وغيرهم بناء على رغبة الحكومة لأن بعض الأعضاء داخل مجلس النواب والشيوخ كانوا يطالبون بحرمان عمال البيوتات (الخدم) من حق تأليف النقابات بحجة أنه ليس من المعقول أن تتدخل النقابة فى العلاقة بين الخادم ومخدومه وقد يلجأ الخدم الى اعلان الاضطراب وهذا لا يتفق مع العلاقات العائلية والعادات الشرقية ، وأن السبب الذى يدعو عمال الصناعة والتجارة الى تأليف النقابات هو حاجتهم الى الاستقرار النفسى وحمايتهم من أصحاب العمل مع مراعاة أن عمال المصانع والشركات أرفع فى مستواهم الاجتماعى من الخدم والطهاة والسائقين ، وحرصا من الحكومة على ضمان حق الخدم ومن شاكلهم أضافت الحكومة اقتراحا يقضى بالاعتراف لهم بحق الدخول فى النقابة بشرط ألا تتدخل النقابة فى العلاقة بين الخادم ومخدومه ، ولذا فاننا نعتقد أن النقابة قد فقدت أهميتها بالنسبة لتلك الطبقة كما أن الحكومة قد جردتهم من

(٧٢) القانون ٨٥ لسنة ١٩٤٢ ملحق بمضبطة مجلس النواب – الجلسة السادسة والعشرون ٣ ، ٤ ، ٥ أغسطس ١٩٤٢ ص ١٢٠٢ .

أهم حق من الحقوق النقابية وهو الاضراب « حيث لا يجوز لهم الاضراب واذا قرروا الاضراب وجب حل نقاباتهم » (٧٣) •

ووفق مضابط مجلس النواب فقد تمسكت الحكومة بحق العمال الخصوصيون (الخدم — السائقون — وغيرهم) فى الاشـــتراك فى النقابة على الرغم من أن الأغلبية البرلمانية كانت تميل الى خروجهم من النقابة وهذه نقطة تسجل للوفد ولوزير الشئون الاجتماعية عبد الحميد عبد الحق الذى نجح بمهارة فى اقناع الأعضاء بأن هذا التمييز يعـد مخالفا للدستور ولذا فالحكومة لا يمكنها الفصـل بين العمال بغض النظر عن نوعية العمل ، ومما يؤخذ على هذا المشروع أنه جرد النقابة من حق ممارسة النشاط السياسى والدينى (٧٤) • على اعتبار أن مثل تلك النشاطات لا تدخل فى الغرض الذى أنشئت من أجله النقابة ، كما أنها حرمت عمال الزراعة من الاشتراك فى تلك النقابة على اعتبار أن من حقهم تكوين نقابة خاصة بهم وكان الأولى عدم التفرقة بين العمال الصناعيون والزراعيون ومن هنا فقد فشل العمال الزراعيون فى اقامة نقابة ترعى مصالحهم وتحميهم من بطش أصحاب العمل وفى الوقت الذى قطعت فيه نقابات العمال شوطا كبيرا فى رفع مستوى العمـال وحماية حقوقهم كان العمال الزراعيون يعيشون فى ظروف اجتمـاعية لا تتفق بأى حال والحياة الآدمية ويعتقد بعض المؤرخين المعاصرين أن حرمان عمال الزراعة من حق تكوين النقابات لهم هو خوف أعضاء مجلس النواب والشيوخ من أن عمال الزراعة قد يعمدون الى الاضراب مما يشل حركة الاقتصاد ويكون مصدر خطر على البلاد وكذلك سرى الخـوف من أن تكون النقابات سبيلا لتسرب المبادىء الشيوعية داخل الريف

---

(٧٣) مضابط مجلس النواب — الجلسة الخامسـة والعشرون ٢٨ يولية ١٩٤٢ ، ص ١١٤٥ ، الجلسة ٢٦ ص ١٢٠٦ — ١٢١٥ .

(٧٤) المصدر السـابق .

مما يؤدى الى اثارة النزاع بين الملاك ومزارعيهم (٧٥) • وهذا الرأى يحمل قــدرا كبيرا من الحقيقة على الرغم من أن الأعضاء البرلمانيون (وهم من كبار الملاك) لم يعلنوا هذا صراحة •

لقد كان قانون الاعتــراف بالنقابات مخيبا لآمال العمال حيث خضــعت النقابات لرقــابة البوليس وفرض عليها ضرورة ابلاغه عن الاجتماعات التى توسع النقابة عقدها قبل موعدها بوقت كاف ، كمــا نص القانون على أن من حق الحكومة حل النقابة اذا رأت السلطة أنهــا انحرفت عن الغرض الذى أقيمت من أجله ولهذا فاننا نعتقد أن الدافع وراء اهتمام الحكومة باقامة نقابة شرعية للعمال كان دافعا حزبيا فى الدرجة الأولى •

واستكمالا لملامح التشريع العمالى فقد أصدرت الحكومة قــانونا بتحديد ساعات العمل ، حيث نصت المادة السادسة من هذا القانون على أن مدة العمل الفعلية ثمانى ساعات فى اليوم أو ثمانية وأربعون ساعة فى الأسبوع ، ومدة العمل ليلا ست ساعات ، ونصت المادة السابعة على أن العمل سبع ساعات فى اليوم فى الأعمال الخطــرة أو المضرة بالصحة وخمس ساعات اذا كان العمل ليلا ، وقد حدد القانون الأعمال الخطرة أو المضرة بالصحة فيما يأتى :

(أ) أعمال المناجم والمحالج •

(ب) صناعة المواد الكيماوية والمواد القابلة للانفجار والغازية •

(جـ) صناعة المواد السامة أو المضرة بالصحة •

(د) شحن وتفريغ الحبوب والمواد الغذائية (٧٦) •

---

(٧٥) د. رؤوف عباس . الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ ــ ١٩٥٢ ص ١٦٦ .

(٧٦) نص قانون تحديد ساعات العمل ، ملحق بمضبطة مجلس النواب ــ الجلسة الثلاثون ٧ أغسطس ص ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ .

وعلى الرغم من القيود التى فرضت على النشاط النقابى الا أنه قد خطا خطوات هامة مع نهاية سنة ١٩٤٥ حيث كان الاتحـــاد الدولى لنقابات العمال قد دعا اتحادات العمال أن يرسلوا مندوبيهم فى المؤتمر المزمع اقامته فى باريس وسافر من مصر وفدان يمثلان اللجنة التحضيرية لعمال القطـــر المصرى ، ومؤتمر نقابات القطر المصرى وأمكن توحيد الوفدين فى وفد واحد حيث نوقشت مشاكل الأجور والبطالة وطـــرد القوات الأجنبية من وادى النيل وأثر الاستعمار البريطانى على تأخر الصناعة وتفاقم المشكلة الزراعية وتقييد الحريات واستطاع الوفـــد المصرى أن يحصل من المؤتمر على قـــرار يندد بالاســـتعمار البريطانى فى مصر (٧٧) •

ومع الاقتراب من نهاية الحرب بدت مشكلة عمالية ذات نتـــائج اجتماعية خطيرة فلقد أنشأت السلطة العسكرية البريطانية أثناء الحرب العديد من المصانع التى تخدم أغراض الحرب ولما كانت على وشـــك الانتهاء منها فان ألوفا من العمال الذين يعملون فى هذه المصانع سوف يتعطلون عن العمل وسوف يترتب على ذلك العديد من الآثار الاجتماعية الخطيرة ولذا فقد اقترحت الحكومة المصرية شراء تلك المصانع وقبلت بريطانيا هذا الرأى مع تحفظ واحد وهو أن يكون للسلطات البريطانية حق نقل بعض المصانع التى يقتضى نقلها الى الشرق الأقصى (٧٨) (حيث كانت الحرب ما تزال مستمرة) •

ولعل أخطر الآثار الناجمة عن الحرب هذا التغير الواضح فى شكل الحياة وأنماطها المختلفة ، حيث تحولت العديد من الصناعات المصرية الصغيرة الى النمط الاستهلاكى الذى يرتبط بحاجة الأجانب فى مصر

---

(٧٧) شهدى عطية الشافعى ــ الحـــركة الوطنية ١٨٨٢ ــ ١٩٥٢ ص ٢٢٥ •

(٧٨) د. هيكل مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٢٩٩ •

وارتبط بهذا انقلاب واضح فى الشارع المصرى حيث تحولت العديد من أسماء المحلات الى أسماء أجنبية واقتصرت بعض المحـلات فى نشاطاتها على السلع التى تجد اقبالا من الأجانب •

وعجز زعماء الأحزاب من أصحاب الياقات البيضاء عن فهم طبيعة الواقع المصرى ولعل الاحساس بالمستقبل المجهول قد ضاعف من هذا الواقع لديهم مما أوجد قدرا من عدم الثقة فى كافة الأحزاب القـائمة ولذا فقد شهدت الفترة التى أعقبت الحرب العديد من أشكال العنف السياسى •

وتعتبر قضية التعليم من أخطر القضايا التى شهدت انقلابا خطيرا فترة الحرب ونظرا لأهميتها فسوف أتناولها فى بحث مستقل ••

ويلاحظ أن النشاطات التبشـيرية قـد مارسـت دورها فى ظل الاجراءات التى فرضها الاحتلال خلال فترة الحرب بشكل لفت أنظار العديد من القوى المصرية •

ولعل هذا النوع من النشاط قد بدأ بصورة أكثر وضوحا داخل المدارس الأجنبية حتى كان يفرض على الطلاب حضور الندوات التى تعقد لهذا الغرض ومطالبة الطلاب باعداد بعض البحوث عن موضوعات ذات صبغة تبشيرية مثل سماحة المسيحية وغير ذلك من الموضوعات (٧٩) ومما يلفت النظر انتشار الجماعات التبشيرية وتعدد مسمياتها وكلها تحمل أسماء ذات طابع مهنى مثل جماعة مساعدة الأيتام ، جماعة أصـدقاء المرضى وغير ذلك من المسميات ولقد نجحت تقارير البوليس السياسى فى رصد تحركات معظم تلك الجماعات وخصوصا علاقتهم بسـفارات دول الحلفاء فى القاهرة حيث كان زعماء تلك الجماعات يترددون على

---

(٧٩) تقارير البوليس السياسى ، محفظة ١٩٤٣ ملف ١ — ١٣ وثيقة رقم ٨٨ بتاريخ ١٩٤٣/٣/١٨ •

سفارات فرنسا ، وأمريكا وانجلترا وخصوصا فى غير أوقات العمل الرسمية [٨٠] مما يزيدنا اعتقادا بأن هذا النوع من النشاطات يعد جزءا من مهام سفراء دول الحلفاء فى القاهرة وفى الوقت الذى كان الوفد يتتبع الخصوم السياسيين ويزج بهم فى السجون بلا تحقيق أو مساءلة أغضت الحكومة أعينها عن هذا النشاط ، ومما يضاعف من مسئولية الحكومة أنها كانت على بينة من كل تلك التحركات مما اضطر أحد أعضاء مجلس النواب الى التقدم بسؤال الى وزير الداخلية حول ما تقوم به مستشفى هرمل بالتبشير بين المرضى من الفقراء المسلمين . ولعل أخطر ما فى الأمر أن الحكومة لم تكذب هذا الخبر وانما أعلن وزير الداخلية بأن الوزارة ستخطر ادارة المستشفى بضرورة ابطال هذا النوع من النشاط [٨١] .

ويلاحظ أن الحكومة لم تقدر خطورة الأمر حيث لم تتخذ أى نوع من الاجراءات ضد تلك الجماعات ومن الصعب الحصول على احصائية تحدد حجم الانجازات التى قامت بها تلك الجماعات نظرا للطابع السرى الذى كان مفروضا على هذا النوع من النشاط ولذا فمن الصعب الحكم على النتائج التى حققتها تلك الجماعات .

الا أن ما نستطيع أن نجزم به هو مسئولية الحكومة المصرية وتغافلها عن خطورة الأمر وبلا أى مساءلة لتلك النشاطات .

---

(٨٠) المصدر السابق وثيقة ١٣٣ بتاريخ ١٩٤٣/٦/٢٥ .

(٨١) مضبطة مجلس النواب الجلسة الثانية والثلاثون ٩ اغسطس ١٩٤٢ — تدم السؤال النائب عبد المجيد الرمالى ص ١٤٨٧ .

مصادر البحث ومراجعه

أولا : وثائق عربية غير منشورة :

١ – مجموعة تقـــارير الأمن العام والبوليس السياسى وتحمل عناوين :

تقارير سياسية – تقارير الأمن العام – مسائل سياسية .

ثانيا : وثائق انجليزية غير منشورة وقد تم الاستعانة بالمجموعة الآتية :

No	Date
F. O. 407 / 210	July — Dec 1939
F. O. 407 / 222	Jan — Jone 1938
F. O. 407 / 222	July — Dec 1938
F. O. 407 / 223	Jan — Jone 1939
F. O. 407 / 223	July — Dec 1939
F. O. 407 / 225	Jan — Des 1941
F. O. 407 / 224	Jan — Des 1940

ثم مجموعة F. O. 371 . وقد اعتمدت فيها على ما يأتى :

F. O. 371 / 31569	1942
F. O. 371 / 41334	1913
F. O. 371 / 45916	1944
F. O. 371 / 45916	1945

ثالثا : وثائق أمريكية غير منشورة :

No	Date
740. 00 / 1138	Apr, 25, 1939
740. 00 / 1138	May, 3, 1939
740. 00 / 1138	Sep, 2, 1939
740. 00 / 11 European	Oct, 1, 1939
883. W. 103	sep, 25, 1939
883. 00 / 1080	Aug, 23. 1939
883. 00 / 1066	Apr. 11, 1939
883. 00 / 1085	Oct, 3, 1939
865 C. 20 / 43	Moy, 6, 1939
740. Coll European	Jul, 9, 1940
741. 83 / 263	Oct, 19, 1940
740. 00 1 European	Jun. 3, 1940
741. 83 / 263	March. 12. 1940
740. 00 1 European	Aug, 19, 1940
740. 00 1 European	Sept, 25, 1940
740. 00 1 European	Sept, 3, 1940
741. 83 / 247	March, 21, 1940
883. 20 / 114	Apr. 1. 1940
741. 83 / 255	Jun, 22, 1940
740. 00 1 European	Mav, 20, 1940
740. 00 1 European	Oct, 18, 1940
740. 00 1 European	July, 2, 1940
741. 83 / 251	May. 17, 1940
741. 83. 250	Apr, 23, 1940

No	Date
741. 83. 224	Mar, 20, 1940
741. 83. 248	Apr, 4, 1940
741. 83. 246	Mar. 9, 1940
741. 83. 252	May, 23, 1940
883. 00 / 1209	Aug, 25, 1941
883. 00 1, Farouk	Mar, 14, 1941
F. W. 883. 00	Apr. 2, 1941
F. W. 883. 00	Mar, 23, 1941
F. W. 883. 00	Mar, 20, 1941
F. W. 883. 00	Mar, 21, 1941
F. W. 862.20283	June, 30, 1442
740. 00 1. 2601 C.	Dec, 1, 1942
F. W. 862. 20283	June, 15, 1942
800. 24 / 1303	Oct, 14, 1943

رابعا : وثائق عربية منشورة :

١ ـ مضابط مجلس النواب ١٩٣٦ ـ ١٩٤٥ وتضم عشر مجلدات •

٢ ـ مضابط مجلس الشيوخ ١٩٣٦ ـ ١٩٤٥ وتضم تسع مجلدات

٤ ـ تقرير لجنة التحقيق فى التصرفات الماسة بنزاهة الحكم فى عهد الوزارة النحاسية •

خامسا : مذكرات منشورة :

١ ـ ابراهيم امام (رئيس البوليس السياسى) صحيفة الجمهورية يناير ١٩٥٦ •

٢ ـ اسماعيل صدقى (مذكراتى) دار الهلال القاهرة ١٩٥٥ •

٣ ــ أنور السادات (صــفحات مجهولة) كتب للجميع نوفمبر ١٩٥٤ ٠

٤ ــ أنور السادات (البحث عن الذات) القاهرة ١٩٧٨ ٠

٥ ــ حسن البنا (مذكرات الدعوة والداعية) بيروت ١٩٧٤ ٠

٦ ــ حسن يوسف (القصر ودوره فى السياسة المصرية) ١٩٢٢ ــ ١٩٥٢ القاهرة ١٩٨٢ ٠

٧ ــ صلاح الشاهد (زكرياتى فى عهدين) القاهرة ١٩٧٦ ٠

٨ ــ كريم ثابت (أسرار السياسة المصرية) صحيفة الجمهورية يونيو ١٩٥٥ ٠

٩ ــ محمد حسين هيكل (مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢) القاهرة ١٩٥٣ ٠

١٠ــ محمد نجيب (كلمتى للتاريخ) القاهرة ١٩٨١ ٠

١١ــ محمد التابعى (أسرار السياسة المصرية) القاهرة ١٩٧٢ ٠

١٢ــ مكرم عبيد (مذكراتى) صحيفة الكتلة ١٩٤٥ ٠

سادسا : المؤلفات والدراسات :

١ ــ أحمد مرتضى المراغى ٠ غرائب من عهد فاروق بيروت ١٩٧٦ ٠

٢ ــ جلال الدين الحمامصى ٠ حوار وراء الأسوار الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٧٦ ٠

٣ ــ جى ديبورين ٠ الحــرب العالمية الثانية من وجهة النظــر السوفيتية ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى القاهرة ١٩٦٨ ٠

٤ ــ رفعت السعيد • الصحافة اليسارية فى مصر ١٩٢٥ ــ ١٩٤٨ القاهرة ١٩٧٧ •

٥ ــ رفعت السعيد • تاريخ المنظمات اليسارية فى مصر القاهرة ١٩٧٦ •

٦ ــ د• رؤوف عباس • الحركة العمالية فى مصر القاهرة ١٩٧٦ •

٧ ــ شـــهدى عطيه الشافعى • تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ ــ ١٩٢٦ القاهرة ١٩٥٧ •

٨ ــ د• عاصم الدسوقى • مصر والحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ القاهرة ١٩٧٦ •

٩ ــ عبد الرحمن الرافعى • فى أعقاب الثـــورة المصرية ج ٣ القاهرة ١٩٥١ •

١٠ــ د• عبد العظيم رمضان • تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩٣٧ ــ ١٩٤٨ القاهرة ١٩٧٣ •

١١ــ د• عبد العظيم رمضـــان • الصراع بين الوفد والعرش ١٩٣٦ ــ ١٩٤٩ بيروت ١٩٧٨ •

١٣ــ لوكاز هيرزويز • ألمانيا الهتلرية والمشرق العربى ترجمـــة أحمد عبد الرحيم مصطفى القاهرة ١٩٦٨ •

١٣ــ مارسيل كولومب • تطـــور مصر ١٩٢٤ ــ ١٩٥٠ ترجمـــة زهير الشايب ١٩٧٢ •

١٤ــ محمد بهى الدين بركات • صفحات من التـــاريخ القاهرة ١٩٦١ •

١٥- محمد زكى عبد القادر • محنة الدستور القاهرة ١٩٥٥ •

١٦- محمد رشدى • التطور الاقتصادى فى مصر ج ٢ القاهرة ١٩٧٢ •

١٧ ـ د• يونان لبيب رزق • تاريخ الوزارات المصرية ١٩٣٨ ـ ١٩٥٣ القاهرة ١٩٧٥ •

سابعا : الدوريـــات :

١ ـ الأهرام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ •

٢ ـ السياسة ١٩٣٦ ـ ١٩٤٥ (يومية وأسبوعية) •

٣ ـ أخبار اليوم ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ •

٤ ـ المصرى ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ •

٥ ـ الجمهورية يونيو ، يوليو ١٩٥٥ ، يناير ١٩٥٩ •

٦ ـ الاخوان المسلمون ١٩٤٢ ـ ١٩٤٥ •

٧ ـ روز اليوسف ١٩٣٨ ـ ١٩٤٥ •

٨ ـ الكتلة ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ •

العلاقات السرية بين الملك فؤاد والخديو عباس حلمى

الدكتور عبد الوهاب بكر

حفلت العلاقات الأسرية على مستوى البيت العلوى (١٨٠٥ — ١٩٥٢) بالكثير من مظاهر التنافس والتحاسد ، وأفرز هذا عداوات شديدة وبغضا متبادلا عنيفا •

ويرجع العداء بين أفراد هذه الأسرة الى مرض المناصب والخشية على المراكز ، والخوف من الدسائس — ومقابلة ذلك كله بالأذى والعدوان •

ولعل أول الغيث فى هذا الشكل من العلاقات هو ذلك الذى حدث فى عهد عباس حلمى الأول (١٨٤٨ — ١٨٥٤) عندما استشرى الكره بينه وبين أعمامه وعماته وأبناء عمومته — وعلى الأخص عمه محمد سعيد (١٨٥٤ — ١٨٦٣) وعمته الأميرة نازلى ، وما انتهى اليه الأمر من مصرعه على يد مملوكين تابعين له بتحريض من هذه الأميرة •

ولقد بدأ اسماعيل (١٨٦٣ — ١٨٧٩) حياته الخديوية باهمال الاهتمام بتشيع جنازة عمه (سعيد) وعدم الاعتناء بتأدية ما يليق بمقامه ، وأسرع بدفنه فى الاسكندرية دون أى مظهر من مظاهر الحفاوة والرعاية ثم ما لبث أن استصدر فى عام ١٨٦٦م فرمان الوراثة الذى حصر أرث الخديوية المصرية فى أولاده (الأكبر) ثم بعده الى أكبر

أولاد هذا الأكبر (على النسب المستقيم الذكورى على الدوام) [1]. ناسخا بذلك فرمان الوراثة الصادر لجده محمد على باشا (١٨٠٥ — ١٨٤٨) [2] — فى يونيو ١٨٤١ — حارما بذلك أخاه الأمير (مصطفى فاضل) وعمه الأمير (عبد الحليم) من حقهما فى الوراثة المكفول لهما بمقتضى فرمان ١٨٤١ ، ومكتسبا عداوتهما التى طالت لسنوات عديدة ذخر خلالها تاريخ الأسرة بحوادث الكيد والوقيعة والدس ما بين الآستانة والمحروسة .

ولقد كان المفترض أن تستقر الأحوال برسوخ الأمر الواقع واعمال نصوص فرمان ١٨٦٦ و ١٨٧٣م فيما يتعلق بقضية الوراثة — وانتقال السلطة بهدوء من اسماعيل الى ابنه (١٨٧٩) ومن توفيق (١٨٧٩ — ١٨٩٢) الى ابنه عباس حلمى الثانى (١٨٩٢ — ١٩١٤) فى عام ١٨٩٢ بعد وفاة توفيق بالطبع — لولا تلك المتغيرات التى أفرزتها ظروف قيام الحرب العظمى (١٩١٤ — ١٩١٨) .

كانت علاقات الخديو عباس حلمى بالوجود البريطانى فى مصر متردية منذ بداية عهده — وعزمت بريطانيا على عزله فى أكثر من مناسبة [3] — حتى سافر فى مايو ١٩١٤ الى الآستانة ، ونشبت الحرب فى الرابع من أغسطس ١٩١٤ ودخلت تركيا الحرب فى التاسع والعشرين من أكتوبر ١٩١٤ — وأعلنت بريطانيا الأحكام العرفية فى الثانى من نوفمبر ١٩١٤ — ومنعت الخديو عباس من العودة الى مصر وأعلنت الحماية على البلاد فى الثامن عشر من ديسمبر ١٩١٤ ، ثم أعلنت خلع عباس فى اليوم التالى وعينت حسين كامل (١٩١٤ —

---

(١) الفرمان الشامل الصادر فى عام ١٨٧٣ — راجع « تاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة » لمحمد رفعت باشا — المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٢ ص ٢٩٥ ملحق (هـ) .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩١ ملحق (ب) .

(٣) د. يونان لبيب رزق « تاريخ الوزارات المصرية » ص١٣٢ — ١٨٢

١٩١٧) سلطانا على مصر فى نفس اليوم — وبدأت محاولات عباس حلمى لاسترداد عرشه المسلوب خاصة بعد أن قامت السلطة العسكرية البريطانية بتصفية أملاكه فى ظل الأحكام العرفية •

كانت أول محاولة للخديوى المخلوع هى تدبير الاستعانة برجال (الخفر) فى القطر المصرى لاشعال نار الثورة لكن محاولاته فى هذا الصدد باءت بالفشل (٤) — واعتمد على دخول مصر مع قوات الجيش الرابع بقيادة (جمال باشا) فى حملته الأولى على قناة السويس ، لكن فشل الحملة فى عبور القناة وعدم اشتعال الثورة التى كان الأتراك يتوقعون وقوعها فى مصر مع وصول أنباء احتلالهم للاسماعيلية (٥) — واستبعاد الحكومة التركية له من المشاركة فى الحملة أفقده الأمل فى الوصول الى عرشه عن طريق هذه الترتيبات (٦) •

هنا بدأت محاولات عباس للعودة تأخذ الشكل التآمرى المعتمد على استخدام الأعوان لتدبير المؤامرات • ونحن وان كنا لا نملك دليلا على أن محاولتى الاغتيال اللتان تعرض لهما السلطان (حسين كامل) فى ١٩١٥/٤/٨ و ١٩١٥/٧/٩ هما من تدبير الخديو المخلوع — فان اتفاق (السيد محمد الباشا وأحمد عبد الحى كيره) على اغتيال محمد سعيد باشا ، الذى أبلغ به (عبد الحميد المنصورى) دار الحماية البريطانية فى ١٩١٩/٦/٢٢ كان من تدبير عباس دون أدنى شك —

---

(٤) د. محمد أنيس « صفحات مجهولة من التاريخ المصرى » — روز اليوسف ١٩٧٣ ص ٢٦ — ٢٨ •

(٥) « مذكرات جمال باشا » تعريب على أحمد شكرى — مكتبة الهلال — القاهرة ١٩٣٢ — ص ٢٦٦ •

(٦) د. لطيفة محمد سالم « الصراع العسكرى بين الدولة العثمانية وبريطانيا فى مصر » ١٩١٤ — ١٩١٨ « المجلة التاريخية المصرية » — المجلدان ٢٨ و ٢٩ (١٩٨١ — ١٩٨٢) ص ٣٧٦ — ٣٧٧ •

فالباشا وكيره كانا من رجاله وكانت صلته بهما قد بدأت فى (روما) التى ذهب اليها بعد الهدنة (٧) .

توفى السلطان حسين كامل فى التاسع من اكتوبر ١٩١٧ وعين الانجليز (فؤادا) سلطانا على مصر فى اليوم التالى . وفى عهده أخذت العلاقات بين الرجلين طابعا يتسم بالشراسة التى ميزت علاقات اسماعيل بالأميرين (أحمد فاضل) و (محمد عبد الحليم) .

فما أن صدر تصريح فبراير ١٩٢٢ حتى شرع (فؤاد) فى اتخاذ ما يلزم لتثبيت موقعه الجديد فأعلن فى ١٥ مارس تسمية نفسه (ملكا) — وأتبع ذلك باصدار نظام وراثة العرش فى ١٣ أبريل ١٩٢٢ ونص فيه على وراثية الملك فى الأسرة العلوية — وانتقال ولاية الملك من صاحب العرش الى أكبر أبنائه ثم الى أكبر أبناء ذلك الابن الأكبر — كما حدد فى الأمر أن ولاية الملك من بعده « لمولانا المحبوب الأمير فاروق » (٨) . وأصدر فى ١٠ يونيو ١٩٢٢ قانونا بنظام الأسرة المالكة شمل ما له حق الولاية على الأسرة — والطبقات التى ينحصر فيها لقب الأمارة ونظام توارث ذلك اللقب وتشكيل مجلس البلاط — وحدد فى ٢١ يونيو أسماء أعضاء الأسرة المالكة الذين يطلق عليهم لقب النبيل والنبيلة (٩) .

كان (فؤادا) يصدر فى هذا كله عن رغبة فى ازالة كل ما يتعلق بابن أخيه تماما وقطعه عن كل ما يتعلق بمصر . والمتأمل لنصوص القانون ٢٨ لسنة ١٩٢٢ الخاص باقرار تصفية أملاك عباس وتضييق

---

(٧) « صفحات مجهولة من التاريخ المصرى » مرجع سبق ذكره ص٥٨

St. Antony's College - Oxford, M. E. Center - Russell's Private - JQ 3801 -, DT 107 «Alist about the political Crimes which took place between the years 1910 — 1946.

(٨) عبد الرحمن الرافعى « فى أعقاب الثورة المصرية » جـ ١ ص ٤٩ — ٥٠ .

(٩) المرجع السابق ص ٥١ .

ما له من الحقوق يستطيع أن يكتشف دون كثير عناء أن روح التشفى والانتقام كانت تسيطر على فؤاد عند اصداره لهذا القانون ، فقد نص المشروع على :

— الموافقة على التصفية التى عملت لأملاك عباس وجعلها نهائية .

— عدم قبول أية دعوى قضائية سواء أكانت مرفوعة أم سترفع فيما بعد بقصد الغاء أو سحب أو تعديل أعمال التصفية السابق الاشارة اليها .

— تسليم الناتج من هذه التصفية الى صاحب الشأن والموافقة على سقوط حقه فى هذا الناتج لصالح الحكومة فى حالة امتناعه عن استلامه فى مدة خمس سنوات .

— منع عباس من السكن أو الاقامة فى الأراضى المصرية .

— حرمانه من التمتع بحقوقه السياسية فى مصر ومن القيام بوظائفه الشرعية ومن حق امتلاك أموال منقولة وغير منقولة .

وأخيرا القيام فى المستقبل بادارة وتصفية كل ما يمكن أن يكون له من أموال نقدية أو غير نقدية سواء آلت اليه بالميراث الشرعى أو من طريق الحق المكتسب على أن يتبع فى ذلك نفس الذى اتبع فى شأن تصفية أمواله (١٠) .

ولكى يمنع (فؤاد) أى محاولة لاحداث تعديل فى هذا القانون الذى ضيق على عباس فانه أدخله ضمن مواد الدستور المصرى الصادر

---

(١٠) الدولة المصرية « مجلس النواب » الهيئة النيابية الثالثة . مجموعة مضابط الانعقاد العادى الثانى المجلد الأول (١٨ نوفمبر ١٩٢٦ — ٢٨ مارس ١٩٢٧) . مضبطة الجلسة التاسعة والعشرين لمجلس النواب ١٩٢٧/٢/١٤ ص ٤٤٦ — ٤٥٢ وقد صدر هذا القانون فى ١٩٢٢/٧/١٧ وأقر ما قامت به السلطة العسكرية البريطانية من تصفية لأملاك عباس حلمى الثانى بعد اصدار بريطانيا قرارها بخلعه فى ١٩١٤/١٢/١٩ .

فى ١٩ أبريل ١٩٢٣ ، اذ نصت المادة ١٦٨ من هذا الدستور على اعتبار أحكام هذا القانون كأن لها صفة دستورية ولا يصح اقتراح تنقيحه [١١] .

بل أنه لكى يقطع الطريق على أى تفسير أو تأويل يغاير المعنى الذى قصده فى قانونه هذا — فقد أصدر فى ٢٩ ديسمبر ١٩٢٤ مرسوما بقانون أكد فيه أن كل دعوى رفعها عباس أو ترفع عليه وكل اجراء اتخذه ضده سواء باسمه شخصيا أو باسم دائرته أو بواسطتها أو باسم حارس مصف أو مدير ... الخ — يجب أن يقضى بعدم قبولهما وبرفضهما حتما ومن تلقاء المحكمة نفسها أيا كانت الحالة التى عليها الدعوى [١٢] .

ومن جانبه لم يكن الخديوى عباس ساكتا ، فقد اشتغل طوال فترات وجوده فى الآستانة وجنيف وروما بالاتصال بأعوانه وخلصائه للعمل معا من أجل عودته الى مصر — وأنتجت هذه الاتصالات والتدبيرات اجراءات من جانب الملك فؤاد ونظامه الحاكم فى مصر .

عندما أقدم عبد اللطيف عبد الخالق الدلبشانى طالب الطب فى برلين — على الشروع فى اغتيال (سعد زغلول باشا) فى ١٢/٧/١٩٢٤ (الجناية ١٨٥٣ الأزبكية ١٩٢٤) تقدم محمد توفيق فاضل أحد أفراد حاشية الخديو السابق والذى كان قد طرد من خدمته فى مارس ١٩٢٣ — فى ٢٩ يوليو الى المحقق وأبلغه بمعلومات تتصل من وجهة نظره بالتحقيق [١٣] . كشف التحقيق الذى تفرع عن قضية سعد زغلول عن اتهام كل من (ابراهيم عبد اللطيف — حسن حسنى شفيق — محمد

---

(١١) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ص ٢٥٤ « دستور الدولة المصرية » ١٩ أبريل ١٩٢٣ .

(١٢) مضبطة الجلسة التاسعة والعشرين لمجلس النواب فى ١٤/٢/١٩٢٧ — مرجع سبق ذكره .

(١٣) د. محمد أنيس « المصدر نفسه » ص ١٣٤ — ١٥٤ .

سيف الدين ـ على أحمد عزت ـ السيد حسنين القصبى ـ والسيد عبد الهادى القصبى) بالتآمر فى القاهرة وطنطا فى الفترة أكتوبر ١٩٢٠ ـ يوليو ١٩٢٤ لاستخدام العنف والمفرقعات لتغيير الدستور ونظام توارث العرش فى مصر ، وتدمير المبانى الحكومية ـ والاتفاق على ادخال الخديو السابق الى مصر واعلانه ملكا لمصر بالقوة واستخدام الديناميت ، لتدمير القناطر والكبارى لمنع من يعارضهم فى تنفيذ مؤامراتهم ـ لكن القضية حفظت فى ١٨/١٢/١٩٢٤ لعدم كفاية الأدلة [١٤] .

هذه القضية هى المدخل الى ما نقدمه من وثائق تكشف عن العلاقات بين الغريمين (فؤاد وعباس) أو بكلمات أخرى مدى النجاح الذى أحرزه القصر فى مجال رصد مؤامرات الخديو السابق وتدميرها قبل أن تنتج الأثر المطلوب . ففى هذه القضية كان (حسن نشأت) رجل القصر قد نجح فى زرع عميل له بين المتآمرين ، والذى كان من رجال الخديو فى نفس الوقت (محمد على المصرى) والذى قام بكشف كل ما لديه من معلومات عن عمليات الخديو السابق من ادخال المتفجرات الى مصر ، والمنشورات ضد الملك فؤاد ، والخطابات للشخصيات التى كان يتصل بها فى مصر . الأمر الذى مكن (حسن نشأت) من توجيه جهاز الأمن الرسمى لعمليات رصد وضبط محاولات تهريب الأسلحة التى كان الخديو يرسلها الى مصر من استانبول عن طريق (السلوم)[١٥] .

كشفت الوثائق التى ظهرت حتى الآن من أوراق حسن نشأت [١٦]

---

(14) Russel's private papers. op. cit.,

(١٥) دار الوثائق القومية ـ محفظة ٤ داخلية « أمن » ملف ٦ « تقرير عن مأمورية السلوم » ٢ مايو ١٩٢٤ ـ أمر صادر من سعادة حسن نشأت باشا بقيام محرر التقرير ومقابلة اليوزباشى السيد عبد الرحمن واليوزباشى على أفندى وافى الموظفين بادارة الأمن العام والاتصال بمدير خفر السواحل المستر (دوتس بك) والبحث عن أسلحة مهربة من اسلامبول ... الخ .

(١٦) راجع الدكتور / محمد أنيس « صفحات مجهولة من التاريخ المصرى » .

عن نشـــاط عباس حلمى ضد الملك فؤاد فى أوربا وعــلاقاته بالطلبة المصريين فى (جنيف) و (روما) و (برلين) و (الآستانة) — ومحاولات الملك فؤاد — عن طريق رجله نشأت — التجسس عليه ، وفض مجموعات المصريين من حوله — وضرب تجمعات الطلبة المصريين فى أوربا • وفى هذا المقام فانه استخدم اما بعضا من رجال قصره (يونس ثابت — محمد بدر جركس) أو بعضا من المصريين المحيطين بالخديو السابق أمكن استمالتهم وتوظيفهم لأغراضه (محمد عــلى المصرى) وأخيرا الجهاز الدبلوماسى المصرى فى (اليونان) و (ألمانيا) وغيرهما • والحاق (مراقبين للطلبة) من الموظفين المصريين بالبعثات الدبلوماســية المصرية (١٧) على الطلبة المصريين فى الخارج وكتابة التقارير عن نشاطهم •

والوثائق التى نقدمها فى هذه الدراسة تكشف عن نشاط آخـــر للخديو فى مناطق أخرى لم تتعرض لها أوراق (نشأت) اســتخدم القصر فى مواجهته (وزارة الداخلية) الى جانب حسن نشأت •

بطل هذه الوثائق تركى يدعى (أحمد نجاتى) عمل ما بين مصر و (بيروت) وكشف عن علاقات للخديو مع جماعات لم يعرف عن صلاته بها أحد من قبل — كما كشف عن نشاط جديد للخديو فى بلاد الشام •

ويبدو أن نجاتى هذا كان موظفا فى وزارة الداخلية المصرية — وتكشف تقاريره عن أنه كان يتقاضى راتبا أو مكافأة شــهرية قدرها ثمانية جنيهات — كما أنه كان يراسل (محمود فهمى القيسى باشا) مدير ادارة عموم الأمن العام بوزارة الداخلية فى عام ١٩٢٤ وحسن نشأت فى نفس الوقت — كذلك فانه كان يعمل بصفة مؤقتة وكان يطمع

---

(١٧) أوراق محمد فريد « مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ — ١٩١٩ » المجلد الأول مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر — ص ٩٨ و ١٠٦ ودار الوثائق القومية محفظة ٩ داخلية ملف ٦ تقرير القائمقام محمد كامل الرحمانى مفتش الداخلية ١٩٢٤/٧/٢٦ .

فى أن يلحق بوظيفة دائمة ــ كما أنه كان يكتب تقاريره باللغة التركية التى يتولى أحد المترجمين الأتراك ترجمتها الى العربية .

فى تقريره الأول الى حسن نشأت باشا والمحرر بتاريخ ١٩٢٤/١/١ يكشف (أحمد نجاتى) عن المهمة التى كلفه بها (نشأت) وهى مراقبة عبد الرحمن عزام [١٨] والتعرف على الاجتماعات التى كانت تعقد فى منزله بضاحية حلوان ــ مما يعنى أن عزام كان لــه نشاط سياسى موال للخديو السابق وأنه كان تحت مراقبة حسن نشأت الذى كان يتابع نشاطه ويخطر به الملك فؤاد أولا بأول [١٩] . ومن حلوان انتقل نجاتى الى (بيروت) حيث تنكر فى زى (ماسح أحذية) وتنقل بين (بيروت) و (حلب) التى اشتغل فيها ببيع طوابع البريد ، ومن (حلب) انتقل الى (دمشق) حيث اشتغل مصورا ــ وفى السادس والعشرين من سبتمتر ١٩٢٤ بعث بتقريره الى نشأت .

فى هذا التقرير كشف (نجاتى) عن شراء (الخديو عباس) لجريدة تصدر فى بيروت باسم (أبابيل) وأنه يتولى الانفاق على كل

---

(١٨) سياسى مصرى تعلم فى أوربا ، وأثناء حرب البلقان عام ١٩١٣ التحق بالجيش العثمانى وانضم بعد ذلك الى الأنشطة الطلابية العربية فى أوربا خلال الحرب الأولى ــ عمل مع محمد فريد خلال تلك الفترة واتصــل بالألمان عام ١٩١٨ وقام بطبع منشورات أرسلها الى مصر عبر طــرابلس الغرب ــ وقام بتوصيل أخبار مصر للطلبة المصريين فى ألمانيا ــ اشترك فى عدة معارك بالصحراء الغربية ١٩١٥ ــ ١٩١٧ وانضم الى الحــركة الوطنية بزعامة سعد زغلول . شغل منصب وزير الأوقاف فى وزارة على ماهر الثانية (١٨ أغسطس ١٩٣٩ ــ ٢٧ يونيو ١٩٤٠) حتى ١٩٣٩/١٢/٢٠ ثم وزارة الشئون الاجتماعية فى نفس الوزارة من ١٩٣٩/١٢/٢٠ الى ١٩٤٠/٦/٢٧ . أول من شغل منصــب الأمين العام لجامعة الدول العربية حتى استقالته منها بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ . راجع « أوراق محمد فريد » ص ١٤٠ ، ٣٩٢ ، ٤٠٠ .

(١٩) دار الوثائق القومية محفظة مجلس الوزراء لسنة ١٩٢٤ (بدون رقم) ملف يحتوى على تقارير ملاحقة نشاط الخديو عباس حلمى ويضــم أحد عشر تقريرا ــ التقرير رقم (١) .

ما تتطلبه احتياجاتها ـ وان هيئة تحرير هذه الجريدة كانوا (رفيع جواد ـ رفيق خالد ـ وحسن الخيار) وكان مخابرها المتجول (أرتيست برهان الدين) وأن الجريدة ستنتقل الى (يافا) بعد ذلك •

كما أبلغ بأن العائلة السلطانية كانت فى بيروت فى ذلك الوقت وان الأشخاص الذين يقومون بمهمة المخابرات بين الخديو السابق وبين السلطان محمد وحيد الدين فى الشام وسويسرا هم (محمود ماهر متصرف جناق قلعة السابق ـ عارف باشا سكرتير الخديو السابق ـ واسماعيل الكوملنجى الموظف العثمانى الكبير) •

ومن خلال عمله الذى انتحله فى دمشق (كمصور) استطاع أن يلتقط صورا فوتوغرافية للشخصيات ذات الصلة بالخديو عباس والذين يحتمل ترددهم على مصر ـ وأرسل هذه الصور الى نشأت ومعها ايضاحات عن أصحابها ـ فكتب على ظهر صورة (كاظم جوهرى بك) انه المدير السابق « لبورصة بولى » وانه كان ضابطا فى حرس قصر الخديوى فى جبوقلى باستانبول ـ وان الخديو توسط له حتى ترقى الى مدير « لبورصة بولى » الى جانب بيانات أخرى • وعلى صورة (عالى فؤاد) بك ذكر (نجاتى) انه كان جاسوسا لحساب الفرنسيين على الحدود السورية ثم استغنى عنه ، فالتحق بخدمة الخديو ، وكان فى ذلك الوقت على وشك القدوم الى مصر • واثبت على صورة (عرفه لى مراد أفندى) أنه صديق (لعالى فؤاد بك) وأنه دائم التردد على مصر متظاهرا بتجارة المجوهرات والذهب والسجاد ـ وأنه يردد دعاية مفادها أن مجهودات الحكومة المصرية لا قيمة لها وأن عودة سيد مصر السابق مؤكدة •

وقد استطاع (نجاتى) تجنيد أحد أصحاب شركات السيارات فى بيروت واسمه (سعد الدين الطرابلسى بك) وكانت شركته تقوم بنقل المسافرين من بيروت الى الاسكندرية وجبل لبنان وجبل الدروز

وحيفا ويافا ومعان وعمان ودمشق وبغداد • ومن خلال عمله هذا توافرت لديه معلومات عن الأتراك الذين يفدون الى بيروت ، فأفهمه (نجاتى) أنه صحفى وكتب معه شرطا بمساعدته عند قدومه الى مصر لبعض الأمور التجارية فى مقابل أن يعطيه معلومات عن الأتراك الذين يردون الى بيروت وأماكن اقامتهم وأسمائهم وأعمالهم فى تلك المدينة علـى أن يوافيه بهذه المعلومات على عنوانه بالقاهرة رقم ٨٠ شارع محمد على •

واستطاع (نجاتى) خلال اقامته فى دمشق أن يحدد مكان تجمع الشخصيات التى لها صلة بالخديو السابق (كادريس فؤاد) و (حسن حلمى) أخيه ، والشريف يحى عدنان أحد أبناء عمومه الملك حسين ابن على الذى كان ملكا للحجاز فى ذلك الوقت — والذى طلب الملك فؤاد عمل بعض التحريات عنه ، وأثبت (نجاتى) فى تقريره خطورة هذا الرجل على أمن مصر • ولم يفته أن يلتقط له صورة فوتوغرافية باعتباره مصورا •

وفى نهاية تقريره طلب (نجاتى) التحرى عن أميرالاى (عميد) يدعى (نصوحى بك) بالاسكندرية وعن الأشخاص الذين يتصـل بهم هناك [٢٠] •

فى الأسبوع الأول من ديسـمبر ١٩٢٤ بعث (أحمد نجاتى) بتقريره الثالث الى (نشأت باشا) • وفى هذا التقرير الذى يبدو أنه أرسله من القاهرة تحدث (نجاتى) عن (حبيبه هانم) معرفا اياها بأنها (من المنسوبين الى الخديو السابق) • أفاد التقرير (نجاتى) أن (حبيبه هانم) جاءت الى القاهرة فى ٣ نوفمبر ١٩٢٤ وأقامت عنـد الأميرة أمينه والدة الخديو عباس ، وبعد عدة أيام سافرت الى بورسعيد •

---

(٢٠) دار الوثائق القومية . المرجع السابق تقرير رقم (٢) — ملحق رقم (١) •

ووقت كتابة تقريره كانت تقيم هناك عند (مصطفى أفندى رياض) باشكاتب (قره قول) قسم العرب .

شرح (نجاتى) فى تقريره أسلوب عمل (حبيبه هانم) فى خدمة الخديو السابق فقال أنها تقوم بوظيفة خـادمة فى محلات الأشخاص الذين ترى أنه يمكن أن يصيب الخديو منهم ضرر وبعد أن تقوم بعملها تترك المحل الذى تخدم فيه منتحلة لذلك سـببا واذا لم توفق لعمل بنفسها فانها تستعين ببضعة نساء أخريات مثلها يقمن بعملها) .

كما حدد أسماء عدة أشخاص يعملون معها هم (عبد الحميد أفندى رفعت ـ سيد الشـيدى ـ البكباشى (المقدم) أدهم بك ـ ومظهر أفنـدى) ، وذكر أنهم موجودون معها فى مصر ويعملون معهـا فى (استانبول) ـ وركز (نجاتى) فى تقريره على (البكباشى ادهم)[٢١].

وذكر (نجاتى) فى تقريره عزمه على السفر الى بورسعيد فى الثامن ديسمبر ١٩٢٤ والبقاء هناك لمدة شهر يراقب خلاله (من يأتون من بيروت وغيرها من المحلات الأخرى ومن يجىء من رفقاء البكباشى أدهم بك وأريد أن أفهم اذا كانوا على اتصال مع حبيبه هانم أم لا).

وقد أستطاع (نجاتى) حسبما جاء فى تقريره ـ أن يجنـد (صلاح الدين بك) أخ (محمود مظهر) الطالب بمدرسـة البحرية

---

(٢١) كان عبد الحميد رفعت أحد مستشارى الخديوى المخلوع وكان يعمل معه فى قصر والدته بجهة (ببك) وقصره (بجبوقلى) على الساحل الآسيوى من الأستانة ـ وكان دور عبد الحميد رفعت هو التجسس على من يخشى الخديو شرهم وأداء بعض المهام الصغيرة ـ راجع د. محمـد أنيس « صفحات مجهولة من التاريخ المصرى » ص ٦٣ ، ٦٧ ، ١١٥ ، ١١٦.

التجارية الذى أطلق النار على الخديو عباس فى ٢٥ يوليو ١٩١٤ [٢٢] مستغلاً روح العداء والرغبة فى الانتقام عنده (فهذا الشخص هو الآن صديق صادق لى وأنى أريد أن أشركه فى مسعاى لنقوم معا بايفاء حسن الخدمة الى حضرة صاحب الجلالة حبيبنا وولى نعمتنا الملك وقد قال لى صلاح الدين بك وهو يبكى أنه مستعد لأن ينتقم من الخديوى لأخيه الذى ذهب ضحيته فى ريعان شبابه) •

وتتضح قدرات (نجاتى) البوليسـية فى تجنيد الشخصيات الصالحة للعمل لصالح القصر فى اختياره (لصلاح الدين) أولا • ثم ذكره لمؤهلاته فى المجال الذى كان ينوى تجنيده للعمل فيه (التجسس على الخديو وكشف المتعاونين معه) فهذا الشاب الذى حضر حديثا من استانبول يعرف الأشـخاص المقربين من الخديوى جيدا ويمكننى أن أستفيد منه فى كل شىء •••• وصـلاح الدين بك يعـرف الألمانية والانكليزية والعربية والتركية) •

---

(٢٢) أثناء خروج الخديوى عباس حلمى الثانى من (الباب العالى) فى الآستانة بعد ظهر السبت ٢٥ يوليو ١٩١٤ أطلق محمود مظهر الطـالب بمدرسة البحرية التجارية نيران مسدسه عليه فأصابه بأربع رصاصات فى خده الأيمن ، وأصاب صهره جلال الدين باشا فريد واثنين من المـارة ، فأطلق ياور الخديوى الرصاص على الجانى فقتله ـــ وكان عمر مظهر وقت ارتكابه الحادث تسعة عشر عاما وهو ابن المرحوم أحمد مظهر بك رئيس محكمة بنى سويف فى ذلك الوقت ـــ وكان أصغر اخوته ، وأمه جركسية الأصل .

أما جلال الدين فريد باشا فهو جلال الدين فريد فلورا باشا قبوكتخدا (ممثل) الخديوى عباس حلمى الثانى بالآستانة اعتبارا من ١٩١٢/١١/١٠ وحتى ١٩١٤/١٢/١٨ عندما ألغيت القبوكتخدائية الخديوية على أثر نشوب الحرب العالمية ـــ شغل جلال الدين باشا وظيفة سكرتير سـفارة تركيا بباريس منذ ١٩٠٧ وحتى نوفمبر ١٩١٢ . عند الغاء القبو كتخدائية ظل يواصل عمله ممثلا لمصر فى الآستانة وبقيت حكومة الآستانة معترفة بـه كممثل لمصر لديها . وقام بأعمال رعاية المصريين الذين احتجزتهم ظـروف الحرب فى الآستانة ـــ راجع دار الوثائق القومية ـــ محفظة مجلس الوزراء لسنة ١٩٢٧ . وثيقة ٢٤٥ رقم ١٩٧/١ متنوعة .

ونعود الى (حبيبه هانم) جاسوسة الخديوى على أعوان الملك فؤاد ــ للتعرف علىحقيقتها : لقد كشف لنا (أحمد نجاتى) فى تقريره هذا بعضا من جوانب شخصيتها عندما قال أنها عينت فى الحرب العامة (يقصد الحرب العظمى ١٩١٤ ــ ١٩١٨) بأمر سيف الدين بك قائمقام أركان حرب ومدير الاستعلامات فى الشعبة الثانية (أى جهاز المخابرات) بوزارة الحربية (التركية) بوظيفة رقيب (Censor) فى قلم الرقابة ــ وأنها كانت ما بين الثلاثين والخامسة والثلاثين فى ذلك الوقت لأن (نجاتى) قدر عمرها فى تقريره المؤرخ ديسمبر ١٩٢٤ بأربعين الى خمسة وأربعين عاما . أما باقى جوانب شخصية (حبيبه هانم) فيكشفها تقرير (محمد بك بدر جركس) أحد رجال القصر الملكى الذى أوفده الملك فؤاد فى مايو ١٩٢٤ للتجسس على الخديوى .

كان محمد بك بدر جركس قد وصل الى الآستانة للتعرف على الشبكة التى يديرها الخديوى للتجسس على القصر الملكى ــ وكانت خطته هى الدخول فى زمرة الخديوى والاندساس بينهم ليعرف خبايا عمليات الخديوى ضد الملك .

أمكن (لمحمد بدر) أن يتصل (بعبد الحميد رفعت) الوارد ذكره فى تقرير (نجاتى) وطلب منه أن يساعده فى مقابلة الخديوى ليقدم فروض الطاعة باعتباره أحد المخلصين له ــ وبالفعل فان (عبد الحميد رفعت) أبلغ جاسوس القصر (بدر جركس) بموعد المقابلة ، وفى الفترة الواقعة بين لقائه بعبد الحميد رفعت وموعد لقاء الخديوى ، وهى عدة أيام حضرت سيدة الى الفندق الذى يقيم به (بدر) وطلبت مقابلته . ولندع (محمد بدر جركس) يصف فى تقريره الذى أرسله للملك فؤاد فى ١٢ مايو ١٩٢٤ قصة هذه السيدة .

« وجدتها سيدة تبلغ من نحو الأربعين ، قبيحة المنظر ولكنها على جانب عظيم من الدهاء سمراء اللون قليلا قصيرة القامة كبيرة

العينين يلوح الذكاء الشديد منهما ... قالت لى أنا مصرية ومقيمة بالآستانة من مدة وانى أتكلم بالألمانى والفرنساوى والطليانى والانجليزى قراءة وكتابة واسمى (حبيبه) وقد توظفت مديرة القلم الافرنجى ببوستة الآستانة فى زمن الحرب وبقيت بوظيفتى هذه عشر سنوات ثم عزلت وانى اشتغل الآن فى التجارة لبيوت عائلات الأتراك الكبيرة » [٢٣] .

أفهمت (حبيبه) محمد بدر أنها علمت بحضوره الى الآستانة وأنها حضرت لتعرض عليه خدماتها اذا رغب فى الزواج بتركية من استانبول ، وشرحت له أسلوبها فى عرض عرائسها على الراغبين والذى كان يتلخص فى رسم صور الفتيات التركيات (عرايا) بعد التأثير عليهن ، ثم عرض هذه الصور على أمثال (بدر) وشفعت عرضها هذا بتقديم صورتين عاريتين لفتاتين ادعت أنهما من بنات العائلات العريقة وطلبت من (بدر) فى المقابل أن يقدم لها بياناته لكى تعرضها على الطرف الآخر (أهل العروس) وكانت البيانات هى :

اسم الأب — وظيفته ومكانها — عمر العريس — محل سكنه فى مصر — حالته الاجتماعية — مهنته — ثروته ومقدارها — أطيانه ان وجد — صلاته بالشخصيات الكبيرة فى مصر [٢٤] . وهى أسئلة تكشف بسهولة عن حقيقة الدور الذى يلعبه سائلها — فاذا أضفنا الى ذلك أن (بدرا) كان قد اكتشف أن الصور التى قدمتها له (حبيبه) هى صور من تلك التى تباع فى المحلات والمسماه (كارت بوستال) وأنه شك فى ادعاء حبيبه الغير مبرر بعلمها بحضوره الى الآستانة الى جانب روح الحذر التى تكون موجودة دائما عند المشتغل بالعمل السرى — اذا استحضرنا هذا كله فان كشف (بدر) لجاسوسة الخديوى كان أمرا سهلا —

---

(٢٣) د. محمد أنيس صفحات مجهولة ص ٨٥٨ .

(٢٤) المرجع السابق ص ٨١ — ٩٠ .

لكن الذى يعنينا ليس هو ذلك ، وانما هو الاكتشاف المبكر من جانب (عباس) لرجال (فؤاد) واتخاذ الاجراءات المضادة لاجهاض تحركاتهم وكشفها ، ومحاولات (زرع) الجواسيس من جانب الملك فؤاد فى قلب حاشــية واعوان ابن أخيه ، وهو أسلوب بوليسى قديم شــاع استعماله فى العشرينات [٢٥] ولا زالت أجهزة الأمن السياسية تستخدمه حتى الآن •

من خــلال المعلومات التى أوردها (أحمد نجاتى) فى تقريره بتاريخ ديسمبر ١٩٢٤ وتقرير (محمد بدر جركس) يمكن القاء الضوء على شخصية (حبيبه هانم) كنموذج لذلك النوع من الجواســيس والأعوان الذين كان كل من (فؤاد) وعباس يستخدمهم فى حربهما الخفية •

فى ختام تقريره الى (نشــأت باشا) طلب (نجاتى) موافاته بقائمة بأسماء الأشخاص المنسوبين الى عائلة من يدعى (اســماعيل باشا الكردى) •

ومن الثابت من واقع تقرير (نجاتى) أن رجال الملك فؤاد كانوا يعملون فى مهتمهم بالتنسيق مع البوليس المصرى • فقد قدم (نجاتى) فى نهاية تقريره قائمة بأسماء ستة أتراك من الجنسين ممن يشتغلون بالتمثيل والمقيمين بالآســتانة وذكــر أن ثلاثة منهم قد حضروا من الاسكندرية فى الرابع عشر من نوفمبر عام ١٩٢٤ الى القاهرة وأقاموا (بلوكاندة) ماجستيك بحارة الزهار بشارع كامل قسم الأزبكية ـ أما الثلاثة الآخرين فقد ســافروا الى الاســكندرية من القاهرة فى السادس والعشرين من ذلك الشهر • وذكر (أحمد نجاتى) فى نهاية تقريره أنه حصل على القائمة « بواسطة حسين أفندى عبد الكريم أحد

---

(٢٥) راجع القضية (١١٠) جنايات السيدة زينب لسنة ١٩٥٢ (مقتل السردار) ودور محمد نجيب الهلباوى فيها .

رجال البوليس السرى الذى كان يشتغل معى فى الداخلية أثناء اشتغالى فيها » (٢٦) •

فى ٨ ديسمبر ١٩٢٤ قدم (نجاتى) تقريرا آخر (لنشأت) ذكر فيه أن (البكباشى أدهم) الذى ورد ذكره فى تقريره السابق كان يقيم مع شخص آخر يدعى (صلاح) عند الأمير (محمد على توفيق) أخ الخديوى عباس • وهذه المعلومة تعد غريبة بالنظر للسياسة التى كان يتبعها الأمير (محمد على توفيق) تجاه علاقة أخيه بالانجليز والتى كان يختلف معه فيها خشيةَ على أمواله من المصادرة — وهى سياسة لا يتصور معها أن يتعاون معه فى قضية تمس أمن (الملك فؤاد) المشمول بحماية الانجليز (٢٧) •

ويوضح تقرير (نجاتى) أن عمليات المراقبة واقتفاء الأثر كانت تشمل كل من له صله بالخديوى السابق من قريب أو بعيد ، بما فى ذلك العاملين فى دائرته أو دوائر أقاربه — فقد كان (محمد نديم) كاتب تركى والدة الخديوى محل مراقبة (نجاتى) شأنه فى ذلك شأن (حبيبه هانم) التى ذكر (نجاتى) فى تقريره هذا أنها كانت تقيم فى (شارع الحميدى ببورسعيد) •

وقد أبدى (نجاتى) فى تقريره (لنشأت باشا) رغبته فى السفر

---

(٢٦) دار الوثائق القومية . نفس المرجع تقرير رقم (٣) .

(٢٧) وولى العهد خلال فترة حكم الملك السابق فاروق (١٩٣٧ — ١٩٥٢) حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ — اتخذ موقف المحايد فى نزاع أخيه (عباس) مع انجلترا لكى لا يغضبها خشية مصادرة أمواله فى مصر — كان يكره الدولة العثمانية ولا يخفى عداوته لها — اختلف مع أخيه بعد عزله واشتغل فى عام ١٩١٥ بمشروع تقديم مقترحات للحصول على ضمانات من تركيا وألمانيا بشأن المستقبل وضمان حالة مصر بعد الحرب — كان متعاونا مع الانجليز — راجع محمد فريد « مذكراتى بعد الهجرة » ١٩٠٤ — ١٩١٩ ، ص ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٣٠٣ ، ٤٠٦ .

الى (بيروت) لمقابلة عميله (سعد الدين الطرابلسى) صاحب شركة السيارات فى بيروت الذى ورد ذكره فى تقريره بتاريخ ١٩٢٤/٩/٢٦ سنة ١٩٢٤ [٢٨] • والذى كان قد اتفق معه على تزويده بالمعلومات عن الأتراك الذين يفدون الى بيروت •

فى تقاريره الى مدير عموم الأمن العام بوزارة الداخلية (محمود فهمى القيسى باشا) اختص (نجاتى) جهاز البوليس بمعلومات خطيرة لم يبلغها (لنشأت) رغم توافق تواريخ تقاريره الى الرجلين — فتقاريره الى نشـــأت كانت فى ١٩٢٤/١/١ ، ١٩٢٤/٩/٢٦ ، ١٩٢٤/١٢/١ ، ١٩٤/١٢/٨ — وتقـــاريره الى (القيسى) كانت فى ١٩٢٤/٩/١٨ ، ١٩٢٤/٩/٢٤ ، ١٩٢٤/٩/٢٢ ، ١٩٢٤/١٠/١ ١٩٢٤/١٢/١٣ •

ولا تفسير لذلك الا أن تكون هناك تقارير أخرى لم نطلع عليها ، وتضمنت هذه المعلومات — أو أن يكون جهاز البوليس فى وزارة الداخلية و (نشأت) كيانا واحدا منفتحان على بعضها فى هذا الشأن • بمعنى أن أمن القصر هو أمن الدولة ومن ثم فلا حاجة عند (نجاتى) للفصل بينهما وهو ما نميل الى الأخذ به •

كما يلاحظ أن (أحمد نجاتى) قد اتخذ لنفسه فى تقاريره لمدير الأمن العام لقب (مأمور استخبارات عموم الأمن العام تارة — ومأمور عموم الأمن العام تارة أخرى — ووضـــع علامة × محل توقيعه فى تقريرين من هذه التقارير (١٩٢٤/٩/١٤) ، (١٩٢٤/٩/٢٢) — ربما رغبة فى التخفى حيث كان قد شكا فى تقريره الى (نشأت) بتاريخ أول ديســمبر ١٩٢٤ من (أن التقارير التى أرســلتها اليها (وزارة الداخلية) كانت تترجم بواسطة شخص يعرف التركية فهذا الشخص

---

(٢٨) دار الوثائق القومية • نفس المرجع تقرير رقم (٤) •

صار واسطة لتعريف الأتراك الموجودين هنا بى وقد علمت ذلك بمزيد التأثر ،[٢٩] أى أنه كان قد (احترق) كمرشد بلغة البوليس •

يكشف التقرير الأول من (نجاتى) الى (القيسى باشا) بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٢٤ أن وزارة الداخلية كانت قد كلفته بعمل سياحة فى سوريا وفلسطين لجمع المعلومات عن الخديوى السابق وأعوانه • وبعد جولته هذه كتب تقريره هذا الذى كشف فيه عن وجود جمعية سرية فى مصر باسم « جمعية ادريس فؤاد » وقد ورد اسمه فى تقريره الثانى (لنشأت) بتاريخ ١٩٢٤/٩/٢٦ باعتباره أحد المتعاونين مع الخديو السابق فى بيروت ــ وأن من أغراض هذه الجمعية مراقبة من يأتى الى مصر والتجسس على الحكومة المصرية وابلاغ ما تسفر عنه تحريات هذه الجمعية الى المكتب الثانى البريطانى (المخابرات) فى فندق (عدن بالاس) بالقاهرة • وذكر (نجاتى) أن من أعضاء هذه الجمعية (رفيع جواد) الذى نسب اليه (نجاتى) فى تقريره لنشأت بتاريخ ١٩٢٤/٩/٢٦ انه من أعضاء هيئة تحرير جريدة ابابيل التى كان الخديو السابق يسيطر عليها[٣٠] • وشيخ الاسلام (الخوجه صبرى) والبكباشى (المقدم) (نورى ماناو أوغلى) ــ كما ألمح (نجاتى) الى أن هذه الجمعية كانت تحظى برعاية (الأمير فيصل) (والأمير عبد الله) ــ وتفتح هذه الجزئية المجال لمناقشة العلاقات العراقية المصرية فى العشرينات على اعتبار أن (الأمير فيصل) بن الحسين بن على كان ملكا للعراق فى ذلك الوقت ــ هذا اذا كان (نجاتى) يقصده ــ أما اذا كان المقصود هو الأمير (فيصل بن عبد العزيز آل سعود) فقد كان منشغلا فى ذلك الوقت بعمليات فتح الحجاز التى انتهت بالاستيلاء على (مكة) من (آل عون) فى ١٣ أكتوبر ١٩٢٤ • وعلى أى حال فقد كانت علاقات كل من العراق و (سلطنة نجد)

---

(٢٩) راجع التقرير رقم (٣) •

(٣٠) راجع التقرير رقم (٢) •

ببريطانيا فى ذلك الوقت طيبة — نظرا لامتناع بريطانيا عن التدخل لانقاذ (الملك حسين بن على) من الغزو السعودى • هذا فيما يتعلق بآل سعود • وبالنظر لدور بريطانيا فى ايجاد عرش (لفيصل) فى العراق بعد طرده من (سوريا) • وتفتح هذه الجزئية المجال لمناقشة علاقات امارة شرقى الأردن التى كان الأمير عبد الله بن الحسين أميرا عليها منذ عام ١٩١٩ بمصر — وكذلك علاقات سلطنة نجد بمصر •••• وهذا كله بهدف التعرف على السر فى (التفات ومساعدة) الأمير فيصل (أيا كان هو) — والأمير (عبد الله) لجمعية (ادريس فؤاد) التى كانت تتجسس على مصر لصالح بريطانيا [٣١] •

فى تقريره الثانى الى (القيسى) والمؤرخ ١٤ سبتمبر ١٩٢٤ تحدث (نجاتى) عن أعوان الخديو عباس الذين أسماهم (العباسيون)، وذكر انه وجدهم فى موقعهم وتعرف على ثلاثة منهم هم (مصطفى أفندى أبو الحطب) و (ابراهيم البندانى) و (عبد اللطيف أفندى الباروتى) — ونجح فى عقد صداقة مع تركيين وصلا الى بيروت على باخرة تحمل العلم العثمانى ، هما (توفيق بك) و (فريد شوكت) وكانا يسألان عن (ادريس فؤاد) رئيس الجمعية التى أشار اليها فى تقريره السابق (للقيسى) — وقد أشار (نجاتى) فى تقريره الى أنه قد نجح مع زميلين له فى (تصوير المطبعة) ومن المحتمل أن هذه المطبعة كانت تطبع ما يحتاج اليه (عباس) فى صراعه مع عمه (فؤاد) ، أو أنها كانت مطبعة جريدة (أبابيل) التى أشار اليها (نجاتى) فى تقاريره السابقة [٣٢] •

قدم (أحمد نجاتى) فى تقريره الثالث المؤرخ أول أكتوبر ١٩٢٤ معلومات عن الشخصيات المتعاونة مع الخديو السابق — فعرف (محمود ماهر) الوارد ذكره فى تقريره الى (نشأت) بتاريخ ٢٦ سبتمبر

---

(٣١) دار الوثائق القومية • نفس المرجع التقرير رقم (٥) •

(٣٢) دار الوثائق القومية • نفس المرجع التقرير رقم (٦) •

١٩٢٤ والذى قال عنه أنه أحد الأشخاص الذين يقومون بمهمة الوساطة بين الخديو والسلطان محمد وحيد الدين — بأنه كان مأمور البروباغنده السرية (الدعاية السرية) للخديو والكاتب التركى لوالدته • أما (محمود نديم) الذى أشار اليه فى تقريره بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٢٤ على أنه كاتب تركى والدة الخديو — فقد ذكر فى تقريره الى (القيسى) أنه كان مدرسا فى احدى المدارس المصرية •

وقد أبدى (نجاتى) فى هذا التقرير تخوفه من انكشاف أمره لدى (الأتراك) الذين كانوا يتعقبونه ويسألونه عن مهمته والجهة التى قدم منها — وطلب تزويده بتذكرة شخصية وسلاح لكى يتمكن من اتمام مهمته (٣٣) •

فى العاشر من أكتوبر ١٩٢٤ قدم (أحمد نجاتى) تقريرا مطولا الى ادارة عموم الأمن العام تحدث فيه عن عدة قضايا يعنينا منها مقاصد جمعية ادريس فؤاد التى لخصها (نجاتى) فى تبليغ أخبار مصر الى الشعبة الثانية البريطانية • وأن لهذه الجمعية فرع فى الشام كان يديره (حسن حلمى) شقيق ادريس فؤاد — وتقوم بنفس مهام الجمعية الأولى • وعرف (نجاتى) (ادريس فؤاد وحسن حلمى) بأنهما نجلا الصدر الأعظم (كامل باشا) (٣٤) — وقد تغلغلت هذه

---

(٣٣) دار الوثائق القومية نفس المرجع التقرير رقم (٧) •

(٣٤) هو قبرصلى محمد كامل باشا (١٨٣٢ — ١٩١٣) ا اشتغل حاكما فى بعض الولايات العربية ، وتبرص ثم وزيرا للمؤسسات الدينية (١٨٧٩ ، ١٨٨٢) ووزيرا للتعليم (١٨٨٠) — ثم صدرا أعظم ١٨٨٥ — ١٨٩١ ، وأول صدر أعظم بعد الاعلان الدستورى فى عام ١٩٠٨ (١٩٠٨ — ١٩٠٩) ... وصدرا أعظم (٢٩ أكتوبر ١٩١٢) حتى الانقلاب الحكومى من حزب الاتحاد والترقى ضده فى ٢٣ يناير ١٩١٣ والذى نتج عنه تعيين الفريق محمود شوكت باشا صدرا أعظم حتى مقتله على يد أنصار حزب الاتحاد الحر (Liberal Union) فى ١٥ يونيو ١٩١٣ • راجع :
Stanford J. Shaw. Ezel Kural shaw (History of the ottcman Empire and Modern Turkey Vol. II. pp. 220, 274. 276, 291, 294, 296, 453, 454.

الجمعية فى فروع الجهاز الادارى فى مصر ، فكان (دره لى ابراهيم والميرالاى نصوحى بك) من أعضائها ويعملان فى قلم الجوازات بالاسكندرية .

وعن جريدة (أبابيل) ذكر (نجاتى) أن الشركاء فى ادارتها (رفيع جواد) صاحب جريدة (علمدار) سابقا و (رفيق خالد) أحد محررى جريدة (صباح بيام) سابقا . والممثل (برهان الدين) و (حسين الخيار) و (يوسف شاشاتى) صاحب الجريدة — وان الذين يمولون الجريدة هم (الأمير عبد الله) و (السلطان محمد وحيد الدين) [٣٥] والخديو (عباس حلمى) [٣٦] .

وحتى الثالث عشر من ديسمبر ١٩٢٤ كان (أحمد نجاتى) يجهد نفسه فى التعرف على صلة (البكباشى أدهم) الذى كان قد سافر فى ذلك اليوم الى (بورسعيد) — (بحبيبه هانم) التى ورد ذكرها فى تقاريره الى (نشأت باشا) [٣٧] .

والى جانب الجواسيس المحترفين الذين اشتغلوا بتنفيذ خطط الخصمين فقد اشتغل جهاز البوليس السياسى بعمليات تعقب أعوان الخديو فى الداخل والتسلل داخل تجمعاتهم .

غير أن أهم ما يلفت النظر فى تقارير الأمن السياسى هذه هو

---

(٣٥) بعد خلع السلطان عبد الحميد الثانى فى ١٩٠٩ عين السلطان محمد رشاد (محمد الخامس) حتى وفاته عام ١٩١٨ — ثم تولى بعده السلطان محمد وحيد الدين (محمد السادس) حتى الغاء السلطنة فى أول نوفمبر ١٩٢٢ والابقاء على الخلافة . وفى ٧ نوفمبر ١٩٢٢ هرب محمد وحيد الدين على ظهر سفينة بريطانية تاركا البلاد كاخر السلاطين . واختار المجلس الوطنى (الكمالى) الخليفة عبد المجيد (١٨٦٨ — ١٩٤٤) خليفة للمسلمين حتى الغاء الخلافة والعصر العثمانى فى ٣ مارس عام ١٩٢٤ .
راجع الدكتور / أحمد عبد الرحيم مصطفى « فى أصول التاريخ العثمانى » دار الشروق — الطبعة الأولى ١٩٨٢ ص ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٣١٠ ، ٣١٤ .

(٣٦) دار الوثائق القومية — نفس المرجع التقرير رقم (٨) .

(٣٧) دار الوثائق القومية نفس المرجع تقرير رقم (٩) .

ذلك الربط التام بين نشاط الخديو السابق والحزب الوطنى ، والقناعة التامة عند مسئولى الجهاز بأن الحزب متعاون تماما مع الخـديو فى قضية استرداد عرشه رغم ما كان معروفا عن انقسام الحزب فى المنفى بين متعاون معه وناء عنه [٣٨] ، وهو ما يثير قضية جهل أجهزة الأمن السياسى فى ذلك الوقت بحقائق القضايا السياسية .

تضمن تقرير الأمن السياسى الذى نحن بصـدده والصادر فى عام ١٩٢٤ أعمال مراقبة الحزب الوطنى ــ والطلبة ــ والشيوعيين على مدى الربع الأول من العام ، وفيه خلط محرر التقرير بين اعتناق من ورد ذكرهم فيه للأفكار الشيوعية ــ وميولهم التركية ، ومسـاعيهم كأعضـاء فى الحـزب الوطنى (فى قلب الملكة وارجـاع الخـديو السابق) [٣٩] .

وشمل التقرير أعمال مراقبة الأتراك الموالين للخديو السـابق بالاسـكندرية وعلاقات كبار مهربى المخـدرات المصريين بالخـديو ومساعيه لشراء السفن لتهريب الأسلحة والذخائر والمطبوعات التى مصر بمعاونتهم [٤٠] .

---

(٣٨) محمد فريد « مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ ــ ١٩١٤ » مرجـع سبق ذكره .

(٣٩) دار الوثائق القومية ــ نفس المرجع . التقرير رقم (١٠) وهو يحمل عنوان S/K ويتضـمن أعمال مراقبة وتحريات أيام ٢ ــ ٣ يناير ١٩٢٤ ــ ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ فبراير ١٩٢٤ ــ ١٦ ، ١٨ مارس ١٩٢٤ ــ وقد جاء فى الجزء الخاص بمراقبة من يدعى (الأستاذ دجوى) المحامى بالسويس أنه كان يميل الى الشيوعية المعتدلة وعضـو لجنة الحزب الوطنى فى مديرية الشرقية . وأن أهالى الزقازيق يعتقدون أنه تركى الميول ويسعى كغيره من أعضاء الحزب الوطنى فى قلب الملكة وارجاع الخديو السابق ــ وتاريخ هذا التقرير هو ٢ يناير ١٩٢٤ .

(٤٠) دار الوثائق ــ المرجع السابق ــ ويذكر هذا التقرير المؤرخ فى ٢٧ فبراير ١٩٢٤ أن (حسين الجريدلى المشهور بتهريب الحشيش له علاقة بالخديوى السابق وعلم أن الخديوى سبق واشترى مركب خاصة على حسابه وسلمها لحسين المذكور ليهرب فيها ما يرسل من الخارج بواسطة الخديوى السابق من الأسلحة والذخائر والمطبوعات .

على مدى عام واحد فقط كشفت التقارير التى تضمنتها هــذه الدراسة عن عمليات تجسس وتجسس مضاد كان طرفاها الملك فؤاد ـــ وابن أخيه الخديو المخلوع (عباس حلمى توفيق) • وقد شملت هذه العمليات مراقبة الاجتماعات ، ومتابعة الشخصيات ، وكشف الأنشطة ، وتجنيد الأعوان ، واجهاض المؤامرات •

واستخدم الذين قاموا بتنفيذ هذه المهام مختلف الوسائل من تنكر ، وانتحال وظائف ومهن وحرف • وتنقلوا بين أكثر من قطر •

واستلزم القيام بهذه المهام استخدام جواسيس محترفين ، ورجال قصور ، ودبلوماسيين ونساء ، وأتراك ، ومصريين ـــ وأجهزة حكومية ، وموظفين كبار [٤١] •

واذا كانت هذه التقارير قد كشفت عن خبايا فترة من تاريخ مصر المعاصر ـــ فأنها قد كشفت أيضا عن خبايا النفس البشرية ، وما يمكن أن تقارفه هذه النفس من استخدام لأحط الوسائل وأحقرها فى صراعها من أجل السلطة •

---

(٤١) محمود فهمى القيسى باشا :

ولد نحو سنة ١٨٨٢ وتخرج فى مدرسة الحقوق سنة ١٩٠٤ فعين كاتبا مؤقتا بالنيابة لدى المحاكم الأهلية ثم رقى فى نفس السنة معاونا للنيابة . وتدرج فى وظائف النيابة حتى منح فى سنة ١٩١٥ رتبة البكوية من الدرجة الثانية ثم نقل فى سنة ١٩٢٣ الى وزارة الداخلية حيث عين مساعدا لمدير ادارة عموم الأمن العام ثم رقى فى نفس السنة مديرا لها ومنح رتبة البكوية من الدرجة الأولى كما منح فى سنة ١٩٢٥ رتبة الباشوية ، وعين مندوبا أول لمصر فى مؤتمر مراقبة التجارة بالسلاح الذى انعقد فى جنيف فى تلك السنة وفى سنة ١٩٢٩ عين وكيلا لوزارة الداخلية ثم اختير وزيرا للداخلية فى مارس سنة ١٩٣٣ ثم فى سبتمبر من تلك السنة واختير فى سنة ١٩٤٠ وزيرا للدفاع الوطنى . وقد انتخب عضـــوا بمجلس النواب فى دورات عديدة ، ثم توفى عندما كان نائبا عن دائرة (منشأة مطاى) فى سنة ١٩٤٦

راجع اللواء ابراهيم محمد الفحام « أعلام الادارة والشرطة فى مصر الحديثة ـــ ١٨٨٢ ـــ ١٩٥٢ » دراسة تحت الطبع ـــ مركز بحوث الشرق الأوسط ـــ جامعة عين شمس .

« ملحق ١ »

سعاد تلو حسن نشأت باشا حضر تلرينه ـ عرض وتقديم الى الجناب السامى

يعرض عبدكم ـ عرضت فى تقريرى الذى قدمته منذ ١٥ أو ٢٠ يوما تقريبا الى جنابكم السامى أن واحدة تسمى (حبيبه هانم) من المنسوبين الى الخديوى السابق حضرت الى القاهرة وبعد أن قضت فيها بضعة أيام سافرت الى بورت سعيد وقلت أنها الآن هناك •

(حبيبه هانم) جاءت الى القاهرة فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وبعد الاقامة عند الأميرة أمينة والدة الخديوى عباس حلمى باشا بضعة أيام ذهبت الى بورت سعيد وهى الآن موجودة هناك عند (مصطفى أفندى رياض) باشكاتب قسم العرب وهذا هو عنوان خطاباتها (بورت سعيد : مصطفى أفندى رياض باشكاتب قرة قول قسم العرب ومنه الى الست حبيبه هانم) وعلى حسب ظنى القاصر فان حبيبه هانم تقوم بخدمة فى دائرة ضيقة جدا وهى ذكية جدا وعمرها ما بين ٤٠ و ٤٥ ولكى تقوم بوظيفتها على وجه حسن فأنها تقوم بوظيفة خادمة فى محلات الأشخاص الذين ترى أنه يمكن أن يصيب الخديوى منهم ضرر وبعد أن تقوم بعملها تترك المحل الذى تخدم فيه منتحلة لذلك سببا واذا لم توفق لعمل فانها تستعين ببضعة نساء أخريات مثلها يقمن بعملها • (حبيبه هانم) فى الحرب العامة تعينت بأمر سيف الدين بك قائمقام أركان حرب ومدير الاستعلامات فى الشعبة الثانية بوزارة الحربية بوظيفة رقيب (سانسور) فى قلم الرقابة ومكثت فى الوظيفة المذكورة مدة طويلة فى سنى الحرب ونظرا للمعلومات الأخيرة التى حصلت عليها فأنها تريد الاقتران برجل من أقرانها • جعله الله عرسا مباركا •

يقال أنه يوجد مع حبيبه هانم أشخاص اسمهم : عبد الحميد أفندى رفعت ، سيد الشـيدى ، مظهر أفندى ، بيكباشى أدهم بك فهؤلاء الأشخاص الذين ذكرت أسـماءهم هم اخوان حبيبه هانم فى المسعى فى استانبول ويقال أنهم الآن موجودون هنا ولكن بين هؤلاء (البيكباشى أدهم بك) يوجد ايضاحات كافية عنه فى تقريرى الذى كتبته من بيروت وانى فى ذلك التقرير لم أكتب عن البيكباشى أدهم بك فقط بل أعطيت ايضاحات عن أشخاص كثيرين غيره ولكن لم يعتنى به فى ذلك الوقت • هناك مروءة عملتها معى الداخلية وهى (أن التقارير التى أرسلتها اليها كانت تترجم بواسطة شخص يعرف التركية فهـذا الشخص صار واسطة لتعريف الأتراك الموجودين هنا بى وقد علمت ذلك بمزيد التأثر •

سأرجو بعض أشياء ، اذا وجدت مناسبة من جانب دولتكم ، لكى أقوم فى كل وقت بأخبار سيدى ولكن يمكن انباؤه وبسرعة بخلاف ما كان سابقا •

انى سأسافر ثانيا الى بورت سعيد فى ٨ ديسمبر ١٩٢٤ يـوم الاثنين وأريد البقاء هناك مدة شهر تقريبا وفى ظرف الشهر سأراقب من يأتون من بيروت وغيرها من المحلات الأخرى ومن يجىء من رفقاء البيكباشى أدهم بك وأريد أن أفهم اذا كانوا على اتصال مع حبيبه هانم أم لا •

ثانيا : كنت أعطيت لحضرتكم معلومات قصيرة عن شخص اسمه صلاح الدين بك فهذا الشخص هو أخ محمود مظهر الذى كان طالبا بمدرسة التجارة البحرية باسـتانبول واعتدى على الخديوى ثم قتل بصورة فظيعة من طرف الخديوى فهذا الشخص هو الآن صديق صادق لى وأنى أريد أن أشركه فى مسعاى لنقوم معا بايفاء حسن الخـدمة الى حضرة صاحب الجلالة حبيبنا وولى نعمتنا الملك وقد قال لى صلاح

الدين بك وهو يبكى أنه مستعد لأن ينتقم من الخديوى لأخيه الذى ذهب ضحيته فى ريعان شبابه فهذا الشاب الذى حضر حديثا من استانبول يعرف الأشخاص المقربين من الخديوى جيدا ويمكننى أن أستفيد منه فى كل شىء وبما أن الزمن أبو العجائب فان كل انسان يمشى على حسب الزمان والسياسة فلا تلتفتوا قطعيا الى التقارير التى تقدم اليكم من طرف بعض الأشخاص لتضيع من وقتكم الثمين فى زمن مشاغلكم هذه فسواء كنت أنا أو صديقى صلاح الدين بك فيمكننا اخطاركم بالحوادث الحقيقية وصلاح الدين بك يعرف الألمانية والانكليزية والعربية والتركية • ثم أرجو التفضل على خادمكم بكشف صغير بأسماء الأشخاص المنسوبين الى عائلة اسماعيل باشا الكردى وأنى مع تقبيل أياديكم الكريمة أقدم احتراماتى أفندم •

الأشخاص المذكورين بالكشف طيه كلهم أتراك وقسم منهم موجود بالاسكندرية وقسم منهم هنا وقد تحصلت على هذا الكشف بواسطة حسين أفندى عبد الكريم أحد رجال البوليس السرى الذى كان يشتغل معى فى الداخلية أثناء اشتغالى فيها وحسين أفندى عبد الكريم هذا مع أنه صديقى القديم فى المسعى فان لديه وثيقة البوليس وبهذه الواسطة حصلت على هذا الكشف ونظرا لأن هؤلاء الأشخاص جاءوا حديثا من استانبول فسأعمل تحقيق عمن يتصلون بهم وأعرض ذلك على سيدى •

الكشـــف

الاسم واللقب	الجنسية	الصناعة	الاقامة
محمد الصنعاوى	تركى	ممثل	الآستانة
نورية الصنعاوى	تركية	ممثلة	الآستانة
أنور الصنعاوى	تركى	ممثل	الآستانة
توفيق اسماعيل	تركى	ممثل	الآستانة
خـــالد أمين	تركى	ممثل	الآستانة
أحمد رشـــاد	تركى	ممثل	الآستانة

الثلاثة الأولون حضروا من الاسكندرية يوم ١٤ / ١١ / ١٩٢٤ الساعة ٧ مساء

وسافروا الى الاسكندرية الساعة عشرة صباحا يوم ٢٦ /١١/ ١٩٢٤ •

أما الثلاثة الآخـــرون فهم موجودون باللوكاندة لغاية الآن وهى لوكاندة ماجستيك بحارة الزهار بشارع كامل قسم الأزبكية •

مصـــادر الدراســة

(أ) الوثائق :

غير المنشورة :

١ ــ دار الوثائق القومية بالقلعة •

(أ) محفظة مجلس الوزراء لسنة ١٩٢٤ بدون رقم ــ ملف يحوى أحد عشر تقريرا تتعلق بملاحقة نشاط الخديو السابق عباس حلمى •

(ب) محفظة داخلية ٤ (أمن) ملف ٦ ــ تقرير عن مأمورية السلوم بتاريخ ٢ مايو ١٩٢٤ ــ وتقرير القائمقام محمد كامل الرحمانى بتاريخ ١٩٢٤/٧/٢٦ •

(جـ) محفظة مجلس الوزراء لسنة ١٩٢٧ بدون رقم ــ وثيقة ٢٤٥ رقم ١٩٧/١ متنوعة •

٢ ــ المتحف القضائى ــ القضية ١١٠ جنايات السيدة زينب لسنة ١٩٢٥ (مقتل السردار) •

3 — St. Antony's College - Oxford - Middle East Center - Russel's Private Papers - JQ 3801 - DT 107 A list about the political crimes which took place between the years 1910 , 1946.

المنشورة :

١ ــ الدولة المصرية (مجلس النواب) ــ الهيئة النيابية الثالثة ــ مجموعة مضـــابط الانعقاد العادى الثانى ــ المجلد الأول (١٨ نوفمبر ١٩٢٦ ــ ٢٨ مارس ١٩٢٧) ــ مضبطة الجلسة التاسعة والعشرين لمجلس النواب ١٩٢٧/٢/١٤ •

(ب) المذكرات :

أوراق محمد فريد « مذكراتى بعد الهجرة » (١٩٠٤ — ١٩١٤) — مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر — سلسلة المذكرات التاريخية ٠

مذكرات جمال باشا ، تعريب على أحمد شكرى — مكتبة الهلال — القاهرة ١٩٢٣ ٠

(جـ) المؤلفات :

باللغة العربية : أحمد عبد الرحيم مصطفى (الدكتور) « أصول التاريخ العثمانى » دار الشروق ، الطبعة الأولى — ١٩٨٢ ٠

— عبد الرحمن الرافعى « فى أعقاب الثورة المصرية » — كتاب الشعب — جـ ١ — القاهرة ١٩٦٩ ٠

— محمد أنيس (الدكتور) « صفحات مجهولة من التاريخ المصرى أو سنوات الصراع العنيف بين فؤاد وعباس — كتاب روز اليوسف — العدد الثانى — ابريل عام ١٩٧٣ ٠

— محمد رفعت « تاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة » المطبعة الأميرية القاهرة ١٩٥٢ ٠

— يونان لبيب رزق (الدكتور) « تاريخ الوزارات المصرية » — مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الأهرام ١٩٧٥ ٠

باللغة الانجليزية :

Stanford J. shaw & Ezel Kural shaw « History of the ottoman Empire and Modern Turkey » Vol. II. Cambridge University press Cambridge — 1977.

(د) المقالات والبحوث : لطيفة محمد سالم « الصراع العسكرى بين الدولة العثمانية وبريطانيا فى مصر ١٩١٤ ـ ١٩١٨ » المجلة التاريخية المصرية ـ المجلدان ٢٨ و ٢٩ (١٩٨١ ـ ١٩٨٢) .

التوسع الفرنسى في افريقيا الاستوائية
في النصف الثانى من القرن التاسع عشر

د. الهام محمد ذهنى
مدرس التاريخ الحديث
بكلية الدراسات الانسانية ـ جامعة الأزهر

ان لفرنسا تاريخا قديما فى الاستعمار ، اذ كونت امبراطورية استعمارية كبيرة فى نصفى الكرة الأرضية ، بدأت فى القرن السابع عشر ساهم فى بنائها ريشيليو وكولبير وعرفت هذه الامبراطورية فى التاريخ الفرنسى بالامبراطورية الأولى ، وقد أفل نجمها فى عام ١٧٦٣ حين أجبرت فرنسا على التخلى لانجلترا عن كندا والهند فى معاهدة صلح باريس التى أعقبت حرب السنوات السبع ، ثم تلاشت هذه الامبراطورية تقريبا على اثر استيلاء الأسطول البريطانى عليها أثناء حروب نابليون ، بحيث لم تترك معاهدة باريس ـ المعقودة فى ٣٠ مايو ١٨١٤ ـ لفرنسا من حطامها [١] سوى مستعمرات ضئيلة الشأن [٢] .

(١) محمد محمد حسنين : الاتحاد الفرنسى ـ الجماعة الفرنسية فيما وراء البحار القاهرة ١٩٦٠ ص ٢ .

(٢) هى المحطات التجارية بالهند الفرنسية وهى موانى يانون ، بوند شيرى ، كاريكال على ساحل الكروماندل ، وما هى على ساحل الملبار ، وشندر ناجور على دلتا نهر الجانج فى البنغال ، وجزيرة ريو نيون فى المحيط الهندى ، جيان الفرنسية بأمريكا الجنوبية ، والمحطات التجارية بالسنغال فى افريقيا الغربية ، وجزر الانتيل (المارتينيك) والجواد لوب فى البحر الكاريبى ، وجزر سان بيير وميكلون فى أمريكا الشمالية .

أما الامبراطورية الثانيـــة التى كونتها فرنسا فقد بدأت باحتلال الجزائر عام ١٨٣٠ ، واذا كان غزو الجزائر لم يلق قبولا كبــيرا بين الناس ، الا أن التقـــدم الفرنسى ظل فى القــارة الافريقيـــة يتسم بالبطء ، فقـــد ظل الرأى العام الفرنسى منقسما على نفســـه بين المؤيدين للتوسع الاستعمارى والمعارضـــين له ، وبين أنصار الملـــكية والجمهورية ولكل فريق رأيه الخاص به فأنصار الجمهورية احترموا مبـــادىء السيادة والحرية والمساواة ، أما أنصـــار الملكية فـــكانوا يريدون عودة أمجاد لويس الرابع عشر ونابليون بونابرت وقـــد رأوا ضرورة امتداد الحضارة الفرنسية الى الأمم الأخرى (٣) .

ورغم أن ملكية يوليو منحت فرنسا السلام الطويل ، الا أن هذا السلام لم يقنع شـــعبا كالشعب الفرنسى بالمجد ، فقـــد رأى لويس فيليب أن مسئولية حكومته هى رفع المستوى الاقتصـــادى لبـــلاده واحلال السلام لتنمية تجـــارة فرنســـا (٤) . وبسقوط حكومة لويس فيليب واعلان الجمهورية الثانيـــة ثم قيام الامبراطورية الثانية ، بدأ عهد جديد فى فرنسا فقـــد اتبع نابليون الثالث سياســـة استعمارية ، وقد اعتمدت حكومته على العسكريين من جهة ، والحزب الـــكاثوليكى من جهة أخرى ، وكلا الحزبين من أنصار التوسع العسكرى ، وقـــد وجهت هذه العناصر سياسة فرنسا حتى الحرب السبعينية وانعكست هذه السياسة الاستعمارية على القارة الافريقية (٥) .

وقـــد تعرضت سياســـة فرنسا التوســـعية فى القارة للأخطار

---

(3) Fage. : An introduction to the history of west Africa . Cambridge 1959 p. 141.

(٤) عبـــد العزيز نوار : التـــاريخ الحـــديث ، أوروبا منذ الثورة الثورة حتى الحرب الفرنسية البروسية (١٧٨٩ ــ ١٨٧١) دار الفـــكر ١٩٨٥ ص ٢٧٥ .

(٥) صلاح العقاد : مغرب الاستعمار الفرنسى ص ٤٨ .

والانحسار بسبب نشوب الحرب السبعينية ، واضطراب أحوال فرنسا الداخلية ، الا أن الجمهورية الثالثة ١٨٧١ — ١٩١٤ انتهجت بدورها سياسة توسعية فى القارة وكان جول فرى قائدا لهذه السياسة [٦] .

ورغم التشجيع الذى حظى به التيار الاستعمارى الذى نادى بالتوسع فيما وراء البحار الا أنه ظهر تيار معارض لهذه الفكرة ، رأى أنصاره أن استرداد الالزاس واللورين أهم فى المرتبة الأولى من المحافظة على المستعمرات الفرنسية وأنه من الأجدى لفرنسا أن توقف نمو امبراطوريتها وتركز قوتها ضد المانيا [٧] .

وفى النهاية حسم الأمر لصالح أنصار التوسع والاستعمار وساعدت الظروف الدولية فرنسا على تحقيق أطماعها وخاصة بعد انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤ — ١٨٨٥ وهو مؤتمر استعمارى عقد بين الدول الأوروبية المعنية بالاستعمار ، لاقرار الوضع القائم فى القارة الافريقية ولتنظيم سلب ماتبقى من أراضى القارة واذا كان المؤتمر قد عقد أساسا لتنظيم التجارة فى حوض الكونغو ، ولاقرار حرية الملاحة فى النيجر ، الا أنه وضع مبادىء عامة لمنع اصطدام الدول الأوروبية الاستعمارية بعضها ببعض فى القارة [٨] .

اندفعت فرنسا بعد المؤتمر شأنها شأن الدول الأوروبية الاستعمارية نحو القارة لتدعيم مراكزها التى حصلت عليها من قبل ومكاسبها ، واستغلت بدايتها المبكرة فى ميدان الاستعمار بفضل

---

(6) Hanotaux, G : Mon temps la troisiéme république Gambetta et Jules Ferry. Paris tome II p. 426.

(٧) عبد العزيز نوار : التاريخ المعاصر ، أوروبا من الحروب البروسية الى الحرب العالمية الثانية (١٨٧١ — ١٩٤٥) — القاهرة ١٩٧٧ ص ٤٩ .

(8) Betts, R. : The Scramble For Africa U.S.A. 1966 p. 23.

قواتها البحرية ، وتمكنت من الاستيلاء على أكبر مساحة من القارة الافريقية فكونت فى غرب افريقيا ما عرف باتحاد افريقيا الغربية الفرنسية A.O.F. عام ١٨٩٥ وقد ضمت اليه كلا من السنغال وغينيا الفرنسية والسودان الفرنسى وداهومى وساحل العاج وأراضى النيجر ثم ضمت موريتانيا (٩) .

كذلك كونت فرنسا من الأقاليم التى سيطرت عليها فى افريقيا الاستوائية ماعرف باتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسية Afrique Equatoriale Française وكانت أقاليم الاتحادين متجاورة ، ولذلك كان من السهل عليها تجميعها فى وحدة واحدة لتسهيل ادارتها والتحكم فيها ومن ثم عرفت باسم الأقاليم المجمعة أو المتجاورة Territoires grouppés ، أما فى شرق افريقيا فقد كونت فرنسا مستعمرات فى كل من مدغشقر ، جزر القمر ، الصومال الفرنسى وكانت هذه المستعمرات متباعدة ، فمدغشقر وجزر القمر فى المحيط الهندى بينما الصومال الفرنسى على ساحل البحر الأحمر المواجه لعدن ، ولذلك وحدت فرنسا هذه المستعمرات وأطلقت عليها اسم الأقاليم الموحدة Territoires unitaires تمييزا لها عن الأقاليم المجمعة التى تجاورت فيها المستعمرات الفرنسية (١٠) .

تكونت افريقيا الاستوائية الفرنسية من أربع أقاليم الجابون وعاصمته ليبرفيل ، الكونغو الأوسط وعاصمته بوانت نوار ، اوبانجى تشارى وعاصمته بانجى ، تشاد وعاصمته فورلامى وكانت هذه الأقاليم تعرف من قبل باسم الكونغو الفرنسى ثم صدر مرسوم ١٥ يناير ١٩١٠ أعطاها هذا الاسم (١١) .

---

(9) Ajayi, J. History of west Africa. Great Britain 1974 vol. II p 437 — 438.

(١٠) محمد محمد حسنين : المرجع السابق ص ١١٤ .

(١١) المرجع السابق ص ١١٥ .

لم تكن مهمة فرنسا ميسرة للسيطرة على أقاليم افريقيا الاستوائية وتحقيق هدفها الاستعمارى ، فقد واجهت مصاعب داخلية تمثلت فى المقاومة العنيفة التى ظهرت فى بعض الأقاليم وخاصة فى تشاد ، كذلك كان عليها التصدى لأطماع الدول الاستعمارية الأخرى الطامعة بالمنطقة ، فدارت بينها وبين بلجيكا منافسة شديدة فى الكونغو وبينها وبين بريطانيا فى الجابون ، وبينها وبين المانيا فى منطقة اوبانجى تشارى ، ولذلك فقد كانت مهمة فرنسا لتكوين افريقيا الاستوائية الفرنسية صعبة تطلبت منها الكثير من الجهد ، ولكنها نجحت فى النهاية فى تحقيق مشروعها الاستعمارى الكبير فى المنطقة .

حينما نتحدث عن افريقيا الاستوائية الفرنسية ، فينبغى لنا أن نبدأ بالحديث عن الجابون باعتبارها من أولى المناطق التى وصل اليها الفرنسيون وقد تشابهت الجابون بالسنغال حيث لعبت الأخيرة دورا هاما فى التغلغل الفرنسى فى غرب القارة وكانت بمثابة القاعدة الأساسية للفرنسيين للانطلاق نحو المناطق الداخلية حتى وصلوا الى تشاد ، ولعبت الجابون دورا هاما أيضا فى التغلغل الفرنسى فى افريقيا الاستوائية ، واتخذت منها فرنسا قاعدة ومركزا رئيسيا لها فى المنطقة ، بالاضافة الى تمتع الجابون بخاصية هامة ألا وهى غناها بمواردها الطبيعية اذ تكثر فيها الغابات والمناجم مما أتاح للفرنسيين فرصة كبيرة لاستغلالها (١٢) .

وقد وقع عبء اكتشاف افريقيا الاستوائية بصفة عامة ، والجابون بصفة خاصة على عاتق رجال البحرية الفرنسية والمستكشفين الفرنسيين ، ومن المعروف أن رجال البحرية الفرنسية لعبوا دورا هاما

---

(12) Thompson, Virginia French west Africa lond. 1958 p. 342.

ليس فى افريقيـــا الاستوائية فحسب ، وانما فى غرب وشرق القارة الافريقية ومهدوا لتعميق النفوذ الفرنسى فى تلك الجهات (١٣) •

ولا جدال أن البرتغـــال كانت من أولى الدول الأوروبيـــة التى وصلت الى ساحل غينيـــا والى المنـــاطق الواقعة جنوبه (١٤) فأرسلت البعثات التبشيرية كما حاولت الاتصال بالأفارقة فى المناطق الداخلية لخدمة أغراضها التجارية ، ونجحت فى احتكار وتصدير بعض المنتجات كالمعادن والزجاج واستبدلتها بالذهب والعاج والرقيق (١٥) •

ولـــكن لم تستفد البرتغال من كشوفها فى المنطقة، قدر استفادة الفرنسيين الذين أسسوا الشركات التجـــارية فاحتكروا التجـــارة من سيراليون حتى رأس لوبيه ، كما احتكرت شركة الهنـــد الشرقيـــــة الفرنسية وشركة غينيـــا التجـــارة حتى رأس الرجاء الصـــالح وعلى طول ساحل أنجولا • وفى القرن الثامن عشر كان البحارة الفرنسيون على علم تام بهـــذه السواحل وبلغ عدد الوكالات الفرنسية العاملة فى المنطقة فى عام١٧٨٥ أكثر من سبعين وكالة أسسها التجار الفرنسيون القادمون من نانت ومارسيليا وبوردو (١٦) •

اعتمدت التجـــارة الفرنسية على المبـــــادلة فحمل الفرنســـيون الأقمشة والمنسوجات والطبــــــاق والأغـــذية من أجل الحصـــول على

---

(13) Hanotaux, G : Histoire des Colonies Francaises et de L'expansion de La France dans le monde Tome IV parir 1929 p. 329.

(١٤) وصلت السفن البرتغالية الى المحيط الأطلنطى ، وعبرت خط الاستواء ووصل كل من Fernanvaz, Lopez Gonsalvez الى المنطقة التى عرفت باسمهما أى الى رأس لوبيه والى خليج فرنانفاز . كـــذلك وصل ديجو كام الى مصب الكونغو وكان يسمى زائير نسبة الى مملـــكة افريقيـــة قوية .

(15) Hanotaux : op cit p 360.

(16) Ibid p. 364.

المنتجات الافريقيـــة مثل العـــاج والذهب والأخشـــاب وجوز الهنـــد بالاضـــافة الى الرقيق واستمر التفوق التجارى الفرنسى حاسما فى المنطقـــة الممتدة من الجابون حتى رأس الرجاء الصـــالح حتى أواخر القرن الثامن عشر (١٧) •

وبالاضافة الى اهتمام الفرنسيين بالتجارة اهتموا بنشر ثقافتهم وديانتهم • فقدمت البعثـــات التبشيرية الى الجابون وســـاهم رجال الدين فى اكتشاف المنطقـــة والقاء الضـــوء عليها مثل القس برويار Proyart الذى عمل فى جنـــوب الجـــابون فى لوانجو Loango ونشر عام ١٧٧٦ كتابا هاما عن المنطقـــة (١٨) • وتركز عمل البعثـــات التبشيرية فى الجابون فى المنـــاطق الواقعـــة جنوبها فتوغلت هـــذه البعثات فى لوانجو وبوانت نوار • بينمـــا تركزت فى الجـــابون فى المنطقة التى تأسست فيها مدينة ليبرفيل الحالية (١٩) •

جذبت المنطقة اهتمام رجال البحرية الفرنسية فى أوائل القـــرن التـــاسع عشر ورأوا أن الجـــابون تصلح لـــكى تكون قاعدة للبحرية الفرنسية فى المنطقة ، ففى عام ١٨٠٥ كتب الأدميرال لينوا Linois الى وزير البحرية الفرنسية يدعوه للاهتمام بالجابون وتقوية الصلات معها ومع المنـــاطق الواقعـــة جنوبهـــا نظرا لأهميـــة موقعهـــا على الساحل (٢٠) •

---

(17) Ibid p. 365.

(18) Histoire du Loango, Kakongo et autres royaumes d'Afique redigée d'aprés les memoires des pref'ts apostoliques de la mission Française.

(19) The Cambridge history of Africa from 1790 — 1870 Great Britaim 1976. vol. 5 p. 3111 .

(20) Hanotaux, G : op. cit vol IV p. 370.

واذا كانت فرنسا قد انشغلت بالحروب النابوليونية عن الجابون ، الا أن منطقة ساحل غينيا جذبت انتباه رجال البحرية الفرنسية منذ الثلاثينيات من القرن التاسع عشر فعملوا على انشاء الحصون فى ساحل العاج ، وفى ساحل العبيد ، ولعب التجار الفرنسيون دورا بارزا فى ساحل غينيا حتى تم انشاء حصنين فى ساحل العاج فى كل من جران بسام واسينى كذلك تم انشاء حصن فرنسى ثالث فى الجابون التى أصبحت تمثل قاعدة بحرية هامة للنشاط الفرنسى فى المنطقة (٢١) .

وفى الواقع أن الاهتمام بالجابون لم يقتصر على الضباط الفرنسيين فحسب وانما اهتم بالمنطقة رجال البحرية البريطانية فقد أرسلت بعثة مكونة من الكابتن توكى Tuckg والملازم هوكى Hawkey الى المنطقة منذ عام ١٨١٦ وتجول الكابتن توكى فى سواحل الجابون ووصل الى رأس لوبيه وتعرف على أجزاء من نهر الجابون ، ولكن البحرية البريطانية خلال هذه الفترة فضلت العمل فى ساحل غينيا مما أتاح الفرصة للفرنسيين لتدعيم سيطرتهم فى الجابون (٢٢) .

يرجع الفضل الى بوبيه ويلوميه القائد البحرى الفرنسى فى تدعيم سيطرة بلاده على ساحل غينيا ، فعقد المعاهدات التجارية فى ساحل العاج ودعم صلاته بالزعماء المحليين وأطلق على المراكز التجارية فى ساحل العاج اسم وكالات الجنوب Comptoirs du Sud واستتبع تدعيم السيطرة الفرنسية فى ساحل العاج تدعيمها فى

---

(21) Brunshwig, H. : L'Avenement de L'Afrique Noire au xix siécle paris 1963 p. 59.

(22) M. A. C. : Histoire Compléte des voyages et decouvertes en Afrirque paris 1921 p. 6.

الجـــابون أيضا فزار بوييه المنطقـــة فى عام ١٨٣٧ ثم زارهـــا للمرة الثانية عام ١٨٣٩ على ظهر السفينة الفرنسية Malouine ونجح بوييه فى التفـــاوض مع زعماء القبائل الرئيسية وزعماء القرى فى الجابون، وفى ٩ فبراير ١٨٣٩ وقع مع زعيم الضـــفة الشمالية للجـــابون الملك دنيس أول معاهـــدة فرنسية وافق فيهـــا الملك على اقامة المنشـــآت الفرنسية ، وكانت هـــذه المعاهدة بداية لتكوين افريقيـــا الاستوائيـــة الفرنسية وقبل الملك دنيس اعلان الحمـــاية الفرنسية على أراضيه . وقد قـــدر لهذا الملك أن يلعب دورا هاما فى المنطقة فقد عمل كوسيط تجـــارى بين الفرنسيين وبين سكان المنـــاطق الداخلية فى الجابون واعتنق المسيحية وأرسل أولاده الى مدارس البعثات التبشيرية وتوفى فى عام ١٨٧٦ بعـــد أن ســـاهم بدور كبير فى تركيز النشاط الفرنسى فى الجابون (٢٣) .

وفى عـــام ١٨٤١ وقع بوييـــــه مع الملك لويس فى منطقـــــة بوانت بنجـــارا Point Pungara معاهدة حماية ، وقد حذى بقيـــة الزعماء المحليين حذو الملك لويس فوقعوا معاهدات الحماية فى أبريل عام ١٨٤٣ مع القـــائد الفـــرنسى بودان Baudin ، كذلك قبـــل ملك منطقـــة Quabens الحماية الفرنسية على أراضيه ، وفى يوليو ١٨٤٤ وقع القائد الفرنسى داريكو Darricau معاهـــدات حمـــاية مع زعمـــاء الجزر وشبه الجزر الواقعة عند روافـــد الجابون ومنهم الملك جلاس وبنـــاء على أوامر حاكم السنغال تم بنـــاء حصن فرنسى فى الجـــابون هـــو حصـــن دومال Fort D'Aumal وذلك فى ١١ يونيـــو ١٨٤٣ (٢٤) .

على أن توقيع هذه المعاهـــدات أثار غيرة وحسد ضباط البحرية

---

(23) Hanotaux, G : op. cit tome IV p 373 .

(24) Ibid p. 374.

البريطانية العـــاملين فى ساحل غينيا ، فبدأوا فى اثارة المتـــاعب للفرنسيين وحرضوا الملك جلاس على رفض المعاهدة التى وقعهـــا من قبل مع الفرنسيين ولكن فرنسا تمسكت بالمعاهدات التى عقدتهـــا مع الزعماء المحليين فى الجابون فقـــد تزايدت أهمية المنطقة خلال هـــذه الفترة واعتبرتهـــا فرنسا من أهم قواعدها البحرية على أن تمســـك فرنسا بالمعاهدات التى وقعتهـــا لم ينه التنـــافس بينها وبين بريطانيا فى المنطقـــة فسرعان ما أثيرت مشكلة أخرى بين الطرفين بشأن تجارة الرقيق ، وصـــدرت التعليمات الى الضباط الفرنسيين بمحاربة هذه التجارة ابتداء من السنغال حتى الجابون ، ففى نوفمبر ١٨٤٥ صدرت التعليمات من جورية فى السنغال الى قادة الجابون بضرورة اصـــدار اعلان رسمى الى سكان الجابون تضمن عدة مواد نصت المادة الأولى منه بأنه على السكان الخاضـــعين للنفوذ والقوانين الفرنســـية عليهم الامتناع عن تجـــارة الرقيق وعن التجارة مع التجـــار البرازيليين ، ونصت المـــادة الثانية من الاعلان على أن يقوم قائد حصـــن دومال بتعريف الزعمـــاء المحليين بأخطار هذه التجارة وضرورة منعهـــا فى أراضيـــهم وابلاغهم أنهـــا محـــرمة قانونا ، وأن الفرنسيين ســـوف يحاولون تعويض هؤلاء الزعمـــاء عن الأسرى من الرقيـــق عن طريق الاستفادة منهم بدلا من بيعهم ، ونصت المادة الثالثة على قائد حصن دومال اعطاء الحرية التـــامة للتجارة الشرعية وحـــرية اقامة المنشآت للأوروبيين ولكن بشرط أن تـــكون هـــذه المنشآت خاضـــعة للحماية الفرنسية وتحت اشراف فرنسا ، ونصت المـــادة الرابعة على معرفـــة الجهة التى يقصـــدها تجار الرقيق ومعرفة المنشآت التى تتاجر فى هذه التجـــارة والعمـــل على تدميرها ، كذلك أكد الاعلان على ضرورة مصـــادرة السفن التى تصل الى الجابون ولا تحمل أوراق رســـمية ونصت المادة الخامسة على ضرورة مراقبة التجار البرازيليين ومنعهم

من التجارة اذ شكل هؤلاء التجـار خطرا كبيرا لنشـاطهم فى هـذا المجـال (٢٥) .

وقد تعقب الضباط البريطانيين بدورهم تجار البرازيل لمنعهم من تجارة الرقيق وترتب على ذلك توتر العـلاقة بينهم وبين الفرنسيين لأن عمليـة مطاردة تجار الرقيق تمت فى بعض الأحيان بدون الحصول على اذن مسبق من السلطات الفرنسية وتوغل الضباط البريطانيون فى أراضى اعتبرتهـا فرنسا تابعة لها ولذلك أرسل الكونت انوابر الى اللورد ابردين فى عام ١٨٤٦ يشكو من تصرفات هؤلاء الضباط وذكر منهم القـائد البريطانى بوسنكيه Bosanquet قائد السفينة Alert الذى قام بعدة عمليات عسكرية فى الجابون أثنـاء مطاردته للتجـار البرازيليين دون استئذان السلطات الفرنسـية ، كذلك رفض أوامـر التحية للعلم الفرنسى (٢٦) .

وقد خشيت الحكومة البريطانية من توتر العـلاقة بينها وبين فرنسا ولذلك قامت بمساءلة الكابتن بوسنكيه لتوضـيح موقفـه أمام الحكومة الفرنسية (٢٧) .

وقد دافع بوسنكيه عن موقفـه بأنه تلقى معلومات عن وجـود تجار للرقيق فى المنطقـة وأكد أن العمليـات العسكرية التى قام بها ضدهم كانت على بعـد خمسة أميال من منشآت فرنسا فى الجابون

---

(25) F. O. 403 / 4 N° 127. jnstructions pour le batiment stationnaire dans le Gabon. Gorée Ee 4 Nov. 1845.

(26) F. O. 403 / 4 N° 130 The Earl Aberdeen to Lord william Hervey. Foreign Office June 1946.

(27) Ibid N. 132 The Secretary to the Admiralty to MR. Addington Admiralty July 7. 1846.

وعلل تصرفه بأنه علم بوجود شحنة كبيرة من الأرقاء على وشك الابحار من الجابون فحاول منعها (٢٨) .

وهكذا نلمس حرص فرنسا على التمسك بالجابون ومنع أى دولة أوروبيــة أخرى من أن يكون لها نفوذ فيها ، واكتسبت المنطقة أهمية جديدة بالاضــافة الى كونهــا قاعدة بحرية وذلك عند انشاء مدينــة ليبرفيل ١٨٤٩ على غرار فريتاون وقد بدأ الفرنسيون فى انزال العبيد المحررين على الساحل منذ عام ١٨٤٨ وأصبحت ليبرفيل محطة هــامة لتموين السفن الفرنسية بما تحتاج اليه وخاصة الفحم (٢٩) .

وخلال عهد حكومة الامبراطورية الثانية اتبع الفرنسيون سياسة أكثر نشاطا فى المنطقــة فتزايدت البعثــات العلميــة والاستكشافية والتبشيرية وفى الفترة مابين ١٨٥٧ ـ ١٨٥٩ استطاع بول دى شيلو Paul De chaillu اكتشاف نهر أوجويه والتعرف على روافده ودون ملاحظــاته فى كتــاب قيم ، وفى عام ١٨٦٢ أعلن الأدمــيرال ديداو Didclot السيطرة الفرنسية من رأس لوبيه حتى دلتا بوانت بنجوار الواقعــة على الضفة الشمالية للجابون وتم رفع الأعلام الفرنســية عليهــا (٣٠) .

رغم اهتمام حكومة الامبراطورية الثانية بالجابون الا أنه ظهرت خلال الستينات من القرن التاسع عشر فكرة تدعو الى مبادلة الجابون مع بريطانيــا فى مقابل حصــول فرنسا على غمبيا وكان من أنصــار هذا الرأى فيدهرب حاكم السنغال وكتب مذكرة بذلك الى الامبراطور

---

(28) Ibid N. 132 inclosure Commander Bosanquet to the Admiralty Clay - Hill Lodge July 4, 1846.

(29) Hanotoux, G : op. cit p. 375.

(30) Ibid p. 378.

نابليون الثالث وقد استند فيدهرب فى رأيه على أن من مصلحة فرنسا التوسع جنوبا من السنغال وضم أراضى غمبيا ولكن الحكومة البريطانية رفضت التخلى عن غمبيا وأثيرت الفكرة مرة أخرى فى الثمانينات من القرن التاسع عشر عندما بدأت بريطانيا تسعى لتكوين حزام من الأراضى يمتد من ساحل غينيا ويسير جنوبا حتى الجابون ففكر بعض الساسة البريطانيين فى امكانية ضم الجابون ولكن كان من الصعب على الفرنسيين فى ذلك الوقت التخلى عنها لتزايد أهميتها كذلك لتزايد أهمية ساحل غينيا (٣١) .

على أن هذا النشاط الفرنسى المكثف فى الجابون خلال عهد الامبراطورية الثانية سرعان ما تعرض للتقلص والانهيار بسبب نشوب الحرب السبعينية مما أدى الى هجر فرنسا لمنشآتها فى الجابون ، وفى ساحل غينيا وساحل العاج والعبيد ولكن سرعان مابدأت فرنسا تستعيد نشاطها فى المنطقة مرة أخرى ولكن بصورة أكثر عمقا عن السنوات السابقة (٣٢) .

وجدير بالذكر أن بريطانيا خلال فترة السبيعينات من القرن التاسع عشر فكرت فى مد نفوذها جنوب ساحل غينيا أى من لاجوس حتى المنشآت الفرنسية فى الجابون واستندت على سبب هام وهو انسحاب فرنسا من تلك المنطقة وهجر منشآتها ورغم وجود مشجعين لهذه الفكرة الا أنها لقيت معارضة من قبل بعض الساسة البريطانيين لأنهم رأوا أن تدعيم السيطرة البريطانية على هذه الرقعة الكبيرة الممتدة من لاجوس حتى الجابون سيؤدى الى ارهاق ادارة ساحل الذهب التى تركزت فيها ادارة ساحل غينيا (٣٣) .

---

(31) Anstey, Roger : Britain and the Congo in the Nineteenth Century. OxFord 1962. p. 102.

(32) Avice, E. La CÔte Divoire. Paris 1951 p. 38.

(33) Thompson, V op. cit., p. 163.

عادت فرنسا الى الجابون أكثر نشاطا ووطدت نفوذها من جديد فى ساحل العبيد وساحل العاج واستعادت منشآتها فى تلك المناطق منذ عام ١٨٧٩ [٣٤] .

كان نشاط دى برازا فى الجابون من أهم العوامل التى ساهمت فى تدعيم السيطرة الفرنسية عليها ورغم أن اسم دى برازا يقترن بالكونغو الفرنسى الا أنه بدأ عمله فى المنطقة فى الجابون أولا واستطاع دى برازا الوصول الى نهر أوجويه وخلال عشرين شهرا كشف عن ٧٠ كم من النهر وتعرف على المنابع العليا فيه ، وذلك فى عام ١٨٧٦ ، كما نجح دى برازا فى تأسيس مدينة فرانس فيل ، وعاد الى فرنسا عام ١٨٧٨ ثم مالبث أن عاد الى المنطقة موفدا من الشعبة الفرنسية للجمعية الأفريقية عام ١٨٧٩ ولكن فى هذه المرة ركز جهوده صوب الكونغو [٣٥] .

ويرجع السبب فى تركيز نشاط دى برازا فى الكونغو أنه أكد أن نهر الجابون لايساعد كثيرا على التوغل فى داخل القارة للتوسع وأن نهر الكونغو يتيح لفرنسا فرصة أكبر للتوسع فى المناطق الداخلية ولكنه أكد أهمية الجابون كقاعدة بحرية هامة [٣٦] .

والواقع أن قادة الجمهورية الثالثة انتهجوا سياسة توسعية فى افريقيا وحرصوا على ربط السنغال بالنيجر واكتشاف الأراضى الداخلية لداهومى وساحل العاج مع تحقيق الاتصال بينهما وبين النيجر والعمل على ربط غرب افريقيا بكل من شمال افريقيا وافريقيا

---

(34) Ibid, p. 163.

(٣٥) زاهر رياض : الاستعمار الأوروبى لأفريقيا — القاهرة ١٩٦٠ ص ٧٣ .

(36) Thompson, V : op.cit p. 8

الاستوائية ومد النشاط الفرنسى من البحر المتوسط حتى الكونغو وقد تحققت هذه السياسة بالفعل (٣٧) .

كثف الفرنسيون نشاطهم فى الجابون باعتبارها مفتاح افريقيا الاستوائية ونظرا لتزايد أهميتها لم تعد تابعة للسنغال وانما انفصلت عنها عام ١٨٨١ وأصبحت هى بدورها قاعدة هامة ومركزا رئيسيا للانطلاق نحو المناطق الداخلية وحلت ليبرفيل محل داكار فى ادارة المنطقة (٣٨) .

وفى عام ١٨٨٣ بلغ عدد المراكز الفرنسية الممتدة على طول وادى أوجويه حوالى عشرين مركز ووقعت المعاهدات مع القبائل الوطنية فى المنطقة (٣٩) .

ونجح دى برازا فى تحقيق هدفه فى الجابون اذ تكونت جمعية أعالى أجويه كانت مهمتها الأساسية هى التوسع فى أعالى هذا النهر ولفتح طريق من مصب الكونغو الى أعالى النيل والافادة من المنطقة من الناحية التجارية (٤٠) .

وهكذا حقق الفرنسيون هدفهم فى الجابون ودعموا مراكزهم فيها لكى يتمكنوا من التوغل فى المناطق الداخلية .

أما الاقليم الثانى من أقاليم افريقيا الاستوائية التى اهتمت فرنسا بالسيطرة عليه فهو الكونغو الأوسط أو ماعرف بالكونغو

---

(37) Hanotaux. G : op. cit p. 273 .

(38) Thompson, V . op. cit p. 5.

(39) Ibid p. 8 .

(٤٠) شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ـــ القاهرة ١٩٧١ ص ٢٩٥ .

الفرنسى • وفى الواقع أن فرنسا لم تكن الدولة الوحيدة المهتمة بهذه المنطقة فالملك ليوبولد ملك بلجيكا كانت له أطماع استعمارية فى القارة الافريقية وخاصة فى الكونغو ، فقد أدرك أن أوروبا ليست الميدان الصحيح لنشاطه وأن افريقيا هى الميدان الذى يمكنه من تحقيق أحلامه التوسعية (٤١) •

وضع ليوبولد نصب عينيه هدفا هاما وهو تكوين مستعمرة بلجيكية فى الكونغو ، وأعلن ذلك أمام البرلمان البلجيكى وبرر سياسته أن بلاده بلاد صناعية وتجارية ، وأنه لم يعد أمامه مجال للتوسع فى أوروبا ، وأن الجهود التى يمكن الافادة منها وتؤتى ثمارها هى فى القارة الافريقية ، ولذلك بث دعاية كبيرة عن القارة ساعده فى ذلك السياسى البلجيكى الشهير اميل بانن Emile Banning (٤٢) •

ولكن اهتمام ليوبولد بافريقيا وبمنطقة الكونغو لم يأت من فراغ فقد سبقه جهود المستكشفين الأوروبيين وخاصة البريطانيين ففى عام ١٨٧٢ أرسلت الجمعية الجغرافية الكابتن كمرون الذى وصل الى زنجبار ومنها اندفع نحو المناطق الداخلية من القارة حتى وصل الى نهر اللوالابا وهو أحد فروع نهر الكونغو ونجح كمرون فى عقد عدة معاهدات مع الحكام الوطنيين فى منطقة الكونغو الأدنى ، وفى عام ١٨٧٥ عاد الى بلاده وأشار الى أهمية المنطقة وثروتها الطبيعية (٤٣) •

شجعت كبار الشخصيات فى بريطانيا ارسال البعثات التبشيرية

---

(41) Robinson, R : Africa and The Victorians N. Y 1961 p. 326.

(42) Ibid p. 326.

(43) Ibid p. 169 .

والكشفية الى المنطقة ، كذلك شارك فى هـذا التشجيع كبـار رجال الصناعة مثل روبرت ارثنجتون الذى خصص أموالا للبعثات الكشفية والتبشيرية فى أعالى حوض الكونغو ، وأكد أن وصـول كمرون الى اللوالابا سيتيح الفرصة للبعثات المسيحية للعمل فى المنطقة (٤٤) .

ورغم اهتمام بريطانيـا بمنطقة الـكونغو الا أن الفضل الأكبر فى القاء الضوء عليها يرجع الى ستانلى وهو من أصل ايرلنـدى عمل لحساب صحيفة النيويورك هيرالد الأمريكية ، وبدأ رحلته ١٨٧٤ وكان الهدف منها الطواف ببحيرة فيكتوريا وبحيرة تناجانيقا ، والوصول الى نهر اللوالابا ، وأثبت سـتانلى فى رحلتـه أن نهر اللوالابا متصـل بالكونغو ، وفى عام ١٨٧٧ وصل الى الشلالات التى عرفت باسـمه ثم وصل الى المدينة التى عرفت فيما بعد باسم ستانلى بول ، وأخيرا تابع رحلته حتى وصل قرب مصب الكونغو عند مدينة بوما . وترجع أهمية رحلة ستانلى أنهـا أوضحت شبكة المجارى المـائية الافريقية وكشفت الغموض عن الـكثير منها (٤٥) .

جذبت جهود سـتانلى فى الـكونغو فى الفترة مابين ١٨٧٤ — ١٨٧٧ أنظـار الملك ليوبولد فدعا الى عقـد مؤتمر فى بروكسل ١٨٧٦ وكان الهـدف من المؤتمر الـكشف عن الأقاليم الواقعـة فى داخل افريقيـا ، وخاصة الأقاليم الواقعة بين المحيطين الأطلنطى والهندى ، والـكشف عن الأقاليم الشمالية والجنوبية بين حدود مصر والسودان فى الشمال وحوض الزمبيزى فى الجنوب ، كذلك ارسال المـكتشفين لاقامة المحطات العلمية والطبية لتكون قاعدة للعمليات التوسعية (٤٦) .

---

(44) Anstey, R : op. cit p. 34.

(٤٥) شوقى الجمل ، المرجع السابق ص ١٠٤ .

(46) Eucher, Le p : Le Congo. Paris 1894 p. 214 .

وكذلك العمل على القضاء على تجارة الرقيق المنتشرة فى المنـــاطق الداخلية ووضع حد لها واقامة مراكز لمراقبتها (٤٧) •

أسفر المؤتمر عن صدور عدة قرارات منها تأليف الهيئـــة الدولية لاكتشاف افريقيا وادخال الحضارة فيها وأكد ليوبولد بعـــد المؤتمر ، أن بروكسل ستكون مركز الحركة الحضارية فى أوروبا ، كـــذلك نتج عن المؤتمر تكوين شعبة محلية تابعة للهيئة الدوليـــة فتكونت الشـــعبة الفرنسية على رأسها دى برازا كذلك تكونت الشعبة البلجيكية والتى انبثق منهـــا لجنـــة عرفت باســـم لجنـــة دراســـة الـــكونغو الأعلى (٤٨) Comité d'étude du Haut congo

جذب ليوبولد ستانلى للعمل معه فقبل وخاصـــة بعد أن فشلت جهود الأخير لجذب انتبـــاه حزب الأحرار الحاكم فى بريطانيا • وقد أفاد ليوبولد من ستانلى فائدة كبيرة ، فقد عاد الى الـــكونغو ١٨٧٩ وكان الهدف الأساسى لبعثتـــه ، هو فتح طريق المواصلات والملاحـــة بين الـــكونغو ومدينـــة ستانلى بول فى الداخل والمناطق الساحلية، ونجح ستانلى فى مهمته وأسس عام ١٨٨٠ عدة محطات فى الـــكونغو باسم لجنة دراسة الـــكونغو الأعلى كما عقد المعاهدات مع الزعمـــاء المحليين ، وفى عام ١٨٨١ أسس مدينة ليوبولد فيل تخليـــدا لاســـم الملك ليوبولد (٤٩) •

بعد أن حقق ستانلى نجاحا كبيرا فى منطقة الـــكونغو أصـــبح هـــدف ليوبولد هو الحصول على اعتراف بـــدولة الـــكونغو الحـــرة ولذلك حاول اقنـــاع رجال الأعمال البريطانيين بممارســـة نشـــاطهم

---

(47) Castelin, A : The Congo state Lond 1907 p. 26.

(48) Ibid p. 28.

(49) Robinson : op. cit p. 170.

التجارى فى المنطقـــة ، وأكد لهم ان تجارتهم ستكون أكثر أمنا تحت ادارته مما لو كانت تحت ادارة فرنسا أو البرتغال (٥٠) .

كذلك سعى لاحتكار تجارة الصمغ والعاج فى حوض الكونغو ، مما أثار الشركات التجـارية الفرنسية العـاملة فى الضـفة اليمنى لنهر الـكونغو (٥١) .

وفى الوقت الذى كان فيه ستانلى يعمل جاهدا لنشر نفوذ الملك ليوبولد على أكبر مساحة من حوض الكونغو ، فعقــد مع الزعمـاء الوطنيين المعاهدات التى تربطهم به حتى قيل أنه عقــد مايقــرب من خمسمائة معاهدة ، كان دى برازا يعمل على الضــفة اليمنى لنهــر الـكونغو (٥٢) .

والواقع أننـــا لانستطيع التحدث عن الـكونغو الفرنسى دون أن نذكر جهود دى برازا فى المنطقـــة فاليه يرجع الفضــل فى اقرار وتدعيم نفوذ فرنسا ، وان كانت هناك جهود أخرى بذلت فى المنطقة، الا أنها لم تكن بنفس أهمية جهود دى برازا ، فقد عمل فى المنطقـــة من قبل الملازم ايمس Aymes الذى تعرف على أجزاء من مصب نهر أوجويه ، ونجح فى عقد المعاهدات مع الزعماء الوطنيين .

وقـــد عهـــد الى دى برازا استكمال أعمال الملازم ايمس ولكنه كان على درجة كبيرة من الطموح ، فقـــدم مشروعا الى وزير البحرية والمستعمرات طالب فيـــه بضرورة اقرار النفوذ الفرنسى فى الكونغو

---

(50) Anene. J : Africa in the Nineteenth and twentieth centuries Lond 1972 p. 121.

(51) Williams, B. : Modern Africa 1972 p. 40.

(٥٢) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٣٠٠ .

وكتب مذكرة بذلك فى ٢٣ ينـــاير ١٨٧٤ « رأيت أثناء وصـــولى الى الجابون امكانية اكتشـــاف مجرى نهـــر أوجويه ولهذا النهر أهميـــة اقتصـــادية كبيرة تمكننـــا من التوغل فى المنـــاطق الداخلية للقارة الافريقيـــة » [٥٣] .

وبذلك يمكن أن نقول ان دى برازا أفاد من اكتشافاته فى نهـــر أوجويه فى الجابون للتوسع فى المنـــاطق الداخلية ، وقد قبل وزير البحرية مشروع دى برازا الذى وصل الى داكار ١٨٧٥ ومنها اتجـــه الى الجـــابون ثم الـــكونغو وتقـــدم فى المنطقـــة حتى وصـــل الى بحـــيرة اليما Alima وتقع على ضـــفة الـــكونغو اليمنى ومنها اتجه الى أراضى جماعات باتيكيه Batékes ونجح فى التعرف على أجزاء من نهر الكونغو كان ستانلى قد وصل اليها من قبل [٥٤] .

عاد دى برازا الى الكونغو مرة ثانية عام ١٨٧٩ موفدا من قبـــل جمعيـــة الدراسات الافريقية لكشف المنطقة الممتدة من الجـــابون الى تشاد ، فى الوقت الذى تقدم ستانلى فى المنطقـــة موفـــدا من قبل الشعبة البلجيكية ولذلك دار سباق بين الطرفين كل منهما يحاول ربط الكونغو بالجهة التى يعمل لحسابها [٥٥] .

نجح دى برازا فى عقد المعاهدات مع الزعماء الوطنيين لقبول السيطرة الفرنسية وأسس قرب مصب الكونغو وعلى الضـــفة اليمنى محطة لخـــدمة أغراض الفرنسيين فى المكان الذى أطلق عليه اســـم برازافيل تخليدا لذكراه [٥٦] .

---

(53) Hanotaux, G : op. cit p. 387 .

(54) Ibid pp. 390 — 392 .

(٥٥) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠٦ .

(٥٦) المرجع السابق ص ٥٠٦ .

على أن أهم نجاح حققه دى برازا هو أنه استطاع الاتفاق مع الملك ماكوكو Makoko الذى تقع بلاده بين قرية نينتشو Nyantchou الواقعة على نهر الكونغو وبين مبيه Mbé فى الداخل • وترجع أهمية الاتفـاق مع ماكوكو انه كان له نفوذ كبير على جمـاعات باتيكيـه Batekes التى تقطن الضفة اليمنى للنهر ، كذلك كان له سيطرة على المنـاطق الداخلية ، وقـد تقابل دى برازا مع مبعـوث الملك ماكوكو الذى أطلعه برغبة الملك فى توطيد عرى الصداقة مع الفرنسيين فقام دى برازا بنفسه بزيارة الملك ونجح فى اقنـاعه بتوقيع معاهدة حماية فى ١٠ سبتمبر ١٨٨٠ تنازل بمقتضاها عن الأراضى الواقعـة شـمال محطـة برازافيـل وعن منطقة نيومبى Nympey وقبل رفع العلم الفرنسى على أراضيه (٥٧) •

كذلك وقع دى برازا معاهدات حمـاية مع الزعماء المحليين الذين تقع أراضيهم قرب أملاك الملك ماكوكو وأسس محطـة فرنسـية فى ضـفة كيلا Kila (٥٨) ثم أسس دى برازا محطة ثالثـة فى اليما ، ويبدو أن مهمة دى برازا فى هذه المنطقة لم تـكن ميسرة اذ رفض سكان اليما فى البـداية انشاء محطة فى أراضيهم ولـكنهم سرعان ما اضطروا لقبول الأمر الواقع ، ولذلك وصفهم دى برازا فى تقاريره بالوحشية ، ولـكنه فى الوقت نفسه دعا حكومته لتوطيـد الصـلات معهم ، كما أرسل الى المنطقة الكابتن فرومان Froment فى نوفمبر ١٨٨٥ لدراسة السكان وعاداتهم وتقاليدهم (٥٩) •

وهكذا فى خلال عامين من وصـول دى برازا ، الى الـكونغو حصل لفرنسا على مساحات شاسعة من الأراضى وأسس العـديد من

---

(57) Hanotaux, G : op. cit p. 402.

(58) Ibid p. 403.

(59i) Vidrovitch, Catherine : Brazza et La prise de possession du Congo 1883 — 1885. Paris 1969 p. 453.

المحطات الفرنسية لتدعيم النفوذ الفرنسى بالاضافة الى تدوينه الملاحظات العلمية القيمة وكتابة التقارير التى أفادت منها الحكومة الفرنسية فائدة كبيرة (٦٠) .

عاد دى برازا الى فرنسا عام ١٨٨٢ ، ووافق البرلمان الفرنسى على المعاهدة التى عقدها مع الملك ماكوكو ، ويرجع السبب فى موافقة البرلمان الفرنسى أن أعضاء البرلمان كانوا مدفوعين بدافع الحماس الوطنى وخاصة بعد احتلال بريطانيا لمصر أكثر من دافع الدراسة السلمية للمزايا الاقتصادية المنتظرة للمعاهدة (٦١) .

كما أحدثت معاهدة ماكوكو رد فعل فى عواصم الدول الأوروبية وخاصة بلجيكا فأعلن الملك ليوبولد عن تخوفه من أعمال دى برازا فى المنطقة ودفع ستانلى الى مهاجمة بعض المراكز الفرنسية الواقعة على الضفة اليمنى للكونغو ولكن القوات الفرنسية تصدت له (٦٢) .

كذلك احتج التجار البريطانيون على نشاط دى برازا فى الكونغو وحذروا الحكومة البريطانية من تصاعد النفوذ الفرنسى الذى من الممكن أن يؤدى الى عرقلة الملاحة والتجارة فى النهر ، ورفع أعضاء غرفة مانشستر التجارية مذكرة الى اللورد جرانفيل فى ١٣ نوفمبر ١٨٨٢ حثوا فيها الحكومة البريطانية على اتخاذ موقف حاسم ازاء التغلغل الفرنسى فى الكونغو ، وطالبوا بانشاء مركز بريطانى على النهر . وذلك لأن القنصلية البريطانية فى لواندا من الصعب عليها مراقبة المنطقة . كما أكدوا على الحكومة بضرورة مراعاة مصالح البريطانيين التجارية (٦٣) .

---

(60) Hanotaux : op. cit p. 404.

(٦١) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠٧ .

(62) Hanotaux, op. cit p. 406.

(63) Anstey, R : op. cit p. 116 .

وقد وجهت الحكومة البريطانية التساؤلات للسفير الفرنسى فى لندن للتأكد من عدم عرقلة تجارة البريطانيين فى المنطقة ، ولكن أنصار التوسع البريطانى مثل ماكينون وكيرك (٦٤) لعبوا دورا بارزا فى الضغط على الحكومة البريطانية فأكد كيرك خطورة معاهدة ماكوكو التى وقعها مع دى برازا وأرسل الى اللورد جرانفيل فى ١٩ مارس ١٨٨٣ مذكرة طالب فيها بضرورة عقد معاهدة بريطانية مماثلة مع الملك ماكوكو تتيح لبريطانيا حرية الملاحة والتجارة فى الكونغو (٦٥) .

عاد دى برازا الى الكونغو فى مهمة علمية ، وحصل على لقب مفوض حكومة الجمهورية الفرنسية فى الغرب الافريقى ، وأسفرت بعثته الثالثة ١٨٨٣ عن التوغل فى الكونغو . ونجح فى السيطرة على عدة نقاط على الساحل ، وخاصة فى بوانت نوار كما عمل على مراقبة عملاء ستانلى وفتح الطريق بين اليما والكونغو .. وهكذا يتضح لنا أنه عند انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ كان دى برازا قد دعم بالفعل السيطرة الفرنسية على الضفة اليمنى لنهر الكونغو ، وحصل لفرنسا على مكاسب كبيرة أفادت منها فى تأكيد نفوذها عند انعقاد المؤتمر (٦٦) .

أرادت بريطانيا أن تثبت وجودها فى المنطقة وخاصة بعد نشاط دى برازا المكثف ونشاط ستانلى ، فتفاوضت مع البرتغال لعقد معاهدة بينهما فى ٢٦ فبراير ١٨٨٤ ، اعترفت فيها بأحقية البرتغال فى الاستيلاء على اقليم الكونغو بين خطى عرضى ٩٢ ، ٨ جنوبا ، على أن تكفل حرية الملاحة فى كل من الكونغو والنيجر وأن تعمل

---

(٦٤) عملا فى سواحل افريقيا الشرقية .

(65) Anstey, R : op. cit p. 129.

(66) Hanotaux, G : op. cit pp. 410 — 412.

الدولتـــان ســـويا على محاربة تجـــارة الرقيق [٦٧] ولكن ذاع خبر المعاهـــدة قبل التصديق عليها واحتجت فرنسا على ادعاءات البرتغال فى الـــكونغو وأبلغ ليونز Lyons السفير البريطانى حكومته فى ٢٣ مايو ١٨٨٣ أن المســيو لاكور Challemel - Lacour يعـــارض ادعاءات البرتغـــال وان فرنســـا لن تعترف بالمعاهـــدة لو وقعت بين الطرفين ، كذلك أثارت المعاهـــدة بلجيـــكا فقد أدركت أن المعـــاهدة تمهيدا لسيطرة بريطانيـــا على المنطقـــة ، واعترضت الولايات المتحدة الأمريكية على المعاهـــدة ، أما ايطاليـــا وأسبانيا فلم تعترضا لأن لم تكن لهما مصـــالح فى الـــكونغو [٦٨] وواصلت فرنسا ضـــغطها على الحكومة البريطانية واتخذت من المسألة المصرية واحتـــلال بريطانيـــا لمصر وسيلة للضغط وقدم جول فرى احتجاجا على المعاهدة فى مذكرة رفعها الى الحكومة البريطانية فى ١٣ مارس ١٨٨٤ • وقـــد اقتنعت بريطانيا فى نهـــاية الأمر بضرورة تخليها عن المعاهدة لأن دول أوروبا أيضا لوحت لها بالمسألة المصرية [٦٩] •

أصبح واضحا أن الخلاف بين فرنسا وبلجيكا على الكونغو لابد من حله عن طريق مؤتمر دولى وذكر الســياسى البلجيكى اميل بانتج أن المسألة الافريقيـــة برمتها هى الشغل الشاغل للدول الأوروبية [٧٠] وقد سعى بسمارك لعقـــد مؤتمر برلين لحل مشكلة الـــكونغو وكان المؤتمر محاولة منه ومن جول فرى وزير خارجيـــة فرنسا لاستخدام الطرق الدبلوماسية لاقتطاع القارة • وحضر المؤتمر الدول الأوروبية المعنية بالقارة ولعب بسمارك دورا هاما فى الموازنة بين هذه الدول [٧١]

---

(٦٧) شوقى الجمل المرجع السابق ص ٢٩٩ .

(68) Anstey, : op. cit p. 161.

(69) Robinson, R : op. cit p. 172 — 175.

(٧٠) شوقى الجمل المرجع السابق ص ٣٠٧ .

(71) Carrié,A : The Concert of Europe U. S. A. 1968 p. 310.

واذا كان المؤتمر قد عقد أساسا لبحث مشكلة الكونغو الا أنه مالبث أن امتد ليشمل عدة مشكلات وتم فيه التوصل الى اتفاقات هامة تلتزم بها الدول الأوروبية (٧٢) على أن أهم ما أسفر عنه المؤتمر هو أن الدول الأوروبية تكتلت ضد الاتفاق البريطانى البرتغالى ، اذ أدركت أن بريطانيا تريد اعطاء الكونغو للبرتغال كخطوة تمهيدية لتصفية ممتلكاتها ووضع يدها عليها • كما اعترفت الدول الأوروبية بدولة الكونغو الحرة (٧٣) •

سعت فرنسا لتحديد الحدود بين دولة الكونغو الحرة وبين مناطق نفوذها على الضفة اليمنى للنهر فدارت المفاوضات بين الدولتين الى أن تم فى النهاية تحديد الحدود فيما بينهما • وقد أرسل رئيس الهيئة الدولية للكونغو الى وزير خارجية فرنسا يؤكد تمسك الهيئة ببعض المناطق مثل وادى Niadi - Quillou ولكن بعد عدة مراسلات بين رئيس الهيئة الدولية للكونغو Strauch وجول فرى قرر الطرفان ضرورة تبادل المذكرات فيما بينهما تمهيدا لتحديد الحدود (٧٤) •

تم الاتفاق بين فرنسا والهيئة الدولية على اعتبار الفواصل الطبيعية حدا وخطا للفصل بين ممتلكات كل منهما • كذلك تم تكوين

---

(٧٢) حياد اقليم الكونغو — حرية الملاحة فيه — حرية الملاحة والتجارة فى حوض الكونغو والنيجر وكل الأمم — عدم فرض أية دولة حماية على المناطق الساحلية دوات أن تعلن ذلك للدول الأخرى — عدم اعلان الحماية — دون أن تكون مؤيدة بامتلاك فعلى •

(٧٣) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٣٠٢ •

(74) Hertslet, E. The Map of Africa by treaty vol II p. 562. No. 151 exchange of notes between the Congo Free state and France, respecting the rigt of preemption of France over the territory of the Congo free State April - May 1884.

لجنة للقيام بعملية تحديد الحدود ، وطالب الجانب البلجيكى بضرورة اعتراف فرنسا بعلم الهيئة الدولية للكونغو وتم توقيع الاتفاق فى ١٢ مارس ١٨٨٥ (٧٥) .

ورغم هذه الاتفاقات الا انه حدث خلاف بين الدولتين بشأن اقليم مايونجا Mayonga كاد أن يؤدى الى توتر الموقف بينهما ، ولكن أمكن التوصل الى اتفاق بشأن تحديد الحدود فى هذا الاقليم وذلك فى ٢٢نوفمبر ١٨٨٥ . وبذلك تم حصر الخلاف فيما بينهما (٧٦) .

على أن أهم اتفاق عقد بين الجانبين كان معاهدة ٢٩ أبريل ١٨٨٧ تعهدت فيها دولة الكونغو الحرة على أن يكون نهر الاوبانجى وهو فرع من فروع الكونغو الغربى هو الحد الفاصل بين الحدود الفرنسية وحدود دولة الكونغو الحرة واعتبرت المنطقة الواقعة شمال الاوبانجى تابعة لفرنسا ، والمنطقة الواقعة جنوبه تابعة لدولة الكونغو الحرة ، كذلك تعهدت دولة الكونغو الحرة بعدم التدخل فى الشئون السياسية للضفة الشمالية للاوبانجى وتعهدت فرنسا أيضا من جانبها بعدم التدخل فى أى عمل سياسى فى الضفة الجنوبية للاوبانجى (٧٧) .

ومن المعروف أن الملك ليوبولد تنازل عن جميع حقوقه فى دولة

---

(75) Ibid p. 564 No. 152. Convention between the government of the French republic and the international Association of the Congo, Paris 5 February 1885.

(76) Ibid p. 561 No. 154. protocol defining the boundaries between the Congo free state and the French possession in the region of Manyanga 22 Nov. 1885.

(77) Ibid p. 568 No. 156. Protocol defining the boundaries between the Congo Free State and the French possession in the oubangui region Brusseles 29 April. 1887.

الـكونغو الحرة وأعلن تسليمه لبلجيكا بعد وفاته • وقـد أثار ذلك مخاوف الحكومة الفرنسية فطلب وزير الخارجيـة الفرنسى ريبو من بورية السفير الفرنسى فى بروكسل فى ١٢ يوليو ١٨٩٠ ، أن يؤكـد على الحكومة البلجيكية أنه فى حالة تسلمها دولة الكونغو الحرة بعـد وفاة ليوبولد ، عليها الالتزام بالاتفاقيـات المعقودة بين الطرفـين ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ بخصوص تحديد الحدود بينهما (٧٨) وقد أكدت الحكومة البلجيكية كذلك أكد رئيس الهيئة الدولية Strauch للسفير الفرنسى التزام الهيئـة والحكومة بالمعاهدات السابق عقدها بين الطرفين (٧٩) وأعلنت الحكومة البلجيكية بأنهـا تريد وتسعى لحسـن الجوار مع فرنسا فى الـكونغو فهما فى أوروبا دولتـان متجاورتان ولذلك فمن الضرورى أن تتسم علاقات الدولتين فى افريقيـا أيضـا بالتفـاهم وحسن الجوار (٨٠) •

واذا كانت فرنسا قـد سعت لتسوية حدودها مع بلجيكا فانهـا سعت أيضـا لتسوية حـدود الـكونغو الفـرنسى مع البرتغـال فعقـدت اتفاق فى ١٧ مايو ١٨٨٥ لتحديد الحدود الشرقية للكونغو بين كابنـدا البرتغالية والـكونغو تنـازلت فيه البرتغال عن الضفة اليمنى عنـد Chiloango (٨١) •

---

(78) Documents Diplomatiques Francais ler serie tome VIII M. Ribot Ministre des Affaires étrangères à M. Boureé Ministre de France à Bruxelles. Paris 12 Juillet 1890 DNO 21 p. 149.

(79) D. D. F. ler serie tome VIII. M. Ribot à M. Bourée Ministre de France à Bruxelles paris 18 Juillet 1890 T p. 161.

(80) D. D. F. ler serie tome VIII. M. Beernaert, président du conseil de Belgique à M. Bourée, Ministre de France à Brusé-lles, Bruxelles 29, Juillet 1890 No. 128 p. 178.

(81) Hanotaux, op. cit. p. 424 .

كذلك عقدت فرنسا مع المانيا اتفاقا فى ٢٤ ديسمبر ١٨٨٥ لتحديد الحدود بين الكونغو الفرنسى والكاميرون الألمانى (٨٢) ورغم توقيع هذا الاتفاق الا أن الألمان عملوا على مد نفوذهم من الكاميرون صوب حدود الكونغو الفرنسى ونجح ناختيجال الألمانى فى رفع العلم الألمانى على مدينة دوالا على الساحل قرب مصب نهر سنجا وهو من روافد الكونغو وأعلن بسط الحماية الألمانية على هذه الجهات فاندلع خلاف حاد بين الدولتين على أساس أن الفرنسيين عقدوا فى منطقة سنجا العديد من معاهدات الحماية مع الزعماء المحليين وظل الخلاف قائما بين الدولتين حتى بدأت فرنسا تتجه لمد نفوذها على مراكش فى شمال أفريقيا فوقفت المانيا فى وجه الأطماع الفرنسية وتمثل ذلك فى حادثة أغادير الشهيرة ١٩١١ ولكن توصلت الدولتان فى النهاية الى اتفاق وافقت فيه المانيا على اطلاق يد فرنسا فى مراكش فى مقابل تنازل فرنسا لألمانيا عن بعض الأراضى وبموجب اتفاق ١٩١١ — ١٩١٢ وسعت المانيا مستعمرتها فى الكمرون شرقا فوصلت الى نهر أوبانجى والساحل الشمالى للجابون وضمت بذلك حوض نهر سنجا وهو طريق مائى ورافد من روافد الكونغو الهامة وبذلك وضعت المانيا يدها على منطقة غنية فى افريقيا الاستوائية الفرنسية (٨٣) .

أما الاقليم الثالث الذى سعت فرنسا لدعم سيطرتها عليه فهو اقليم أوبانجى — تشارى (افريقيا الوسطى حاليا) . والواقع أن اهتمام دى برازا بكشف روافد الكونغو هو الذى أدى الى الكشف عن منطقة أوبانجى تشارى فقد اهتم الفرنسيون بالكشف عن نهر سنجا ، وهو من روافد الكونغو اليمنى يصب بالقرب من الاوبانجى أمام منطقة اليما بدلتا كبيرة ، وقد أد اكتشاف دى برازا لهذا

---

(82) Ibid p. 427.

(٨٣) شوقى الجمل المرجع السابق ص ٤١١ .

الرافد الى اثارة فضوله للتقدم شمالا واكتشاف المنطقة ، فوصل الفرنسيون الى اقليم كبير مجهول بالنسبة اليهم يقع بين تشاد فى الشمال والأوبانجى فى الجنوب وشارى فى الشرق والكاميرون فى الغرب [٨٤] .

وقد أصبح اقليم أوبانجى — تشارى ضمن أقاليم افريقية الاستوائية منذ عام ١٨٩٤ وأقرب طريق له الى البحر عن طريق الكاميرون ، ويجرى فى الاقليم أعالى نهر شارى ، وروافده العديدة التى تنبع من خط تقسيم المياه بين النيل والكونغو وتصب هذه الروافد فى نهر الأوبانجى [٨٥] .

وجدير بالذكر أن هذا الاقليم بحكم موقعه بين تشاد والسودان والكونغو والكاميرون كان ملتقى الهجرات ، كما أنه تبع الممالك الاسلامية التى ظهرت فى المنطقة فخضعت أجزاؤها الشمالية والشمالية الشرقية للممالك الاسلامية التى قامت فى منطقة تشاد وفى غرب السودان ، كما وصل اليه الدعاة السنوسين قادمين من ليبيا [٨٦] .

اهتم دى برازا بارسال البعثات الكشفية الى منطقة أوبانجى تشارى ، وفى عام ١٨٨٩ تم بناء ميناء بانجى على الضفة اليمنى لنهر الأوبانجى ، وعمل دى برازا على فتح الطريق بين الاقليم وتشاد ، وساعده على تحقيق هدفه أن لجنة افريقيا الفرنسية التى تكونت فى باريس ١٨٩٠ ، عملت على ارسال المكتشفين الى المنطقة وخصصت

---

(84) Hanotaux, op. cit p. 482.

(٨٥) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٤١١

(٨٦) د. اسماعيل ياغى تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر (قارة افريقيا) طبعة الرياض ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

ميزانيـــة لهذا الغرض — وفى عام ١٨٩٠ توغل كـــرامبل من بانجى حتى دار الكوتى (٨٧) .

كذلك تجول القائد الفرنسى كلوزيل Clozel فى المنطقـــة حتى وصل الى حوض بحر سارا ، وقام فـــورنو Fourneau بالتجول فى المنطقة الواقعـــة من حوض نهر ســـنجا الى ليبرفيـــل — أما كازمير Casimir فقـــد أرسل فى بعثـــة الى الأوبانجى فاتجه نحو الشمال الغربى ووقع معاهـــدة مع زعمـــاء بحر سارا ثم وصـــل الى بنوى ويولا (٨٨) على أن كل تلك الجهود كللت بالنجاح عندما وقع دى برازا معاهدات حمـــاية ١٨٩١ على المنطقة الواقعة شرق الأوبانجى وسنجا واعتبرت هذه المناطق تحت السيادة الفرنسية (٨٩) .

على أن أهم البعثات التى أرسلت الى المنطقة كانت بعثة ميزون الذى دعا الى ضرورة تدعيم الاتصـــال بالســـاحل الغربى الافريقى والكونغو الأوسط واكتشاف الأقاليم الداخلية (٩٠) وقد تجول ميزون بين بنوى وتشاد ووصل الى نهر سنجا فى ٢٩ يناير ١٨٩٢ وأعلن أنه يمكن ربط النيجر وبنوى وسنجا والكونغو الفرنسى وتحقيق الاتصال بينهم (٩١) .

والواقع أن تدعيم السيطرة الفرنســـية على اقليم أوبانجى — تشارى لم يقابله مقاومة وطنيـــة عنيفة أو مقاومة منظمـــة على نحو

---

(87) Geographical handbook series French Handbook Equatorial Africa and Cameroons 1942 p. 235,

(88) Geographical Hanbook : op. cit p. 236.

(89) Hanotaux : op. cit p. 491.

(90) Catherine : op. cit p. 332.

(91) Hanotaux: op. cit p. 488 .

ماحدث فى تشاد مثلا ، ولكن هذا لايعنى من وقوع بعض المصادمات بين القوى الوطنية والفرنسيين ، ففى عام ١٨٩٠ قتل الوطنيون قائد مركز بانجى ويدعى موسى Musy ، وفى عام ١٨٩٢ قتل القائد الفرنسى دى بوميراك De Poumayrac عند منطقة ابيرا Abira وهى أحد روافد نهر موبومو (٩٢) .

والواقع أن سيطرة فرنسا على هـذا الاقليم لم تتم عن طريق غزو عسكرى كبير وحمـلات عسكرية ، كما حـدث فى تشاد أو فى معظم منـاطق غرب افريقيا ، ولكن كان عـلى فرنسا أن تخوض عدة معارك سياسية كبيرة مع الدول المنافسة لها فى المنطقة ، فعقدت عدة تسويات مع كل من المانيا وبلجيكا ليخلص لها الاقليم فى النهـاية . فقد واجهت فرنسا خطورة تقدم الألمـان فى المنطقـة وخاصـة من مستعمرتهم فى الكاميرون ووصلت البعثات الألمـانية الى الأوبانجى وأسست المحطات والوكالات منذ عام ١٨٨٦ . وقد ساعد على نشاط هذه البعثات تأسيس لجنـة افريقيا الألمانيـة فى برلين عـام ١٨٨٥ والتى عملت على تشجيع كشف افريقيـا . وقد رفع أعضاء اللجنـة فى ١٩ يناير ١٨٨٦ مذكرة الى الحكومة الألمانية طالبوها بضرورة انشاء المراكز الألمانية على نهر الأوبانجى وتـدعيم السيطرة الألمانيـة على المنـاطق المجاورة له وبسط السيادة الألمـانية من الـكاميرون حتى الأوبانجى . كذلك دعا الدكتور زنتجراف المكتشف الألمانى الى ضرورة تقدم المانيا من الكاميرون صوب المناطق الداخلية فى القارة وعـدم الاكتفاء بالكاميرون فقط وانما ضم مزيد من الأراضى لألمانيا (٩٣) .

ولكن الحكومة الألمـانية رفضت فى ذلك الوقت فكرة ارسـال بعثات كشفية فى مناطق مجهولة لها تمـاما ، الا أن هـذا الرفض لم

---

(92) Geographical Handbook : op. cit p. 236.

(93) Hanotaux : op. cit p. 483.

يمنع الحكام الألمان فى الكاميرون من ارسال البعثات ، ففى عام ١٨٨٧ وصل كل من الكابتن Kund والملازم تابنبك Tappenbeck الى حوض الكونغو — وفى عام ١٨٨٩ تقدم مورجن Morgan نحو الشرق وفى الواقع أن هذه البعثــات لم تحرز تقدما كبيرا فى المنطقــة ولم يكن لها نتائج سياسة تذكر (٩٤) .

أرادت بريطانيــا قطع الطريق على فرنسا ومنعها من الامتداد والتوسع من منطقــة أوبانجى تشارى فعقدت فى ١٥ نوفمبر ١٨٩٣ اتفاقا مع المــانيا حدد الحد الغربى لمستعمرة الكاميرون سمح للألمان بالامتداد نحو تشاد (٩٥) .

وقد سبب ذلك حرجا لموقف فرنسا فقــد حددت فرنسا حــدود الكاميرون الجنوبى مع المــانيا وفقا لمعاهدة ٢٤ ديسمبر ١٨٨٥ ، ولكن ظل الحد الشرقى مفتوحا وان كانت المــادة الرابعة من الاتفاق قــد تضمنت بأن النفوذ الألمــانى سوف لا يمتد شرقا أبعد من حوض نهر شارى ودارفور وكردفان وبحر الغزال . ولذلك كان لابد أن تتوصل فرنسا لعقد اتفاق ثان مع المــانيا لتحديد الحدود الشرقية لمستعمرة الكاميرون ومنــع الألمان من الامتداد والتوســع نحو الشرق وتهديد الأقاليم التى خضعت لفرنسا فتم توقيع اتفاق ١٥ مارس ١٨٩٤ الذى اعتبر نصرا كبيرا لفرنسا اذ أنه فى مقابل بعض الامتيازات البســيطة للألمان وافقوا على تحديد الحــد الشرقى للكاميرون مما ترك لفرنسا حرية التوسع فى الشمال حتى بحيرة تشاد وفى الشرق . وقــد أثار هذا الاتفــاق غضب بريطانيا فحاولت الدس بين الألمان والفرنسيين ولكن دون جدوى فقد أرسلت الحكومة الفرنسية الكابتن مونتى الى

(94) Ibid p. 484.

(٩٥) على ابراهيم : أضواء على المنافسة الدولية فى أعالى النيل — القاهرة ص ١٩٥٩ ص ٢٠٢ .

برلين للتفاوض وسارت المحادثات فى جو ودى ، وفى ٤ فبراير تم التوصل الى الاتفاق الذى وقع فى ١٥ مارس ١٨٩٤ [٩٦] .

ولتدعيم السيطرة الفرنسية فى منطقة أوبانجى تشارى كان لابد من الوصول الى اتفاق مع بلجيكا أيضا نظرا لأطماعها فى المنطقة .

فقد أرسل دى برازا ليوتار فى أبريل ١٨٩٠ وكان قد قام بكشوف فى الجابون ليوطد النفوذ الفرنسى فى أعالى الاوبانجى والمناطق المجاورة ولكى تكون هذه الأراضى مدخلا للفرنسيين الى النيل [٩٧]. وفى ٥ فبراير ١٨٩١ كتب دى برازا الى ليوتار بأنه لابد من العمل تجاه الشمال الشرقى والامتداد نحو أعالى النيل ولم يكن مع ليوتار سوى قوة صغيرة من الجنود السنغاليين[٩٨] . هذا فى الوقت الذى أبدى فيه الملك ليوبولد نشاطا كبيرا لمد نفوذه من الكونغو الى أعالى النيل . ولذلك أرسل قوة بلجيكية بقيادة فان كركهوفن وصلت فى أكتوبر ١٨٩٢ الى النيل عند ودلاى ، وصلت حملات البلجيكيين الى الشاطىء الأيمن لنهر أولى الذى يعتبر امتداد لنهر الأوبانجى [٩٩] . ولذلك فتحت فرنسا باب المفاوضات مع بلجيكا لتحديد النفوذ بين نهرى ولى والموبومو وهما الفرعان اللذان يتفرع اليهما الأوبانجى فى أعاليه وفى النهاية عقدت اتفاقية اعترف فيها بأن يكون الحد هو نهر شنكو وخط عرض ٧ شمالا ، وفى مقابل هذا الامتياز يبدو أن ليوبولد كان موافقا على أن يقسم مع الفرنسيين المنطقة الواقعة على الجانب الغربى من النيل الأعلى حيث تحصل دولة الكونغو الحرة على المنطقة الواقعة فى الشمال حتى لادو ويترك الباقى للفرنسيين ورغم

---

(٩٦) على ابراهيم : المرجع السابق ص ١٠٢ .

(٩٧) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠٩ .

(٩٨) على ابراهيم : المرجع السابق ص ٩٤ .

(٩٩) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠٩ .

موافقة المسيو ريبو وزير الخارجيـــة الفرنسى على التســوية الا أنه رفضها بضغط من الفريق الاستعمارى فى مجلس النواب (١٠٠) .

ثم توتر الموقف بين الطرفين عندما عقدت حكومة الكونغو الحرة فى ١٢ مايو ١٨٩٣ اتفاقا مع بريطانيا سمحت فيهـا الأخيرة لبلجيكا بتأجير منطقـــة كبيرة من بحر الغزال تقع بين خطى ٣٠° ، ٢٥ شرقا خطى عرضى ١٠ ، ٤ شمالا – كذلك أجرت للملك ليوبولد ولدى الحياة المنطقة الواقعة على الشاطىء الأيسر للنيل عند ماهاجى على الشاطىء الغربى لبحيرة البرت الى فاشودة وفى مقابل ذلك أجرت دولة الكونغو الحرة لبريطانيا شريطا من الأرض يمتد من بحيرة ألبرت حتى بحــيرة تنجانيقا ، أى انه بمقتضى هذا الاتفاق تنازلت بريطانيا لدولة الكونغو الحرة عن نصف حوض الأوبانجى وكل بحر الغزال (١٠١) .

اعتبرت فرنسا الاتفاق البلجيكى البريطانى مناقضــا للاتفاقات الدولية كما انه يعرض مصالح الفرنسيين فى منطقة الأوبانجى العليـــا للخطر كما أن فيـــه اعتداء على حقوق مصر السياسية والسيادة على بحر الغزال والمديرية الاستوائية وهــددت فرنسا باســتخدام القوة وأرسلت حملة بقيادة الكولونيل مونتى لطرد البلجيكيين من الأوبانجى العليـــا (١٠٢) .

وفى الوقت نفسه لجأت فرنسا الى استخدام أسلوب الاحتجاج ضد كل من بلجيكا وبريطانيـــا وخاصة بعد تأكدها من توقيع الاتفاق السابق بين الطرفين وأنه أصبح ســـارى المفعول (١٠٣) كذلك حاولت

---

(١٠٠) على ابراهيم : المرجع السابق ص ٩٥ .

(١٠١) شوقى الجمل المرجع السابق ص ٥١١ .

(١٠٢) المرجع السابق ص ٥١٢ .

(103) D. D. F. ler serie tome XI. M. Casimir - perier a M. Boureé, Ministre de France à Bruxelles DN 25 Urgent Paris 26 Mai 1894 p. 169.

فرنسا التقرب من المانيا فأرسل المسيو هربرت السفير الفرنسى فى برلين الى كازمير وزير الخارجية الفرنسى فى ٢٧ مايو ١٨٩٤ يخبره بضرورة مقاومة الاتفاق البريطانى البلجيكى ، مذكرا اياه بأن فرنسا والمانيا قد نجحتا من قبل فى الغاء المعاهدة البريطانية البرتغالية التى عقدت عام ١٨٨٤ وان الدولتين فى الوقت الحالى بامكانهما الضغط على بلجيكا وبريطانيا لمنع تنفيذ اتفاق ١٢ مايو ١٨٩٣ (١٠٤) .

كذلك لم تكتف فرنسا باغراء المانيا بالتحالف معها وانما وجهت انتقادا الى دولة الكونغو الحرة فأرسلت مذكرة الى الكونت دى جريل روجيه De Grelle - Rogier وكيل وزارة الشئون الخارجية لدولة الكونغو الحرة نددت فيها بالاتفاق المعقود بين بريطانيا ودولة الكونغو الحرة ، وأكدت ضرورة تمسك دولة الكونغو الحرة بالاتفاقيات السابقة المعقودة بينها وبين فرنسا كما أوضحت المذكرة الوضع الدولى للاقاليم الواقعة فى حوض وأعالى النيل ودعت دولة الكونغو الحرة الى عدم نسيان هذا الوضع (١٠٥) .

وقد حرصت فرنسا على ارسال الاحتجاجات على المعاهدة المعقودة بين بريطانيا ودولة الكونغو الحرة الى لندن والى بروكسل (١٠٦) وأكدت بأن المنطقة التى سيمتد اليها نفوذ بلجيكا انما

---

(104) Ibid M. Herbette Ambassadeur de France à Bruxelles à M. Casimir perier Ministre des Affaires étrangères Berline 27 Mai 1894 DNo. 42.

(105) D. D. F. tome XI. Note remise a M. De Grelle - Rogier 27 Mai 1894 Bruxelles p. 180.

(106) Ibid M. Herbette Ambassadeur de France à Berlin à M. Casimir - Perier Ministre des Affaires étrangéres Berlin 29 Mai 1894 T No. 78.

هى تعتبر أملاك تابعة للخديوى فى مصر وللدولة العثمانية(١٠٧) .

ولكن رغم كل هذا النشاط الدبلوماسى المكثف لفرنسا وسلسلة الاحتجاجات التى أرسلتها عن طريق سفرائها الى معظم عواصم الدول المعنية بالمنطقة الا أن السفير الفرنسى فى بروكسل أكد لحكومته بأن الملك ليوبولد لن يستطيع المضى قدما فى هذا الاتفاق فهو يعتمد على ثروته الخاصة وسوف يجد نفسه فى النهاية عاجزا عن مواصلة جهوده فى افريقيا وعن مواصلة ارسال البعثات والمستكشفين ، وان المستقبل لفرنسا لأن ليوبولد سيصل الى مرحلة لن يستطيع تخطيها . ودعا السفير الفرنسى بلاده الى شن مزيد من الحملات فى الصحف ضد الملك ليوبولد شخصيا . وبالفعل شنت الصحف الفرنسية سلسلة من الحملات ضد ليوبولد وشبهته بالقياصرة (١٠٨) .

والواقع أن الضغط الفرنسى قد أثمر فقد أصدرت بريطانيا بالاتفاق مع ليوبولد تصريحا فى يونيو ١٨٩٤ يتضمن الغاء المادة الثالثة من الاتفاق البريطانى البلجيكى يمتد من تنجانيقا حتى بحيرة الحرة شريط من الأرض لبريطانيا يمتد من تنجانيقا حتى بحيرة البرت (١٠٩) ومن أسباب معارضة فرنسا لهذا الاتفاق أنها أيقنت أنه ضمن مخططات الاستعمارى الكبير سيسل رودس لتربط شمال القارة بجنوبها وانه تمهيد لتحقيق هذا المشروع (١١٠) .

---

(107) Ibid M. Boureé Ministre de France à Bruxelles à M. Hanotaux ministre des affaires étrangères Bruxelles 31 Mai 1894 D. No. 12.

(108) Ibid M. Boureé, Ministre de France à Bruxelles à M. Casimir Ministre des Affaires étrangères Bruxelles 28 Mai 1894 DN. 11 trés confidentiel.

(١٠٩) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٣٢٠ .

(110) D. D. F. tome XI M. D'éstournelles chargé des affaires étrangères à Londres à M. Ribot Ministre des Affaires étrangères Londres 14 Avril 1891 D. No. 115.

وأخيرا عقد اتفاق ١٤ أغسطس ١٨٩٤ بين فرنسا ودولة الكونغو الحرة اعترفت بلجيكا بالنفوذ الفرنسى بين فرعى الأوبانجى موبومو وولى — وأن يكون لفرنسا حقوقا سياسية فى موبومو (١١١) وتنازل ليوبلد عن فكرة احتلال منطقة بحر الغزال ليبقى الميدان مفتحا أمام الفرنسيين ومن ناحية أخرى تركت فرنسا لدولة الكونغو الحرة استئجار منطقة اللادو (١١٢) .

على أن فرنسا حاولت الاستفادة فيما بعد من تواجدها فى المنطقة لمد نفوذها الى حوض النيل الا أن بريطانيا وقفت لها بالمرصاد وتمثل ذلك فى حادثة فاشودة الشهيرة ١٨٩٨ التى استبعدت فيها فرنسا نهائيا من أعالى النيل ، كذلك فشلت فى ربط ممتلكاتها الواقعة فى غرب القارة بممتلكاتها فى شرق القارة . رغم المساعدات القيمة التى حصلت عليها حملة مارشان من لاجارد حاكم الصومال الفرنسى ومن الملك منليك ملك الحبشة (١١٣) وهكذا سيطرت فرنسا على اقليم أوبانجى تشارى بواسطة سلسلة من المعاهدات ولكنها رغم ذلك لم تنجح فى مد نفوذها منه الى منطقة أعالى النيل .

أما تشاد فهو الاقليم الرابع الذى وضعت فرنسا يدها عليه لتستكمل تكوين افريقيا الاستوائية الفرنسية ، كما أن تشاد كانت نهاية للتوسع الفرنسى وللحملات العسكرية القادمة من السنغال . وتميل أرض تشاد بشكل عام نحو الجنوب الغربى ، يدل على ذلك اتجاه المياه من مختلف الجهات نحو بحيرة تشاد التى أخذت البلاد اسمها وتتقاسم شاد هذه البحيرة مع كل من النيجر ونيجريا

---

(111) Hertslet, op. cit vol II. No. 157 Boundary Agreement between France and the congo free state 14 August 1894 p. 569.

(١١٢) على ابراهيم عبده : المرجع السابق ص ١١٥ .

(١١٣) شوقى الجمل — المرجع السابق ص ٥١٣ .

والكاميرون ، ويجرى فى تشاد كل من نهر تشارى الذى ينبع من افريقيا الوسطى ، كذلك نهر لوجون الذى شكل خط الحدود بينها وبين الكاميرون (١١٤) .

ذكرنا من قبل أن التوسع الفرنسى فى الكونغو الأوسط ، وأوبانجى تشارى ، والجابون اتسم الى حد ما بالهدوء النسبى اذا ما قورن بحركات المقاومة الوطنية التى واجهتها فرنسا أثناء توسعها فى غرب افريقيا وتكوين ما عرف بأفريقيا الغربية الفرنسية حيث واجهت فرنسا مقاومة عنيفة وخاصة من قبل الممالك الاسلامية فى هذه المناطق والتى أعلن معظمها الجهاد ضد الفرنسيين ، ولعل تشاد كانت الوحيدة ضمن أقاليم افريقيا الاستوائية التى قدر لها أن يظهر فيها حركة جهاد اسلامى شبيه بتلك التى ظهرت فى غرب افريقيا فتميزت بذلك عن باقى أقاليم افريقيا الاستوائية وتزعم حركة الجهاد ضد الفرنسيين فى تشاد رابح الزبير الذى كون دولة اسلامية فى حوض نهر شارى ونجح فى نشر الاسلام بين الجماعات الوثنية فى المنطقة .

وقد ارتبط رابح الزبير بالسنوسيين وخاصة السيد محمد السيد السنوسى وأبدى الطرفان كراهية شديدة للفرنسيين . وقد بدأت العلاقة بين رابح والفرنسيين تتخذ طابع التوتر بعد أن أقدم على قتل المكتشف الفرنسى بول كرامبل وذلك فى عام ١٨٩١ (١١٥) ثم عمل رابح على توسيع نفوذه جنوب بحيرة تشاد فغزا أراضى الباجرمى وأحكم الحصار حول مدينة مانهافا الواقعة جنوبا ونجح رابح فى السيطرة على عدة مقاطعات من دارفور ثم اتجه نحو الباجرمى

---

(١١٤) د. اسماعيل ياغى : المرجع السابق ص ١٩٦ .

(١١٥) سعد الدين الزبير : امبراطورية رابح الزبير — القاهرة ١٩٥٣ ص ٢٠ ، ٢١ .

واستطاع اخضاع سلطنة برنو لنفوذه وبذلك كون مملكة قوية واتخذ من دكوة جنوب بحيرة تشاد عاصمة له (١١٦) .

وخلال فترة توسع رابح الزبير كانت فرنسا على وشـك اكمال توسعها فى غرب افريقيا وامتـد نفوذها شرقا وكان من الطبيعى أن يحدث صـدام بين القوات الفرنسية الزاحفة شرقا وبين رابح الزبير وخاصة وأنه سبق وأن اتهم باغتيال الرحالة الفـرنسى بول كرامبل كذلك اعتقل المكتشف الفرنسى دى بهـاجل . على أن رابح نجح فى ايقـاع الهزيمة بالفرنسيين فى أكثر من مرة وقيـل أن الفرنسيين لجأوا الى الزبير رحمت ليستعمل نفوذه لدى رابح لايقـاف الحرب بينـه وبينها وليطلب منه الانسحاب من برنو ولكن الزبير باشا رفض ذلك (١١٧) .

وجهت فرنسا ثلاث حملات للقضـاء على رابح الزبير وذلك فى عام ١٨٩٩ خرجت الأولى من السنغال والثانية من الجزائر والثالثة من الكونغو الفرنسى وكانت بقيادة اميل جنتى . وقـد حققت الحملات الثلاث هـدفها ونجحت فى هزيمة رابح وقتله ولـكنها حققت هـدفا آخر هاما للفرنسيين وهو امكانية ربـط المستعمرات الفرنسـية فى افريقيـا فى كل من الجزائر فى الشمال والسنغال فى غرب افريقيـا والكونغو فى افريقيا الاستوائية (١١٨) .

وجدير بالذكر أن المهـدى فى السودان حاول التحالف مع رابح وذلك فى الفترة مابين ١٨٨٢ ـ ١٨٨٥ فطلب منه الانضمام اليه ولكن رابح لم يستجب له ، على عكس موقف حكام نيجيريا فقـد استجاب

---

(١١٦) د. اسماعيل ياغى : المرجع السابق ص ١٩٦ .

(١١٧) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠١ .

(١١٨) اسماعيل ياغى : المرجع السابق .

البعض منهم للمهدى وقاموا بالرد على رسائله ومنهم هايتو حفيد عثمان وأن فوديو الذى تزوج بابنة رابح وحافظ على علاقته الطيبة معه حتى وفاته (١١٩) .

استمر فضل الله بن رابح الزبير فى مقاومة الفرنسيين فى تشاد وعندما حاولوا التفاوض معه رفض وقطع رؤوس مبعوثيهم ولكن لم يتمكن من الاستمرار فى النضال طويلا فقد قتل فى فوجبه (١٢٠) .

وهكذا ظلت القوات الفرنسية فى المنطقة تقاتل خلفاء رابح وأتباعه حتى عام ١٩٠٢ حين استقرت الأمور للفرنسيين على حدود برنو (١٢١) كذلك اصطدم الفرنسيون بالسنوسيين فى شمال تشاد وكانوا على علاقة طيبة برابح الزبير كذلك كان لهم نفوذ على الطوارق فى اير وزندر مما أقلق السلطات الفرنسية ولذلك وجهت لهم الحملات خلال أعوام ١٩٠١ ، ١٩٠٢ حتى انسحبوا من المنطقة (١٢٢) .

وهكذا نلاحظ أن ماكاد القرن التاسع عشر يصل الى نهايته حتى كان الاحتلال الفرنسى لافريقيا الاستوائية قد أوشك على الاكتمال، وكان من الصعب على فرنسا أن تدعم سيطرتها على المنطقة بأكملها ولذلك ظهرت فكرة تجميع المستعمرات الفرنسية فى وحدة فيدرالية حتى تسهل عملية ادارتها والتحكم فيها فتكونت افريقيا الغربية الفرنسية وافريقيا الاستوائية كوحدتين فيدراليتين وتكون الاتحاد

---

(119) Forde, Daryll : Islam in tropical Africal Lond 1969 pp. 423 — 425 .

(١٢٠) لوثروب ستودارد حاضر العالم الاسلامى — القاهرة ١٩٧١ ص ٣ ص ٦٤ .

(١٢١) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠٢ .

(122) Hanotaux, G : op. cit p. 541.

الفيدرالى من عدة وحدات تخضع كل منهـا لحاكم يخضـع بـدوره للحاكم العـام فى الاتحاد ، ويمثل الأخير الجمهورية الفرنسية وهو المسئول أمام وزير المستعمرات (١٢٣) .

تكون اتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسية بمقتضى عدة مراسيم فبمقتضى مرسوم ٤ أغسطس ١٨٦٠ تركزت ادارة الوكالات الفرنسية فى الجابون وساحل غينيا ، فى الجابون وتولى الادارة قواد البحرية الفرنسية . وفى ٢٤ يناير ١٨٨١ صـدر مرسوم جعل ادارة ممتلكات فرنسا فى ساحل غينيا والجابون تحت قيـادة قائد أعلى من البحرية الفرنسية حمل لقب القائد الأعلى للمنشآت الفرنسية فى خليج غينيا وعندما قام دى برازا برحلته الثـالثة الى المنطقة حصـل على لقب مفوض من الحكومة الفرنسية وفى ١٦ ديسمبر ١٨٨٣ قسمت المنشآت الفرنسية فى خليج غينيا الى قسمين الجـابون ويتولى ادارته قائـد يشرف على كوتونو وبورتونوفو (داهومى) والقسـم الثـانى من المنشآت الفرنسية فى جران بسام واسينى (ساحل العاج) وفى ٢٧ أبريل ١٨٨٦ صـدر مرسوم أعطى لبرازا ادارة الجابون فعهد بدوره الى الملازم الفرنسى باليه Noel Ballay تولى ادارة المنطقة وفى ٢٩ يونيو ١٨٨٦ صدر مرسوم أعطى دى برازا لقب مفوض عام للحكومة وخوله ادارة المستعمرتين الجابون والكونغو ثم صـدر مرسوم ١١ ديسمبر ١٨٨٨ وحد الجابون والـكنغو ، فى ٣٠ أبريل ١٨٩١ أعطيت المنشآت الفرنسية فى المنطقة اسم الـكونغو الفرنسى وكانت هـذه الخطوة تمهيدا لانشاء اتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسية الذى صدر مرسوم تكوينه فى عام ١٩١٠ (١٢٤) .

---

(١٢٣) عبد الملك عوده : السياسة والحكم فى افريقيـا ــ القاهرة ١٩٥٩ ص ١٧٠ .

(124) Hanotaux, G : op. cit tome IV. p. 429 — 431 .

نلاحظ مما سبق أن فرنسا نجحت فى تحقيق هدفها فى افريقيا الاستوائية فدعمت سيطرتها على المنطقة ، ساعدها فى ذلك الظروف الدولية وخاصة بعد انعقاد مؤتمر برلين ، كذلك الظروف الداخلية التى مرت بها المنطقة ، حيث أننا لا نلمس مقاومة عنيفة ضد الفرنسيين ابان فترة توسعهم فى أقاليم الجابون والكونغو وأوبانجى تشارى ، ولكن تتضح لنا هذه المقاومة فى تشاد تلك المقاومة التى قادها رابح الزبير وابنه فضل الله وربما يرجع السبب فى ذلك الى أن تشاد فيها أغلبية مسلمة تأثرت بحركات الجهاد التى ظهرت فى ممالك غرب افريقيا ابان فترة التوسع الفرنسى .

خاضت فرنسا عدة معارك سياسية مع الدول الأوروبية الطامعة فى المنطقة فعقدت سلسلة من المعاهدات مع كل من بلجيكا ، والمانيا، والبرتغال الى أن تمكنت من تحديد حدود أقاليمها لتخلص لها افريقيا الاستوائية ، ونجحت فى وضع يدها على مساحة كبيرة من الأراضى الا أنها أخفقت فى تحقيق حلمها التوسعى فى ربط ممتلكاتها فى غرب القارة بممتلكاتها فى شرقها على شكل حزام متصل من الأملاك الفرنسية ، أى أن يمتد النفوذ الفرنسى من السنغال فى غرب القارة حتى جيبوتى فى شرق القارة وذلك لأن بريطانيا كانت لها بالمرصاد فلم تمكنها من أن تقطع ممتلكاتها فى القارة عرضيا . وتمثل ذلك فى حادثة فاشودة حيث أجبرت فرنسا على التوقف بفتوحاتها حتى تشاد، ولكن رغم ذلك نجحت فرنسا فى تحقيق سياستها التوسعية فى ربط ممتلكاتها فى شمال القارة بممتلكاتها فى افريقيا الاستوائية فامتدت الأملاك الفرنسية متصلة من البحر المتوسط حتى الكونغو .

وأخيرا اعتمدت فرنسا فى توسعها على أنصار التوسع وغلاة الاستعماريين أمثال دى برازا واميل جنتى وغيرهم ممن يؤمنون بضرورة تكوين امبراطورية فرنسية فيما وراء البحار .

أولا ـ المصـــادر :

(أ) الوثائـــق :

١ ـــ وثائق غير منشورة :

1 — Public Record Office

F O 403 / 4

٢ ـــ وثائق منشورة :

1 — Documents Diplomatques Français ler serie tome VIII. XI.

2 — Hertslet. Edward . The Map of Africa by treaty. London 1894 vol. II.

ثانيا ـ المراجع العربيـــة :

١ ـــ د. اسماعيل ياغى : تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر (قارة افريقيا) طبعة الرياض ١٩٨٣ جـ ٢ .

٢ ـــ زاهر رياض : الاستعمار الأوروبى لافريقيـــا فى العصر الحـــديث القاهرة ١٩٦٠ .

٣ ـــ شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها القاهرة ١٩٧١ .

٤ ـــ صلاح العقـــاد : مغرب الاستعمار الفرنسى .

٥ ـــ عبد العزيز نوار : التاريخ المعاصر أوروبا من الحرب البروسية الى الحرب العالمية الثانية ١٨٧١ ـــ ١٩٤٥ ـــ القاهرة ١٩٧٧ .

٦ ـــ عبد العزيز نوار : التاريخ الحديث أوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية (١٧٨٩ ـــ ١٨٧١) القاهرة ١٩٨٥ .

٧ ـــ عبد الملك عوده : السياسة والحكم فى افريقيا ـــ القاهرة ١٩٥٩ .

٨ ــ على ابراهيم : أضواء على المنافسة الدولية فى أعالى النيل القاهرة ١٩٥٩ .

٩ ــ لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى دار الفكر ١٩٧١ .

١٠ ــ محمد محمد حسنين : الاتحاد الفرنسى ــ الجماعة الفرنسية فيما وراء البحــار القاهرة ١٩٦٠ .

ثالثا ـ المراجع الأجنبيــة :

1 — Ajayi, J and Michael Crowder : History of West Africa Lond 1974 vol. II.

2 — Anene, Joseph : Africa in the Nineteenth and Twentieth centuries ibadan 1966.

3 — Ansty, Roger : Britain and Congo in the Nineteenth century Oxford 1962.

4 — Avice, Emmanuel . La cote D'ivoiRe paris 1951.

5 — Betts, R. : The Scramble for Africa U. S. A. 1966.

6 — Brunshwig, Henri : L'Avénement de L'Afrique Noirc Paris 1971.

7 — Carrié, Réné, A : The Concert of Europe U. S. A. 1968.

8 — Casttelein. A : The Congo State. Lond 1907.

9 — Eucher, Lp : Le Congo. Paris 1894.

10 — Fage, J : An introduction to the history of west Africa. Cambridge 1959.

11 — Forde, Daryll : Islam in tropical Africa Lond 1969.

12 — Geographical handbook series. French Equatorial Africa and Cameroons. Lond 1942.

13 — Hanotaux, Gabriel : Histoire des colonies Françaises et de L'éxpansion de la France dans le monde. Paris 1929 tome IV.

14 — Hanotaux, G : Mon Temps. La troisiéme République. Gambetta Jules Ferry. Paris tome II.

15 — M. A. C. : Histoire compléte des voyages et découverts en Afrique Paris 1921.

16 — Robinson, Ronald and John Gallahar : Africa and the Victorians N .Y. 1961.

17 — Thompson, Virginia : French west Africa Lond 1958.

18 — Vidrovitch. Catherine : Brazza et la possession du Congo (1883 — 1885). Paris 1965.

19 — Williams Bary : Modern Africa 1972.

جـ ـ دوائر المعـــارف :

1 — Cambridge history of Africa 1790 — 1870 . Great Britain 1976. Vol. 5.